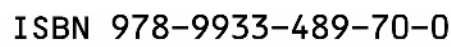


موسوعة

في ظلال شهداء الطف

الجزء الثالث




ISBN 978-9933-489-70-0


9 789933 489700

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٣: ٣٣٩

الصمياني، حيدر

موسوعة في ظلال شهداء الطف / تأليف حيدر الصمياني؛ [تقديم محمد علي الحلو]. - الطبعة الأولى . - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٤ق. = ٢٠١٣م.

٣ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٢١).

المصادر.
ISBN:٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٧٠٠

١ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. - أصحاب - السيرة. ٢ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١هـ. أصحاب - صفات. ٣. واقعة كربلاء، ٦١هـ. شهداء. ٤. التاريخ الإسلامي - العصر الأموي - شبهات وردود. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧-، مقدم. ب . العنوان

BP 193. 13 . A3 . S269 2013

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



تأليف

الشيخ حيدر الصمياني

الجزء الثالث

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

الموقع الالكتروني: imamhussain-lib.com

البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com

مقدمة الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطاهرين.

(إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة).

أما بعد:

... يقف الإنسان متعجباً ومنبهراً بل وحائراً لا يعرف ماذا يقول أمام خلود وبقاء واستمرار الثورة الحسينية المباركة طيلة هذه المدّة الزمنية الطويلة.

هذه الثورة التي لم تكن في بدايتها إلا حدثاً تأريخياً حصل وجرى في حقبة زمنية محدودة، ولو أردنا أن نحسب المدة الزمنية التي تحركت فيها هذه الثورة لوجدناها تمتد في أكثر التقادير إلى ستة أشهر أو سبعة ، حيث خرج الحسين عليه السلام رافضاً بيعة يزيد بن معاوية في الثامن والعشرين من شهر رجب وانتهت في يوم شهادته عليه السلام في العاشر من المحرّم، بل إن ذروة هذه الثورة إن صح التعبير لم تستمر سوى سويعات قليلة من النهار ربما لا تزيد على خمس

ساعات وفق ما ذكره وتحدث عنه المؤرخون.

ومع كل ذلك نجد أن هذه الثورة امتلكت النفوس والأرواح والمشاعر والعقول والقلوب عبر الأجيال وما انطفأت يوماً شعلتها فيهم مهما تمادت السنين وتباعدت الأيام، بل العكس هو الصحيح حيث نراها تتجذر في القلوب أكثر.

وما هذه الملايين التي تزحف إلى كربلاء من كل عام على اختلاف قومياتهم وبلدانهم وأجناسهم وأعمارهم إلا دليل حيّ وشاهد ملموس ومحسوس على هذا الخلود والثبات لهذه الثورة المباركة.

ولقد أشار الكاتب المصري عبد الله العلائلي في كتابه «سمو المعنى في سمو الذات» إلى ما تقدم من المعاني وما حصلت عليه كربلاء من التفاف الناس فيها بأبيات جميلة من الشعر منها:

فياكربلا كهف الإباء مجسماً	ويا كربلاء كهف البطولة والعُلا
ويا كربلا قد حُزت نفساً نبيلة	وصُيِّرت بعد اليوم رمزاً إلى السما
ويا كربلا قد صرت قبلة كل ذي	نفس تصاغى دون مبدئها الدنا
ويا كربلا قد حُزت مجداً مؤثلاً	وحُزت فخاراً ينقضي دونه المدى
فخارٌ لعمري سطرّته ضحية	فكان لمعنى المجد أعظم مُحتلى
فللمسلم الأسمى شعارٌ مقدسٌ	هما قبلتان للصلاة وللإبا

وفي اعتقادي أن واحدة من أهم النقاط التي جعلت هذه الثورة متجذرة في قلوب الملايين عبر السنين ـ بعد وجود شخصية الحسين عليه السلام وآثارها العظيمة على هذه الثورة ـ هي سمو الأهداف التي ناظلت هذه الثورة من أجل الوصول

إليها أولاً، وخلوص أصحابها وتفانيهم من أجلها ثانياً.

ولقد وصلت درجة الإخلاص والتفاني عندهم إلى مرحلة نسوا فيها حتى ذواتهم المباركة الشريفة، فها هو أحدهم يسقط إلى الأرض جريحاً وبه رمق من الحياة فيأتي إليه الحسين عليه السلام على عادته فيضع خده على خده ويقرأ عليه قول الله تعالى:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾.

فيفتح الشهيد عينه وهو يعيش في آخر لحظات حياته والدماء تشخب منه وإذا به يرى الحسين عليه السلام وقد وضع خده على خده فيقول مبتسماً «من مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي».

لقد نسي هذا الشهيد في لحظة العشق والقرب مع الحسين كل جراحاته وآلامه التي حلّت ببدنه ونالت منه، وفي بعض الروايات سأل الحسينَ عليه السلام قائلاً: «أوفيت يابن رسول الله؟».

أيّ عظمة هذه؟

وأيّ شموخ هذا؟

وأيّ نكران للذات هذا؟

وهذا مثال واحد من عشرات الأمثلة العظيمة التي حظيت بها كربلاء مع أمثال هذه الجماعات التي وصفها الحسين عليه السلام بقوله:

«ما رأيت أصحاباً أوفى وأبّر من أصحابي».

لقد حمّلتنا هذه المواقف الكريمة لهذه الثلة المؤمنة الصالحة في كربلاء الشموخ والبطولة، حملتنا المسؤولية الكبيرة في أن نسلّط الأضواء عليها حتى تحفظ مواقفهم أوّلاً ومن ثمّ تُقدَم إلى الناس حتى يتحولوا إلى قدوات يُسار على نهجها ويُتحرك على أساسها، لاسيما في مثل هذا العصر الذي كثر فيه الدجالون وأصحاب الأهواء والمطامع ممن لبس لباس الدين وصار يضحك على ذقون الفقراء والمساكين حتى ضاع الصالح بالطالح واختلط الشريف بالدنيء.

ولقد بدأت بحمد الله وتوفيقه في تسليط الأضواء عليهم (رضوان الله عليهم) من خلال موسوعتي هذه التي أسميتها (موسوعة في ظلال شهداء الطف) والتي خرج منها إلى يومك هذا الجزء الأول والثاني.... وها هو الجزء الثالث يخرج إلى النور وهو يحمل في طيّاته الحديث عن شهداء الطف.

الشهيد زهير بن القين البجلي عليه السلام

بين يدي الشهيد

لقد أيّد الله سبحانه وتعالى دينه الحنيف ورسالته الشريفة برجال من المؤمنين يصفهم الله عزّ وجلّ بقوله:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[1].

فاختارهم واصطفاهم من بين خلقه لنيل شرف المهمّة العظيمة والمنزلة الكريمة، ألاَ وهي الدفاع عن حومة الدين وعترة سيد المرسلين، لاسيّما أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فقد آثروا الدين على الدنيا، ومرضاة الله على مرضاة الناس، والتعب والنصب على الراحة والسكون والدعة، حتى توّجت حياتهم في آخر المطاف - بمنّة من الله ولطفه - بأسمى ما يريده المؤمن ويطلبه، وهي الشهادة في سبيل الله سبحانه، حتى داستْ الخيل صدورهم بحوافرها وعلتْهم الطغاة ببواترها،

(١) الأحزاب: ٢٣.

فرفعت رؤوسهم على أطراف الرماح، وتركت أجسادهم على الأرض تشخب منها الجراح، وكان منهم الشهيد زهير بن القين (رض)، الذي أعطى وصدق بالحسنى، فيسّره الله إلى الأخرى ويالها من عاقبة حسنى ومنزلة عظيمة فضلى!

أقوال العلماء فيه

١ ـ قال الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف في زيارته المقدّسة:

«**السلام على زهير بن القين البجلي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أترك ابنَ رسول الله صلّى الله عليه وآله أسيراً في يدِ الأعداء وأنجو! لا أراني الله ذلك اليوم**»[1].

٢ ـ يقول العلاّمة المامقاني: (ذكر أهل السير أنّ زهير بن القين هذا كان رجلاً شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً، له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة)[2].

٣ ـ يقول تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي: (زهير بن القين قُتل بكربلاء رحمه الله، عظيم الشأن» [3].

٤ ـ ويقول ابن سعد في ترجمة عامر بن شرحبيل بن عباد الشعبي: «ومَن روى عنهم... زهير بن القين... »[4].

---

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ص٥٧٦.

(٢) تنقيح المقال للمامقاني: ج١، ص٤٥٢.

(٣) رجال ابن داود: ص٩٩، رقم ٦٤٦، تحقيق محمّد صادق بحر العلوم.

(٤) الطبقات لابن سعد: ترجمة عامر الشعبي، الحديث ٦٨١٥.

٥ ـ يقول ذبيح الله المحلاتي: «يجب أن يُعلم أنّ زهير بن القين كان من الرجال المهمّين، ومن الفرسان الأسود، ومن الخطباء، كان عالي القدر، وكان في ميمنة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام» [١].

٦ ـ يقول بعد الواحد المظفّر: «زهير بن القين الشهيد مع الحسين بطفّ كربلاء، هو من وجوه أهل الكوفة، وأعيان التابعين، وأعلام أهل العراق، المعروفين بالرئاسة والشرف والشجاعة، ومن الخطباء والشعراء والأبطال» [٢].

٧ ـ يقول النمازي الشاهرودي: «زهير بن القين خرج من مكّة، وكان مع جماعة يكرهون أن يكونوا مع الحسين، فنزلوا في منزل... فجاء إلى الحسين، فما لبث أن جاء مستبشراً... ولحق زهير بالحسين عليه السلام» [٣].

٨ ـ يقول ابن حزم: «هو زهير بن القين بن الحارث بن عامر بن سعد بن مالك بن ذهل بن عمرو بن يشكر بن علي بن سعد بن نذير بن قسر، قتل مع الحسين عليه السلام» [٤].

القبيلة التي ينتمي إليها الشهيد

لقد كان لهذه القبيلة التي ينتمي إليها الشهيد وهي: «بجيلة» تاريخ حافل بالمواقف الطيّبة في نصرة الإسلام والمسلمين، لاسيّما في معركة اليرموك

(١) فرسان الهيجاء: ج١، ص١٤٢.

(٢) الأمالي المنتخبة: ص٥٦.

(٣) مستدركات علم الرجال: ج٣، ص ٤٤٠ ٥٨١٥.

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ص٣٨٨.

والقادسية وغيرهما، حتى نُقل أنّ الذي قَتل رستم قائد الفرس هو زهير بن عبد شمس بن نوف البجلي، ثمّ أنشد يقول:

أَنَا زُهَيْرٌ وَابْنُ عَبْدِ شَمْسِ   أَرْدَيْتُ بِالسَّيْفِ عَظِيْمَ الفُرْسِ

رُسْتَمَ ذَا النَّخْوَةِ وَالدَّمْسِ   أَطَعْتُ رَبِّي وَشَفَيْتُ نَفْسِي[1]

ولقد خرّجت هذه القبيلة الكثير من المجاهدين والمدافعين عن حومة الدين، منهم على سبيل المثال لا الحصر قيس بن المكشوح البجلي، الذي كانت بيده راية علي عليه السلام في معركة صفّين، وهو القائل:

إِنَّ عَلَيًّا ذُوْ أَنَاةٍ صَارِمُ   جَلْدٌ إِذَا مَا خَطَرَ العَزَائِمُ

لَمَّا رَأَى مَا تَفْعَلُ الأَشَائِمُ   قَامَ لَهُ الذَّرْوَةُ وَالأَكَارِمُ[2]

ومنهم عبد الله بن قلع البجلي، وعفيف بن إياس البجلي، ورفاعة بن شداد البجلي الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بالإيمان والصلاح وهو يتحدّث عن وفاة أبي ذر (رض)[3].

زهير بن القين وسحرة موسى

حينما يدرس الإنسان حياة هذا الشهيد الكربلائي زهير بن القين (رض) بدقّة ويسلّط الضوء على الانتقالة السريعة والنوعية التي حصلت له في حياته (رض)، لَيجد وبشكل واضح أنّ ما مرّ به هذا الشهيد يمثّل منعطفاً إلهياً ربّانياً، اقتضتْ إرادة

---

(١) فتوح البلدان: ج٢، ص٢٥٩.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ص٢٥٨.

(٣) سلسلة الأركان الأربعة (أبو ذر الغفاري) للشيخ محمد جواد الفقيه: ص١٥٦ – ١٥٧.

الله وحكمته أن يمرّ به، وإنّما عبّرنا عن هذه الانتقالة بالمنعطف؛ لأنّها تمثّل في واقع الأمر نقطة فصل بين تصوّرين وتوجّهين لم يجتمعا من قبل أبداً، حيث عرف عن الشهيد الكربلائي أنّه كان عثماني الهوى[١] قبل لقاء الحسين عليه السلام، ثمّ عُرف بعد ذلك بأنّه حسيني من أنصار الحسين بن علي بن أبي طالب.

وممّا لا يخفى على أحد أنّ هذه الانتقالة تشكّل - بشكل عام - ثقلاً على الإنسان؛ لأنّها تتعلّق بتصوّراته وأفكاره ومتبنّياته العقيدية، بل يمكن أن يقول الإنسان إنّ تغيير مياه نهر عظيم أو التحكّم في جريانه أو حتى حفر الصخور في الجبال والآبار في الأرض ربّما يكون أسهل بكثير من تغيير الإنسان لنفسه وأفكاره وآرائه.

يقول أحد الشعراء وهو يتحدّث عن الآراء وأهمّيتها وضرورة الدفاع عنها:

قِفْ دُوْنَ رَأْيِكَ فِي الحَيَاةِ مُجَاهِداً إِنَّ الحَيَاةَ عَقِيْدَةٌ وَجِهَادُ

من هنا كانت فكرة التغيير التي تحملها الحضارة في شِقّها المادّي أسهل على الإنسان في مقدار تقبّله لها وتفاعله معها، بخلاف الشِقّ الثاني من الحضارة والمتعلّق بالعادات والتقاليد والأفكار والتصوّرات التي يحملها الإنسان معه منذ أن يعي هذه الحياة.

وبعبارة أخرى: ليس عزيزاً على الإنسان أن يُقال له - مثلاً - بدل أن تطهو الطعام على الخشب، فإنّك تستطيع أن تطهوه على الغاز أو الكهرباء، أو أن يُقال له: بدل أن تنتقل من مكان إلى مكان بواسطة الحيوان، فإنّك تستطيع أن تنتقل بواسطة

(١) سيأتي بعد ذلك مناقشة هذه القضية وما تعنيه بشيء من التفصيل.

السيارة أو الطائرة أو ما شاكل ذلك، وهكذا بقية الأمور الأخرى، ولكن يصعب على الإنسان كثيراً أن يبدّل أمراً أخذه عن آبائه وأجداده، أو حتى توقّفه على الخطأ الذي كان سائراً مدّة طويلة من الزمن عليه، ومن هنا عبّر القرآن الكريم عن الرسالة التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّها ثقيلة(١).

﴿قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْوَاْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(٢).

(١) كما في قوله تعالى من سورة المزمل، الآية ٥: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾.

(٢) الأعراف، ١١١- ١٢٦.

وفي سورة طه:

﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[١].

لقد وقفتُ أمام هذا النص القرآني مراراً وتكراراً وتأمّلتُ فيه طويلاً فوجدتُ أمامي شخصيتين:

الشخصية الأولى

كانت مشدودة إلى المال:

﴿ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾[٢].

وكانت مرتبطة بفرعون وعزّته وقوّته:

﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾[٣].

وكانت تعيش التحدّي لموسى عليه السلام ولرسالته، حتى قال لهم موسى:

﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ

---

(١) طه: ٧١ – ٧٣.

(٢) الأعراف: ١١٣.

(٣) الشعراء: ٤٤.

مَنِ افْتَرَى ﴾[١].

كانت هذه عقيدتهم وهذا هو توجّههم ومنطقهم مع موسى عليه السلام ورسالته.

أمّا الشخصية الثانية

فأصبحت مؤمنة خاضعة ساجدة لله سبحانه وتعالى:

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[٢].

وأصبحت واعية البصيرة والبيّنة في دينها وإيمانها:

﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾[٣].

وأصبحت الموطّنة نفسها للشهادة من أجل الله ورسالته:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾[٤].

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾[٥].

وهناك مَن يسلب منه حتى تمييز الحق من الباطل والطيب من الخبيث والجيّد من الرديء فمثل هؤلاء لا يسمعون ولا يهيّأون للسمع أصلاً:

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

---

(١) طه: ٦١.

(٢) طه: ٧٠.

(٣) طه: ٧٢.

(٤) طه: ٧٢.

(٥) محمد صلى الله عليه وآله: ١٦.

زهير بن القين والاستماع إلى الحق

من هنا وبعد هذه الإطلالة السريعة على ما يفعله الإيمان في نفوس الناس لاسيّما مع سحرة فرعون كما تقدّم، نعرف سرّ هذه الانتقالة السريعة التي حصلت في حياة هذا الشهيد الكربلائي (رض)، هذا الرجل الذي لم يبق مع الحسين عليه السلام إلاّ مدّة وجيزة من الزمن وإذا به يرجع ووجهه يتلألأ نوراً واستبشاراً بدعوة الحسين له إلى نصرته ونصرة الدين.

ولقد علم الرجل منذ اللحظة الأولى أنّ مثل هذا القبول لمثل هذه الدعوة سيؤدّي إلى موت محقّق غير مشكوك فيه، فضلاً عن عدم حصول مثل هذا الإنسان على أبسط مقدار من حطام هذه الدنيا الفانية ومتعتها الزائلة.

لقد برهن زهير بن القين أنّه يحمل نفساً أكبر من أن تتقيّد بقيود التوجّه أو الفهم الخاطئ لهذا الأمر أو ذاك، بل إنّه أعطى صورة مفادها أنّ الدين عنده أعظم من كلّ شيء، وله يجب تقديم كلّ شيء، وهذه بتقديري فضيلة كبرى ومنزلة فضلى تمتّع بها (رض)، يقول ابن القيم في تفسير الآية الكريمة:

﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١].

(فمَن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع مَن كان ولو كان مع مَن يبغضه ويعاديه وردّ الباطل مع مَن كان ولو كان مع مَن يحبه ويواليه، فهو ممّن هداه الله لِمَا اختلف فيه من الحق، فهذا أعدل الناس وأقومهم قيلاً)[٢].

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) الصواعق المرسلة: ج٢، ص٥١٦.

يقول صلى الله عليه وآله:

«اقبلْ الحق ممّن أتاك به صغيراً أو كبيراً وإن كان بغيضاً، وارْددْ الباطل على مَن جاء به صغيراً أو كبيراً وإن كان حبيباً» [(١)].

ويقول صلى الله عليه وآله:

«السابقون إلى ظلّ العرش طوبى لهم.

قيل: يا رسول الله، ومَن هم؟ فقال:

الذين يقبلون الحقّ إذا سمعوه، ويبذلونه إذا سألوه، ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم» [(٢)].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً شرح صدره للإسلام، فإذا أعطاه ذلك أنطق لسانه بالحق وعقد قلبه عليه فعمل به، فإذا جمع الله له ذلك تمّ له إسلامه... وإذا لم يُرد الله بعبدٍ خيراً وَكَلَهُ إلى نفسه وكان صدره ضيّقاً حرجاً، فإن جرى على لسانه حقّ لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به» [(٣)].

ومن كلّ ما تقدّم من النصوص نفهم أنّ علينا - إذا ما أردنا أن نتّبع هذا الشهيد الكربلائي(قابل الحق والمدافع عنه) - أن نكون ممّن يرعى حرمة الحق

---

(١) كنز العمال: برقم ٣١٥٥٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٥، ص٢٩.

(٣) الكافي: ج٨، ص١٣.

في نفسه ومع الله، ويجابه الباطل أينما كان، ومع مَن كـان، حتـى ولـو كلّفـه ذلـك تقديم نفسه بين يـديّ الله سبحانه وتعـالى، فأصـحاب الحـسين عليـه الـسلام إنّمـا وصلوا إلى ما وصلوا إليه من المنزلة والرفعة والمكانة الـسامية فـي الـدنيا والآخـرة من خلال مواقفهم المبدئية، وتقديمهم الغالي والنفيس من أجل الدين.

ولم تكن المسألة متعلّقة بالأماني فقط، فكلّ إنسان بإمكانه أن يتمنّى الكثير، يتمنّى أن يكون أعظم الناس وأفضل الناس وأعلم النـاس، بـل ويتمنّـى أن يـدخل الجنّـة ويكـون مـن سـاداتها وشخـصيّاتها، ولكـن علـى أرض الواقـع لا يعمـل مـا يتناسب مع مثل هذه التمنّيات، فيكون مَثَلُهُ مَثَل اليهود في تمنّيـاتهم، حيـث يقـول القرآن الكريم:

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[1].

يقول الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير الأمثل: (جاء في تفسير مجمع البيان وتفاسير أخرى أنّ المسلمين وأهل الكتاب كانوا يتفـاخرون بعـضهم علـى بعـض، فكان أهل الكتاب يتباهون بكون نبيّهم قـد بعـث قبـل نبـيّ الإسـلام، وأنّ كتـابهم أسبق من كتاب المسلمين، بينما كان المسلمون يفتخرون علـى أهـل الكتـاب بـأنّ نبيّهم هو خاتم النبيين، وأنّ كتابه هو آخر الكتب السماوية وأكملها.

وفي رواية أخرى نُقل أنّ اليهود كانوا يدّعون أنّهم شـعب الله المختـار، وأنّ نار جهنّم لا تمسّهم إلاّ لأيّام معدودات كما ورد في سورة البقرة:

---

(١) النساء: ١٢٣.

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً ﴾[(١)].

وإنّ المسلمين كانوا يقولون ردّاً على كلام اليهود هذا بأنّهم خير الأمم؛ لأنّ الله قال في شأنهم:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[(٢)].

ولذلك نزلت الآية الكريمة ودحضت كلّ هذه الدعاوى، وحدّدت قيمة كلّ شخص بما يقوم به من أعمال)[(٣)].

وعليه فإنّ زهير بن القين قد أثبت قيمته من خلال موقفه وعمله، الذي كَرُمَ من خلاله في الدنيا والآخرة حتى صار مع الحسين رفيقاً وكفى بها نعمة، فماذا عنّا؟ أنكتفي بالأماني أم نتحرك لإعطاء القيمة لأنفسنا من خلال العمل والموقف:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾؟[(٤)].

زهير بن القين والفتوحات الإسلامية

إنّ أجمل ما يمكن أن يترجم به الإنسان المسلم اعتقاده بالله عزّ وجلّ وبما أعدّه للمطيعين والسائرين في خطّ الدعوة إليه، هو حمله لروحه على أسنّة الرماح، ودمه على راحته، وسيفه على عاتقه، من أجل أن يقاتل مَن يبغي في الأرض فساداً ولا يرعى للبشرية أدنى حقوقها، ومن ثم ينشر الخير والعدل والنور والتسامح في

---

(١) البقرة: ٨٠.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) تفسير الأمثل: ج٣، ص٤٦٥ – ٤٦٦.

(٤) التوبة: ١٠٥.

أرجاء هذه الدنيا، من هنا صار الجهاد فريضة لازمة لإعلاء كلمة الله وإنقاذ المستضعفين وقهر الظالمين، لاسيّما حينما يخيّر الإنسان المؤمن بين حالين لا ثالث لهما، فأمّا العزّة والكرامة وأمّا الذلّة والهوان.

يقول الله عزّ وجلّ وهو يتحدّث عن نبيّ الله شعيب الذي اختلف قومه في دعوته، فآمنت بها طائفة وكفرت به طائفة أخرى، وهو يدعو الطائفة الكافرة إلى الصبر حتى يحكم الله بينه وبينهم، فيأبون إلاّ أن يخرجوه هو وأصحابه من ديارهم أو يعيدوهم في ملّتهم، ولا يطيقون وجود فئة تؤمن بالله وبرسالته في ديارهم:

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [١].

وهنا يقف الداعي إلى الله كالجبل الأشمّ مجاهداً في سبيل الله للحفاظ على دينه والتبرّي من الكفر الذي نجّاه الله منه، ويلجأ إلى القويّ القادر يستنصره فيأتيه النصر ويفتح الله بينه وبين عدوّه وهو خير الحاكمين.

يقول الله عزّ وجلّ:

﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن

(١) الأعراف: ٨٨.

يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[١].

إنّ المؤمن ليتحرّك في هذا الخط وهو يعيش الأمل الكبير في الله عزّ وجلّ، هذا الأمل الذي يجعله في أعلى درجات الراحة والاطمئنان وهو يؤيّد مثل هذا التكليف، حتى أنّ الشهيد ليتمنّى أن يعود إلى هذه الدنيا فيُقتل عشرات المرّات لِمَا يرى من عظيم الكرامة وكبير المنزلة، مثلما حصل مع الشهيد زهير بن القين كما سيأتينا في الحديث عنه مجاهداً بين يدي الحسين عليه السلام.

من هنا نجد أنّ عطاءات هذا الشهيد لم تنحصر في كربلاء، بل كان قبلها ألوان من الجهاد والدعوة إلى الله عزّ وجلّ في شتّى صورها وأشكالها، ومنها تلك المشاركة الواضحة والفاعلة في الفتوحات الإسلامية، هذه الفتوحات التي كان للشهيد الكربلائي وأمثاله الدور الأبرز في الحفاظ على قِيَم الإسلام داخلها وعدم الانحراف فيها، لاسيّما وقد تحكم في بعضها مجاميع من القيادات التي لم تعرف الإسلام حقّ معرفته.

معركة باب الأبواب

ومن هذه المعارك التي خاضها الشهيد الكربلائي (رض) هي معركة باب الأبواب، والتي كانت تمثّل مركزاً وقاعدة لانطلاق الفتوحات الأخرى، لاسيّما نحو المدن التركية وما حولها أو ما يُعرف بـ(بلاد الترك)، وكان من جملة تلك الفتوحات هو فتح عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي لبلاد أرمينية.

---

(١) الأعراف: ٨٩ – ٩٠.

ويبدو لي أنّ هذه المنطقة قد تمّت محاصرتها في زمن عمر واستمرّت لمدّة ليست بالقصيرة كما سيأتينا، وأمّا فتحها بشكل كامل فقد تمّ في زمن عثمان، ومن هنا وقع الاختلاف عند المؤرّخين في عصر الخليفة الذي حصلت فيه هذه المعركة، حيث نسبها بعضهم إلى عمر[١]، والبعض الآخر إلى عثمان[٢]، خصوصاً وأنّ شخصيات هذه المعركة وقادتها الرئيسيين لم يتغيّر الكثير منهم.

بدايات المعركة

وتبدأ المعركة حينما يرسل عمر بن الخطاب جيشاً على رأسه حبيب بن سلمة ليدخل إلى مدينة (باب الأبواب) من جهة الغرب، وجيشاً آخر بقيادة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ليدخل المدينة من جهة الشرق، يعني بعبارة أخرى: أنّهم استعملوا نفس الخطّة التي استعملوها في فتح أذربيجان، المهم يتقدم الجيشان حتى يصلا إلى مدينة الباب، أو ما يُعرف بـ(باب الأبواب)، حيث كان الحاكم لهذه المدينة هو (شهر براز)، فيتسارع إلى طلب الصلح من قيادة الجيش الإسلامي الفاتح، ويضع شرطاً أن يقف أهل الباب دفاعاً عن الباب وعن المسلمين، ويقاتلوا من أجلهم على أن يسقطوا الجزية عنهم أو أخذ أجر في قباله من المسلمين.

وبعد أن تمّ الصلح سقطت مدينة الباب التي كانت من أشدّ المناطق حصانة من دون صعوبة تُذكر، وبمجرّد أن فتح الباب أصبح المسلمون على حدود بلاد

(١) تاريخ الطبري: ج٤، أحداث سنة ٣٢هـ

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، أحداث سنة ٢٤هـ

الترك[١]، ويأتي هنا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حينما تحدّث عن مثل هذه الغزوة كما روى ذلك الكثير من العلماء، يقول صلى الله عليه وآله:

«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه دلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة[٢]»[٣].

وربّما كان شعور عبد الرحمن بن ربيعة بمثل هذا الحديث وأمثاله دافعاً لهم أكثر في الخوض في هذه المعركة، حتى تحقّق كلّ بنود هذه النبوة المحمدية المقدسة، فيجهز عبد الرحمن جيشاً وفي نفس الوقت يرسل إلى شهر براز - وهو الذي عقد معه الصلح - لإخباره بما يفكّر فيه، فقال له: ما تريد؟

قال: أريد أن أغزو بلنجر والترك، قال: لقد رضينا منهم ألاّ يغزونا ولا نغزوهم، فقال: ولكنّنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم، وتالله إنّ معنا أقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإذعان لبلغت بهم إلى الروم، فقال: ومَن هم؟ عندها وصف عبد الرحمن له صفات مَن معه لاسيّما الشهيد الكربلائي زهير بن القين، حيث يقول: (هم أقوام صحبوا رسول الله ودخلوا في هذا الأمر بنيّة، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم مَن يغلبهم)[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ: ج٢، ص٤٢٩ - ٤٣٠.

(٢) يعني وجوههم تتّصف بأنّها غليظة وكثيرة اللحم وتميل إلى الحمرة، ولهم أنوف قصيرة، ويلبسون الشعر وينتعلوه.

(٣) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، كتاب الفتن، باب ما جاء في قتال الترك: ج١، ص٣٦٧.

(٤) الكامل في التاريخ: ج٢، ص٤٣١.

وقفة لابدّ منها

وهنا لابدّ لنا أن نقف أمام هذه الكلمة العظيمة التي ذكرها لنا التاريخ بفخر واعتزاز عن عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وهو يتحدّث مع ملك كبير كان موجوداً على بلاد شديدة التحصّن في ذلك اليوم، ألا وهي (باب الأبواب)، هذه الكلمات التي تحمل في طيّاتها نظراً ثاقباً وفهماً عميقاً للإسلام حين يؤكّد على أنّ النصر دائماً مع المسلمين، وهذا هو وعد الله الذي طالما قرأه وسمعه وعاشه كلّ مسلم، كما في قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ [1].

بل حتى قضية العدد والعدّة لم تكن لتشكّل عنصر خوف وقلق عند المسلمين، بل بالعكس، كانت تمثّل شعوراً بتأمل فضل الله ورحمته أكثر، يقول القرآن الكريم:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [2].

وهنا تأتي كلمة هذا القائد الكبير عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، حيث يؤكّد على هذه الحقيقة الإسلامية المهمّة: إنّ النصر دائماً حليف المسلمين حتى يتغيّروا، ولكن يا ترى مَن الذي سوف يغيّرهم؟

هنا وبنظرة ثاقبة يقول له: إنّ الذي يغيّرهم هو مَن يغلبهم. وبعبارة أخرى: إنّ غالب المسلمين هو ذاك الذي يستطيع أن يزيلهم ويدفعهم عن دينهم والتزامهم

---

(1) آل عمران: 139.

(2) محمد: 7.

واستقامتهم. وبمراجعة سريعة إلى التاريخ وإلى وقتنا المعاصر، نجد أنّ هذه الغَلَبَة – وللأسف الشديد – قد حصلت على المسلمين من قِبل أعدائهم، وربّما يكون واحداً من هذه الأسباب التي تقف وراء هذه الغلبة هو ما نعيشه ومنذ مدّة ليست بالقصيرة من وجود انقسام للنخب الثقافية والفكرية من أبناء هذه الأمّة الإسلامية إلى فريقين غير متجانسين، هما المتغرّبون والمحافظون إن صحّ التعبير.

أمّا الفريق الأول فيدعون إلى اقتفاء أثر الحضارة الغربية بحلوها ومرّها، والفريق الثاني يدعو إلى التمسّك بالأصول الفكرية التي قامت عليها الحضارة الإسلامية وازدهرت بسببها، ومن خلال هؤلاء حاول اليهود والنصارى أن يغيّروا المسلمين ويبثّوا روح اليأس من بعض مفاهيم الإسلام بحجّة عدم ملاءمتها للواقع وللعصر، فضلاً عن دعوات الحريات وإقامة الديمقراطية المستلزِمة في كثير من الأحيان لإباحة النساء والانحراف في داخل الأمّة الإسلامية.

ومن ثم استطاعوا أن يغيّروا المسلمين كلّ هذه التغييرات، وهذا بالذات هو معنى كلام عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي: لا يزال هذا الأمر دائماً لهم والنصر معهم حتى يغيّرهم مَن يغلبهم.

غزوة بلنجر

بعدما تحدّث عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي مع الملك في غزو الترك، والتي كانت قوّة كبيرة لا يُستهان بها، حتى أنّ الفرس عقدوا معهم اتفاقية ألاّ يغزوهم وأن يحترم كلّ واحد منهم الآخر.

يقول ابن أعثم: (وتسامعت ملوك أرمينية بدخول العرب إلى بلدهم فهربوا

على وجوههم حتى تحصّنوا في الجبال والقلاع والأودية والغياض، وجعل بعضهم يقول لبعض: إنّه قد جاءنا قوم بلغنا أنّهم نزلوا من السماء، فليس يموتون ولا يعمل فيهم السلاح... ثمّ انّه سار يريد مدينة الباب، وبها يومئذٍ خاقان ملك الخازر في زهاء ثلاثمائة ألف من الكفّار، فلمّا سمع بمسير العرب إلى مَن قبله ارتحل عن مدينة الباب، فقيل له: أيّها الملك، أنت في ثلاثمائة ألف وهؤلاء في عشرة آلاف وتنهزم من بين أيديهم؟

فقال: إنّه بلغني عن هؤلاء القوم أنّهم نزلوا من السماء، وأنّ السلاح لا يعمل فيهم، فمَن يقوم لهؤلاء؟ قال ثم جعل يمرّ على وجهه[1].

واستمرّ الأمر على هذه الحال مدّة من الزمن، حتى إذا نزلوا بعد ذلك على نهر وفيه جماعة من الخزر من أصحاب خاقان، فأقبل رجل منهم لينظر إلى عسكر المسلمين، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى رجل من المسلمين قد نزل إلى ذلك النهر ليغتسل فيه، فأحبّ أن يجرّب السلاح أيعمل فيه أصلاً؟ فاستخرج له سهماً فرماه به فقتله، ثمّ دنا منه فأخذ ثيابه واحتزّ رأسه وجاء به بين يدي خاقان وقال: أيّها الملك، هؤلاء بلغك عنهم أنّ السلاح لا يعمل فيهم، وأنّ القتل لم يكتب عليهم، فلمّا نظر خاقان إلى ذلك نادى في أصحابه فجمعهم، ثمّ إنّه رجع على المسلمين في ثلاثمائة ألف فقاتلهم وقاتلوه حتى ما بقي من المسلمين أحد)[2]، فقتل قائد المعركة واستلم الراية من بعده أخوه سلمان.

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ج٢، ص٣٤٤.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ج٢، ص٣٤٥.

يقول السيد الزنجاني في وسيلة الدارين: (استشهد عبد الرحمن بن ربيعة وأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة، ولم يزل يقاتل حتى أمكنه دفن أخيه بنواحي بلنجر ورجع ببقية المسلمين عن طريق جيلان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، فقال عبد الرحمن بن حجانة الباهلي:

وَإِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْرٌ بِلَنْجَرِ وَقَبْرٌ بِأَرْضِ الصِّيْنِ يَالَكَ مِنْ قَبْرِ
فَهَذَا الَّذِي بِالصِّيْنِ عَمَّتْ فُتُوْحُهُ وَهَذَا الَّذِي يُسْقَى بِهِ سُبُلُ القَطْرِ[١]

حديث بَلَنْجَر

وفي هذه الواقعة حدّث الشهيد الكربلائي زهير بن القين الذي كان حاضراً فيها ومشاركاً بها قائلاً: (غزونا بلنجر ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم كثيرة، فقال لنا سلمان الفارسي[٢]: أفرحتم بفتح الله عليكم، فإذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه وآله فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم)[٣].

قال سلمان هذا الحديث لزهير بن القين قبل أن تقع واقعة كربلاء بثلاثين عاماً تقريباً، ولا شكّ أنّ سلمان لم يقل هذا الحديث من عنده؛ بل لأنّه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي طالما تحدّث عن كربلاء وما يجري فيها على أهل بيته

(١) وسيلة الدارين: ص١٤٤ – ١٤٥.

(٢) إمّا أن يكون سلمان الفارسي؛ لأنّه كان من المشاركين في هذه الحملة، حتى أنّ صاحب كتاب الروض العطار في خبر الأقطار رواها عن سلمان: ج١، ص٩٣. ويحتمل أن يكون سلمان الباهلي؛ لأنّه كان يلي لعمر الخيل على مقاسم مغانم المسلمين حين افتتحوا بلاد العجم: ج١، ص٩٤. أسد الغابة ج٢، ص٢٢٥.

(٣) **ابن الأثير في الكامل:٤٢/٤.**

وأمّته، بل وحتى زوجاته كان لهنّ نصيب من هذه الإخبارات، والتي ذكر فيها ما يصنعه شرار هذه الأمّة بعترته وأهل بيته، من تقتيل وتقطيع للأوصال وانتهاك لحرم الله عزّ وجل.

وحتى تقف على بعض هذه الأحاديث التي جاءت في هذا السياق والذي جاء فيه حديث بلنجر الذي رواه الشهيد الكربلائي، أذكر لك جانباً منها:

١ ـ روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتْني أُمّ سلمة (رض) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر، ثمّ اضطجع فَرَقَدَ، ثمّ استيقظ وهو حائر دون ما رأيت في المرّة الأولى، ثمّ اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبّلها، فقلتُ: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هذا يُقتل بأرض العراق وأشار إلى الحسين عليه السلام، فقلتُ لجبرئيل: أرني تربة الأرض التي يُقتل بها فهذه تربتها»[١].

٢ ـ روى الهيثمي عن الطبراني بسنده عن أبي الطفيل: (قال: استأذن ملك القطر أن يسلّم على النبي صلى الله عليه وآله في بيت أُمّ سلمة، فقال: لا يدخل علينا أحد فجاء الحسين بن علي فدخل، فقالت أُمّ سلمة: هو الحسين عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعيه، فجعل يعلو رقبة النبي صلى الله عليه وآله ويعبث به والملك ينظر، فقال الملك: أتحبّه يا محمد؟ فقال: أي والله، إنّي لأحبّه.

قال: أما إنّ أمّتك ستقتله، وإن شئتَ أريتُك المكان، فقال بيده فتناول كفّاً من تراب، فأخذت أُمّ سلمة التراب فصرّته في خمارها، فكانوا يرون أنّ ذلك

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٤، ص٤٤.

التراب من كربلاء»[١].

٣ ـ أخرج الطبراني في المعجم الكبير بإسناده عن أُمّ سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله في بيتي، فنزل جبرئيل فقال: يا محمد، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأومأ إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمّه إلى صدره، وأتاه بتربة فشمّها ثمّ قال:

ريح كرب وبلاء، وقال: يا أُمّ سلمة، وديعةٌ عندك هذه التربة، إذا تحوّلتْ هذه التربة دَمَاً فاعلمي أنّ ابني قد قُتل، فجعلتْها في قارورة، ثمّ جعلتْ تنظر إليه كلّ يوم، وتقول: إنّ يوماً تتحوّلين دَمَاً ليوم عظيم[٢]).

٤ ـ عن عبد الله بن نجي عن أبيه: أنّه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته، فلمّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى حطّين، فنادى علي عليه السلام:

اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات، قلتُ: وماذا؟ قال: دخلتُ على النبي صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، قلتُ: يا نبيّ الله، أَغْيَظَكَ أحدٌ؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبرئيل قبل، فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال: قلتُ: نعم، فمدّ يده فلم

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب المناقب، باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، مسألة: ١٥١٢١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص٨١.

أملك عينَي أن فاضتا»[١].

عثمانيّ الهوى

ورد مصطلح (عثماني) أو (عثمانية) الهوى في كتب التاريخ والرجال ومعاجم البلدان، حيث أُطلق على جهتين أساسيّتين في الأعمّ الأغلب، وهما:

١ . مدن ومواقع معيّنة من العالم الإسلامي

فقد ذكرت المصادر التاريخية والمهتمّة بهذا الشأن أنّ هناك مدناً معيّنة تمّ وصفها دون غيرها بأنّها كانت عثمانية.

يقول صاحب العقد الفريد: (الأصمعي قال: البصرة كلّها عثمانية[٢]، والكوفة علويّة، والشام أمويّة، والجزيرة خارجية، والحجاز سنّية، وإنّما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير، فقتلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام)[٣].

وقال محمد بن علي العباسي - زعيم الحركة العباسية - لدعاته: (أمّا

(١) مسند أحمد: ج٢، ص٦٠.

(٢) يقول العلاّمة المظفر: (كان التشيع شائعاً في قبائل البصرة، وكفى البصرة أن يكون فيهم مثل يزيد بن مسعود النهشلي صهر أمير المؤمنين وشيعته الذين لولا حيلولة القدر لنصر الحسين وبين يديه ما يربو على عشرة آلاف مقاتل... وقال: «مهما اجتهدوا أن يجعلوا العراق أمويّاً كانت تلك الجهود فاشلة وكانت الروح السائدة عليه هاشمية علوية خاصّة إلاّ في البصرة في عهود قليلة»، تاريخ الشيعة للعلاّمة المظفّر: ص٧٦، و ص١١٣.

(٣) العقد الفريد: ج٦، ص٢٤٨.

الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده، وأمّا البصرة وسوادها فعثمانيّة)[١].

ويقول الشيخ محمد الطنطاوي في كتابه (نشأة النحو) وما جرى من حرب في البصرة عرفت بالجمل: (ومن هذه الحادثة اختلف الهوى السياسي بين المدينتين، فالبصرة عثمانية والكوفة علوية، وكان هذا الاختلاف في الانحياز ناتج طبيعة المدينتين؛ لأنّ الكوفة أهل طاعة وخشوع، بعكس أهل البصرة المشتهرين بالعصيان والشقاق والعصبية)[٢].

٢ . مجاميع من الناس أفراداً وجماعات

قد حفلت في هذا القسم كتب التاريخ والرجال وغيرها بالكثير من الروايات التي وصفت أشخاصاً معيّنين بأنّهم عثمانيون، أو مجاميع من الناس بأنّها كانت على نفس هذه الشاكلة. يقول ابن خلدون في مقدّمته وهو يتحدّث عن مصر وما حصل فيها من اضطراب مع محمد بن أبي بكر:

(وقد اضطرب الأمر على محمد بن أبي بكر وخرج عليه معاوية بن مذحج السكوني مع جماعة من العثمانية بنواحي مصر)[٣].

ويقول البلاذري: (ووافى عليّ الرقّة وبها جماعة ممّن هرب إليها من الكوفة من العثمانية الذين أهواؤهم مع معاوية)[٤].

---

(١) معجم البلدان للحموي: ج٢، ص٣٥٢.

(٢) نشأة النحو للشيخ الطنطاوي: ص١٠٦ – ١٠٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ج٤، ص٢٩٤.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري: ج١، ص٣٢٣.

أمّا كتب الرجال فحدّث ولا حرج، فقد ذكرتْ الكثيرُ منها في مقام الترجمة لبعض الرجال أنّهم كانوا عثمانية أو عثمانيّ الهوى، وللمثال أذكر النماذج التالية:

يقول ابن حجر: (عبد الله بن إدريس الأزري: إنّه صاحب سنّة وجماعة، وكان صلباً في السنّة، وكان عثمانيّاً)، ويقول كذلك في عبد الله بن عون البصري أنّه موثّق، وله عبادة وصلابة في السنّة، وشدّة على أهل البدع، قال ابن سعد: وكان عبد الله بن عون البصري عثمانيّاً)[1].

ويقول الذهبي عن مغيرة بن مقسم أبو هشام الضبّي الكوفي: (وكان عثمانياً، إلاّ أنّه كان يحمل على عليعليه السلام بعض الحمل)[2].

ويقول ابن خراش عن عبد الله بن شقيق العقيلي: (كان ثقة، وكان عثمانياً يُبغض عليّاً)[3].

زهير بن القين عثمانيّ الهوى

وفي نفس هذا السياق وعلى الطريقة المتقدّمة بعينها ذكر المؤرّخون أنّ الشهيد الكربلائي كان عثمانيّ الهوى.

يقول ابن الأثير: (وكان زهير بن القين البجلي قد حجّ، وكان عثمانيّاً، فلمّا عاد جمعهما الطريق من مكّة إلاّ أنّه لا ينزل معه، فاستدعاه يوماً الحسينُعليه السلام فشقّ

(١) تهذيب التهذيب، ج٥، ص١٥، و ص٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج٦، ص٢٦١.

(٣) تهذيب الكمال: ج ٤، ص١٦٢.

عليه ذلك، ثمّ أجابه على كُرْه، فلمّا عاد من عنده نقل ثقله إلى ثقل الحسين عليه السلام، ثمّ قال لأصحابه: مَن أحبّ منكم أن يتبعني وإلاّ فإنّه آخر العهد، وسأحدّثكم حديثاً: غزونا بلنجر فَفُتِحَ علينا، وأصبنا غنائم ففرحنا، وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيّد شباب أهل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم. فأمّا أنا فأستودعكم الله، ثمّ طلّق زوجته وقال لها: إلحقي بأهلك)[1].

ويقول السيد الأمين: (زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، استشهد مع الحسين عليه السلام سنة ٦١ هـ كان زهير أوّلاً عثمانياً وكان قد حجّ في السنة التي خرج فيها الحسين عليه السلام، فلمّا رجع من الحج جمعه الطريق مع الحسين، فأرسل إليه الحسين فكلّمه، فانتقل علوياً وفاز بالشهادة)[2].

ويقول الشيخ السماوي عن زهير بن القين: (وكان أوّلاً عثمانياً، فحجّ سنة ستين في أهله، ثمّ عاد فوافق الحسين عليه السلام في الطريق، فهداه الله وانتقل علويّاً)[3].

سؤال وجواب

وهنا - وبعد كلّ ما تقدّم - لابدّ لنا أن نسأل عن ماهية هذه العثمانية التي حملها ونقلها لنا التاريخ عن الشهيد الكربلائي زهير بن القين (رض)، وكيف يمكن - يا ترى - أن ينسجم مِثْل هذا الأمر - على فرض صحّته - مع المواقف

---

(١) الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤٢.

(٢) أعيان الشيعة: ج٧، ص٧١ - ٧٢.

(٣) أبصار العين للسماوي: ص١٦١.

العظيمة التي صدرت منه (رض) ونقلها لنا التاريخ؟ لاسيّما قوله للحسين عليه السلام: والله، لو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين - إلاّ أنّ فراقها في نصرك ومواساتك - لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها)[١].

وحتى نجيب عن هذا السؤال المهمّ وأسئلة أخرى كثيرة معه، يوجد عندنا اتجاهان أو رأيان، أحدهما مشهور، بل ربّما يكون هو الرأي المتاخم للإجماع إن لم نقل بالإجماع، وهو الرأي الناقل والقابل لعثمانيّة الشهيد زهير بن القين (رض). وفي قبال هذا الرأي هناك مَن لا يرى عثمانية الشهيد الكربلائي، كما يذهب إلى ذلك جماعة من العلماء المحقّقين.

وحتى تكون الفائدة أكبر والنفع أعظم، سوف نحاول أن نسلّط الأضواء على الرأيين معاً؛ من أجل أن يكون القارئ أكثر إحاطةً وفهماً بما كُتب ويُكتب عن الشهيد الكربلائي (رض)، مسلّطين الأضواء في نفس الوقت على ما يمكن أن يكون مورداً للعِظة والعبرة والدرس تحت كلّ من هذين الرأيين.

الرأي الأوّل

عمدة ما يمكن أن يَستدل به أصحابُ هذا الرأي على عثمانية الشهيد زهير ابن القين (رض)، هي مجموعة من الروايات التي أشارت إلى عثمانيّة الشهيد، إمّا نصاً وإمّا بألفاظ أخرى تُعطي نفس هذا المعنى أو ما يقرب له، كما روي — مثلاً - أنّه كان يكره مسايرة الإمام الحسين عليه السلام حتى في الطريق، أو أنّه كان أمويّ الهوى، أو ما شاكل ذلك من الألفاظ التي تصبّ في معنى واحد مهمّ، وهو عدم

(١) جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٣٩.

ملاءمة هوى الشهيد الكربلائي وعقيدته هوى الحسين عليه السلام وعقيدته، ولقد ذكروا في هذا العدد مجموعة من الروايات أذكر منها ما يلي:

١ ـ ورد في كتب التاريخ والمقاتل وغيرها، أنّ عزرة بن قيس البجلي – وهو قائد كبير – كان على خيّالة الجيش الذي زحف يوم العاشر من المحرّم لحرب الحسين بقيادة عمر بن سعد، قال للشهيد الكربلائي زهير بن القين: يا زهير، ما كنتَ عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كنتَ عثمانيّاً[١].

٢ ـ يقول البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف): (قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكّة، وكان عثمانيّاً)[٢].

٣ ـ ويقول أبو مخنف في مقتله: (عن رجل من بني فزارة قال: كنّا مع زهير ابن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتى نزلنا في منزل لم نرَ بُدّاً من أن ننازله فيه)[٣].

إضافةً إلى ما ذكره الآخرون أمثال ابن الأثير وغيره، والذي لا يخرج عمّا ذكرتْه الروايات الثلاثة المتقدّمة إجمالاً، بل وكذا ورد نفس هذا المعنى في كتب علمائنا أمثال السيد الأمين في الأعيان، والمقرم في مقتله، وأمثالهما[٤].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ج٣، ص٣١٤.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص١٣٠٤، دار الفكر (بيروت)، تحقيق: د. سهيل زكار، د. رياض زركلي.

(٣) مقتل أبي مخنف: ص١٦٢، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي.

(٤) السيد الأمين في الأعيان: ج٧، ص٧١ – ٧٢. مقتل الحسين للمقرّم، ص١٧٧.

عظات وعبر

وتحت هذا الرأي الأول الذي يذهب إليه جُل العلماء من المدرستين، توجد هناك مجموعة من العظات والعبر المهمّة علينا أن نسلّط الأضواء عليها، حتى تكون لنا مرجعاً وموئلاً نلوذ بها عند الشدائد.

١ . عثمانيّ غير معاند

ليس عيباً على الإنسان أن يتخذ له في حياته منهجاً أو مذهباً فكرياً أو حتى طريقة اعتقادية معينة، مؤمناً أنّه الحق الذي لا باطل فيه، ولكنّ العيب كلّ العيب أن يبقى مثل هذا الإنسان مصرّاً على رأيه، متمسكاً بمعتقده حتى بعد بيان فساده وضلاله وانحرافه، لاسيّما ونحن نعلم أنّ الحق بيّن واضح جَلِيّ كالشمس لا يمكن أن تحجب بالغيوم، فلا يمكن كتمان الحق إلى الأبد، ولا القضاء عليه إلى الأبد.

يقول الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدّث عن الحق والباطل وأنّهما لا يمكن أن يختلطا بالشكل الذي لا يُميَّز فيه أحدهما عن الآخر، خصوصاً في قلب الإنسان وضميره:

«لا يستيقن القلب أنّ الحق باطل أبداً، ولا يستيقن القلب أنّ الباطل حق أبداً» (١).

وهذه بتقديري حجّة بالغة لله على خلقه ﴿**فَلِلَّه الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ (٢)، بحيث إنّ الإنسان لو عاد إلى قلبه وتأمّل فيه بعيداً عن كلّ المؤثرات الأخرى، لأصبح

(١) تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي، ج٢، ص١٤٢.

(٢) الأنعام: ١٤٩.

هذا القلب مقياساً لمعرفة الحقّ وبيانه وكشف الباطل وإدانته، وإذا ما تبيّن الحق وبانتْ معالمه، فعلى الإنسان أن يُذعن له ويسلّم، فإنّ حقيقة الإيمان هي الإذعان والتسليم ظاهراً وباطناً إلى الحق.

ولقد مدح الله سبحانه وتعالى جماعة من النصارى وميّزهم عن اليهود، لا لشيء، إلاّ لأنّهم كانوا لا يستكبرون عن الحق إذا رأوه واطّلعوا عليه.

يقول القرآن الكريم:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [(١)].

يقول الطبرسي في تفسيره: إنّ هذه الآية الكريمة نزلت في النجاشي وجماعة من النصارى من أصحابه، ثمّ ساق الحديث في سبب النزول، إلى أن وصل إلى قوله: (فقال النجاشي لجعفر: هل تحفظ ممّا أنزله الله على نبيّك شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ سورة مريم، فلمّا بلغ قوله:

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [(٢)].

فقال: هذا والله هو الحق، فقال عمرو: إنّه مخالف لنا فردّه إلينا، فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال: اسكت، والله لئن ذكرتَه بعد بسوء لأفعلنّ بك، وقال: أرجعوا إلى هذا هديّته، وقال لجعفر وأصحابه: امكثوا، فإنّكم

---

(١) المائدة: ٨٢.

(٢) مريم: ٢٥.

سَيُوم، والسيوم الآمنون)[١].

وعليه، فإذا ما ظهرتْ بوادر الحق من أحد - أيّاً كان هذا الأحد - فينبغي عليه أن يقبله، فإنّ الإعراض عنه يورث طبعاً تكون نتيجته سلوك طريق الباطل والحيد عن طريق الحق.

يقول القرآن الكريم:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾[٢].

حيث انتهوا إلى نهاية بشعة مؤلمة، فقد تركهم الله عزّ وجلّ في غيِّهم وشهواتهم يتردّدون، فلم يمنحهم اللطف والرحمة التي يمنحها للمؤمنين حينما يدلّهم على طريق الهداية وسبيل النجاة، لاسيّما عندما تكثر الفتن وتتعدّد السبل:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٣].

ولقد تحدّث القرآن الكريم في طيّات آياته الكريمة عن نموذج من أولئك الذين تُركهم الله، بعد أن أصمّوا أسماعهم عن سماع الحق وأعينهم عن رؤيته وقلوبهم عن الإحساس به وكانوا قادرين عليه.

---

(١) تفسير الطبرسي.

(٢) الأعراف: ١٤٦.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

وهذا النموذج هو الوليد بن المغيرة المخزومي، عظيم مكّة، وكان يملك من القدرات والمؤهّلات ما يستطيع من خلالها أن يميّز الحق من الباطل، حيث لمس بنفسه وتيقّن بقلبه أنّ ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله ليس سحراً وإنّما هو وحي من قبل الله عزّ وجلّ، ولكنّه وقف بين أمرين: فإمّا أن يُذعن للحقّ ويسلّم له، وإمّا أن يُذعن لهواه وهوى قومه فيتكبّر عليه، فاختار الأمر الثاني دون الأوّل.

ولكن ما الذي جرى يا ترى على الوليد بعد ذلك؟ وماذا قال عنه القرآن الكريم؟ وكيف عبّر عنه وبأيّ لهجة؟

يقول الله سبحانه في سورة المدّثر وهو يسرد لنا قصّة هذا النموذج المتكبّر عن الحق:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (١).

وعليه، فليس المهمّ أن يطّلع الإنسان على الحق أو أن يعرفه، وإنّما المهمّ أن تُذعن له نفسه وتُطيع.

يقول ابن مسعود: (مَن جاءك بالحقّ فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومَن جاءك بالباطل فاردده وإن كان حبيباً قريباً)(٢).

---

(١) المدثر: ١٨ ـ ٢٩.

(٢) تفسير الطبري الكبير: ج٩، ص٦٠١.

فالمعيب في الإنسان هو عدم قبوله للحقّ بعد ظهوره له وبيانه عنده، ومن هنا نعرف أنّه ليس كلّ منحرف عن الحق يُعبّر عنه بأنّه معاند، بل المعاند هو ذلك الإنسان الذي بانت له ملامح الحقّ فرفضها مع علمه بصحّتها وأحقّيتها.

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (١).

وإلاّ فإنّ هناك الكثير من المنحرفين عن نهج وخط أهل البيتعليهم السلام في ما مضى، وفي هذا الوقت كذلك الذين لم يكونوا في يوم من الأيام من المعاندين والرافضين لهم، بل إنّ كلّ ما يمكن أن يُقال في حقّهم هو أنّهم كانوا من المغرَّر بهم نتيجة الدعايات المضلّلة والكاذبة لوعّاظ السلاطين ومَن في فلكهم، حتى أعْمَوْهم عن رؤية الحق والاستماع إليه.

ولذا تراهم ما أن يطّلعوا على الحقّ أو يستمعوا إليه حتى ينقلبوا رأساً على عقب، فيتحوّلوا إلى مذهب أهل البيتعليهم السلام، بل ويتفوّقوا على مَن لم يكن منحرفاً في ثقافتهم ومعرفتهم، ولقد كان الشهيد زهير بن القين (رض) هو من هؤلاء الذين حَظَوا بهذه المرتبة الجليلة وهذه المنزلة النفيسة بالانتقال إلى خطّ أهل البيتعليهم السلام، فمع أنّه كان عثمانيّ الهوى، غير أنّ الزمن بيّن أنّ كلّ هذا كان نتيجة الإعلام الأموي الكاذب ليس إلاّ؛ ولهذا تراه بمجرّد أن التقى الحسينَعليه السلام وتحدّث إليه مال إلى ركب الحقّ وترك ما سواه، ليتركها للتاريخ أنّه لم يبتعد عن الحسينعليه السلام عن تقصير وإنّما عن قصور.

---

(١) النمل: ١٤.

٢ . زهير بن القين (رض) والقرار الشجاع

درس مهمّ وكبير يمكن لنا أن نسلّط الأضواء عليه في حياة الشهيد زهير بن القين (رض)، حيث يحتاج الناس إليه، على المستوى الفردي والجماعي وفي كلّ مرحلة من مراحل الحياة وعلى كافّة المستويات.

لقد خلق الله عزّ وجلّ الإنسان خليفةً له على وجه هذه البسيطة، وأخبره بأنّه سوف يكدح في طريق تصاعدي تكاملي للوصول إليه سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾[١].

ولقد حمّل الله سبحانه الإنسانَ في طيّات هذا الكدح مجموعةً من التكاليف والمسؤوليات التي ينبغي علينا أداؤها أفراداً وجماعات، حتى نكون قد أتينا بمقتضى هذا الاستخلاف، وواحدة من هذه التكاليف التي حمّلها الله عزّ وجلّ لهذا الإنسان هي ضرورة انتصاره على شهواته وغرائزه، ووقوفه أمام هوى نفسه ومكائده، بل ومن كلّ ما هو مرتبط بحفنة التراب من شدٍ إلى مستنقع الفساد والرذيلة.

كل ذلك من أجل أن تبقى نفس الإنسان - وعلى مدى الحياة - ترفل بالعزّة والكرامة والنعمة.

ولا شكّ أنّ مثل هذا الهدف السامي - لاسيما وهو يتعلّق بالنفس وما تريد - لا يمكن الوصول إليه بسهولة، بل لابدّ من وجود عوائق وحواجز وموانع على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي تَحوْل دون أن يكمل هذا الإنسان هذه

---

(١) الانشقاق: ٦.

المسيرة التكاملية إلى الله عزّ وجلّ.

ومن هنا احتاج الإنسان فرداً واحتاجت الأمّة جماعةً إلى قرار شجاعٍ يمكن له ولها من خلاله أن تعبر كلّ هذه الموانع؛ لتصل إلى الضفّة الأخرى وهي مرفوعة الرأس شامخة الهامة.

ولقد رسم لنا القرآن الكريم - وهو دستورنا الخالد ومرجعنا الأساس - في طيّات آياته الكريمة نماذج من أولئك الذين عاشوا هذه القرارات الشجاعة، وتحمّلوا كلّ ما ترتّب عليها من آثار، كلّ ذلك لإيمانهم بأهمّية هذه القرارات على مجمل حياة الإنسان، فهذا حبيب النجّار ربّما كان سيظلّ حظّه من الدنيا تجارته لا غير، ولكنّه حينما وقف إلى جانب الأنبياء - على قلّة أتباعهم وكثرة أعدائهم - واتّخذ القرار الشجاع في ذلك، خلّده الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم في أجمل ما يمكن أن يفتخر به الإنسان، يقول في سورة ياسين:

﴿ وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[1].

---

(١) يس: ٢٠ - ٢٦.

فقد تحوّل هذا الإنسان إلى رمزٍ لكلّ المؤمنين حينما تقف أمامهم الأكثرية الكافرة المشركة لتردعهم عن دينهم وعن قِيَمهم وما آمنوا به، بل إنّه تحوّل إلى ناصح لقومه في حياته وبعد مماته:

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾.

ولولا قراره الشجاع لَمَا كان له كلّ هذا الإطراء من قِبل الله عزّ وجلّ.

وهذه امرأة فرعون التي كانت تعيش في أعلى درجات العزّ والرفاه والحشم والخدم، كانت كلّ طلباتها مسموعة ومنفّذة، ولم يكن هناك ما يمكن أن ينغّص عليها هذا النعيم، حتى فرعون كان ذائباً في حبّها؛ لأنّه كان محافظاً عليها ومبقياً لها، حتى مع عدم إنجابها الولد والذرّية، وكان بإمكانه أن يستبدلها بأجمل النساء، ولكنّه أبى إلاّ زوجته.

إذاً، ما هو الشيء الذي دعا أن تُعلن - وبقرار شجاعٍ - إيمانها بالله، ومن ثم تخرج من كلّ هذا النعيم طالبةً من الله أن يبني لها قصراً في الجنّة؟

إنّه ليس إلاّ صدقها مع الله سبحانه الذي أبى إلاّ أن تبوح به وبشجاعة ملفتة للنظر، لتتحوّل بعد ذلك إلى مَثَل يضربه الله عزّ وجلّ للرجال وللنساء معاً:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

---

(١) التحريم: ١١.

أمّا فتية أهل الكهف فكانت لهم مع آيات الله سبحانه وقفة في تخليد موقفهم والإشارة لقرارهم الشجاع، حينما أعلنوها مدوّية:

﴿ هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[1].

وما أعظم تلك الوقفة الشجاعة التي وقفها المقداد بن الأسود مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، حينما استشار المسلمين في قتال المشركين فأخذ البعض يثبّط والآخر يحبّط، وعندها أعلن المقداد قراره الشجاع فانفرجتْ لأجله أسارير رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا رسول الله، امضِ لمَا أمرك اللهُ، فنحن معك والله لا نقول ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرتَ بنا إلى بَرَكِ الغَمَاد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه)[2].

ولقد تميّزت كربلاء فيما تميّزت به بأنّها كانت صاحبة القرارات الشجاعة والمصيرية في حياة أصحاب الحسين عليه السلام، فها هو الحرّ (رض) يقف بين الحقّ والباطل يقدّم رِجْلاً ويؤخّر أخرى وقد أخذتْه مِثْل الرِّعْدة، ولكنّه في نهاية المطاف يضرب برجله فرسَه وهو يقول بقرار شجاع وبصوت يسمعه مَن كان إلى

(١) الكهف: ١٥ – ١٦.

(٢) في رحاب المصطفى للشيخ حسن آل ياسين: ص١٦٣.

جانبه: (لا والله، لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطّعتُ)[١].

وها هو سعد بن الحرث وأخوه أبو الحتوف يسمعان الحسين عليه السلام يستغيث في كربلاء طالباً الناصر والمعين، وإذا بهما يميلان بسيوفهما إلى جانب الحسين عليه السلام بقرار مصيري شجاع، وهكذا كان أمر زهير بن القين (رض)، حيث اتّخذ القرار الشجاع بعد حديثه مع الحسين عليه السلام، وهذا القرار هو الذي نقل زهير من الثرى إلى الثريا، ومن ملامسة التراب إلى معانقة السحاب.

القرارات المصيرية

وممّا يُلفت النظر في هذا القرار المصيري أنّه لم تكن فيه فترة تردّد أو تفكير طويل كما هي حال القرارات المصيرية التي يتّخذها الناس في حياتهم، حيث تمرّ عادّةً بمرحلتين:

المرحلة الأولى: هي مرحلة العزيمة والتصميم، ولابدّ لها من مدة زمنية حتى يأخذ التفكير فيها دوره.

والمرحلة الثانية: هي مرحلة تنفيذ هذا القرار.

ولكنّ الأمر قد اختلف تماماً مع الشهيد الكربلائي، فتراه قد اختصر المرحلتين بمرحلة واحدة، حيث قال بعد رجوعه من الحسين مباشرة: (مَن أحبّ منكم نصرة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلاّ فهو آخر العهد)[٢].

وما أكرم الإنسان عندما يفيء إلى الله تعالى ويستجيب لدعوته، ويبصر

---

(١) مقتل أبي مخنف: ص٢١٤، تحقيق الشيخ هادي اليوسفي.

(٢) مقتل الحسين للمقرّم: ص١٧٧.

أمامه الطريق المستقيم من أجل أن يقوم بدوره في هذه الحياة ويُدرك معنى وجوده فيها، وعندئذ تتحقّق له الحياة الحقيقية، الحياة الكريمة الطيّبة، فالذين يستجيبون لله ولرسوله ولدينه ظاهراً وباطناً هم الأحياء وإن ماتوا، وهم الأغنياء وإن قلّ ما في أيديهم، وهم الأعزّة وإن خذلتْهم البيوت والعشائر.

ولابدّ للإنسان حتى تحصل عنده هذه الاستجابة أن تكون عنده القوّة والعزيمة أوّلاً، ثمّ القرار والتنفيذ ثانياً، وربّما أشار الله عزّ وجلّ إلى هذا بقوله وهو يتحدّث عن يحيى:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [1].

وقوله:

﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [2].

وهذا هو شأن الإنسان المؤمن الداعي إلى الله عزّ وجلّ والمستجيب له، إنّه الإنسان القوي الشجاع الذي لن يحمل الدعوة إلى الله ولن يصبر على عوائق طريقها إلاّ هو، دون الجبناء الذين لا يعرفون إلاّ الخوف وإلاّ التردد في اتّخاذ القرارات المصيرية.

وعلينا - إذا ما أردنا أن نعي هذا الدرس ونفهم الشهيد زهيراً حقّ الفهم - أن نتّخذ القرارات المصيرية، لاسيّما المرتبطة بالله وبشريعته بشكل سريع من دون تردّد، وإلاّ فسوف نقع بما وقع فيه عبد الله بن الحر الجعفي، حيث

(١) مريم: ١٢.

(٢) الأعراف: ١٧١.

خذل الحسين عليه السلام ولم ينصره، فعاش الحسرة والندامة، ولكن ولات ساعة مندم.

فيَا لكِ حسرةً مادُمتُ حيّاً   تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقِي والتَّرَاقِي

حُسَيْنٌ حِيْنَ يَطْلُبُ بَذْلَ نُصْرِي   عَلَى أَهْلِ الضَّلالةِ وَالشِّقَاقِ

غَدَاةَ يَقُوْلُ لِي بِالقَصْرِ قَوْلاً   أَتَتْرُكُنَا وَتَزْمَعُ بِالفِرَاقِ(١)

٣ . والعاقبة للمتقين

ربّما لا يوجد هناك هدف يسعى إلى تحقيقه المؤمنون في هذه الدنيا أعظم من خاتمة حسنة، يمكن أن تبيِّض وجه الإنسان يوم يَفِدُ على الله عزّ وجلّ، بل يستطيع الإنسان أن يقول وبضرس قاطع إنّها تُمثّل بحقٍّ الحاجة التي لا تعدلها حاجة أخرى مهما علتْ وغلتْ.

وقد ورد في أدعية أهل البيت عليهم السلام ما يشير إلى مثل هذا المعنى، فقد ورد في صحيحة معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام وهو يتحدّث عمّا يدعو به الإنسان في أعظم أيّام الدعاء إلى الله عزّ وجلّ، ألا وهو يوم عرفة:

«**اللّهمّ حاجتي إليكَ التي إن أعطيتَنِيْهَا لم يضرّني ما مَنَعْتَنِي، والتي إن منعتَنِيْها لم ينفعني ما أَعْطيتَنِي، أسألك خلاص رقبتي من النار**»(٢).

---

(١) أدب الطف: ج١، ص٩٦.

(٢) مناسك الحج والعمرة للسيد محمد سعيد الحكيم: مندوبات الوقوف بعرفة، مسألة ٣٥٠.

ولا شكّ أنّ ذلك لا يكون إلاّ بعاقبة حسنة طيّبة يرضاها الله سبحانه، وممّا لا ريب فيه ولا شبهة أنّ مِثْل هذا الهدف السامي والأمنية العظيمة ليست سهلة المنال، بل تحتاج إلى كفاح وجهد وعناء للوصول إليها؛ لأنّ جميع أعمال الإنسان الصالحة والتي يقوم بها - على فرض حصولها منه - لا يمكن له أن يقطع بأنّها مقبولة عند الله عزّ وجلّ، وهذا ممّا يزيد الأمر صعوبة، فقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام:

«الدنيا كلّها جهل إلاّ مواضع العلم، والعلم كلّه جهل إلاّ مواضع العمل، والعمل كلّه رياء إلاّ ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر عظيم حتى ينظر العبد بما يُختم له» [١].

أعمال زهير بن القين والعاقبة الحسنة

ربّما لا يمكن للإنسان أن يقطع بنوع الأعمال التي قام بها الشهيد زهير بن القين حتى صار مؤهّلاً لمثل هذه العاقبة التي يرجوها ويتمنّاها كلّ إنسان مؤمن بالله وباليوم الآخر، ولكنّنا في نفس الوقت لا نشكّ أنّ هذه النتيجة التي وصل إليها إنّما جاءت بعد مقدّمات عملها وصنعها الشهيد السعيد (رض)، وهذه المقدّمات - باعتقادي - ليست إلاّ أعمالاً ندبت إليها الشريعة قرآناً وسنةً من أجل التحلّي بها والسير على نهجها، ومنها:

أ . عدم إرادة العلوّ والفساد في الأرض

يقول القرآن الكريم:

(١) الوافي بالوفيات: ج١٤، ص٥٤، في وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر.

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً ﴾[1].

والمراد من العلوّ في هذه الآية الكريمة التكبّر والتجبّر على خلْق الله تبارك وتعالى؛ نتيجة المال والسلطان والجاه والمنزلة التي يمكن أن يتمتّع بها دون الآخرين.

يقول الإمام أمير المؤمنين:

«إنّ هذه الآية الكريمة نزلت في أهل العدل والتواضع من الوُلاة وأهل القُدْرَة من الناس»[2].

وأهل القدرة من الناس أولئك الذين أعطوا نصيباً من المال وغيره من الامتيازات، ينظر الله لهم كيف يعملون، بل إنّ الإمام أمير المؤمنين قد وسّع من دائرة هذا العلوّ الذي تقصده الآية الكريمة ليشمل حتى شراك فعل الإنسان إذا ما تباهى فيه أمام الناس، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ الرجل ليعجب إن يكن شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها»[3].

ولقد ذكر الذين تحدّثوا عن الشهيد الكربلائي زهير بن القين أنّه كان من شخصيات الكوفة من حيث المال والجاه والمنزلة، ولكنّه مع ذلك كلّه لم يُنقَل أنّه

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٢، ص٣١٠.

(٣) تفسير الأمثل: ج١٢، ص٣٠٩.

تكبّر على أحد من الناس أغنياء وفقراء.

يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي: (ولقد كان زهير بن القين يملك المال والعيال كما كان يملكه الضحاك بن عبد الله، وكان يعيش دنياه كما كان يعيش الضحّاك دنياه، بل قد يكون حظ زهير من الدنيا أعظم من حظ الضحاك، فقد كان زهير بن القين زعيماً في قومه وجيهاً في بلده ولم يحفل المؤرخون بأمر الضحاك وصاحبه في شأن من شؤون الدنيا)[1].

ب. التقوى

وهذا ما يؤكّده القرآن في أكثر من آية كقوله:

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

وقوله:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[3].

وقوله:

﴿ إَن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾[4].

وقوله:

---

(١) في رحاب عاشوراء للشيخ محمد مهدي الآصفي: ج٢، ص٣٠٤.

(٢) القصص: ٨٣.

(٣) الطلاق: ٤.

(٤) الأنفال: ٢٩.

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [(١)].

وإلى ما شاء الله تعالى من هذه الآيات، التي تدلّل جميعها على معنى واحد مهم، وهو النهاية الحسنة الطيبة.

ولقد عرف الشهيد زهير بن القين بكثرة تقواه وورعه وخضوعه وخشوعه لله سبحانه وتعالى، بل كان من العُبّاد الذين عُرفوا في داخل الكوفة وخارجها، ولولا هذه التقوى التي تمتع بها لَمَا وفّق لمثل هذا العمل العظيم، حتى صار محلّ استجابة دعاء رسول الله ودعوته لنصرة ولده عليه السلام، كما حصل ذلك واقعاً في منطقة زرود حينما التقى فيها الحسين عليه السلام.

ج . القلب السليم

هو مركز أحاسيس الإنسان ومشاعره، ومنه ينطلق الخضوع إلى سائر أنحاء الجسد، ومنه تُدرك الرقّة وتسقط الدمعة، وهو القائد إلى الله سبحانه وتعالى عندما تنعدم السبل، إنّه معجزة الله مع هذا الإنسان، وقد وردت آيات وروايات كثيرة، كلّها تؤكّد أنّ هذا القلب إذا صلح صلح الإنسان وكانت عاقبته إلى خير، وإذا فسد فسد هذا الإنسان وكانت عاقبته إلى شرّ، وفيها قول الله عز وجل:

﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [(٢)].

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله:

(١) يوسف: ٩٠.

(٢) الشعراء: ٨٨ – ٨٩.

«ما مِن عبدٍ إلاّ وفي وجهه عينان يبصر بهما أمرَ الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمرَ الآخرة، فإذا أراد بعبدٍ خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعده بالغيب فآمن بالغيب على الغيب» [١].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«إذا أراد الله بعبدٍ خيراً رزقه قلباً سليماً، وخلقاً قويماً» [٢].

وقد رزق اللهُ عزّ وجلّ الشهيدَ زهير بن القين هذا القلب الطاهر السليم حتى صار محلاًّ لفيوضات الله تبارك وتعالى، فسلم عمله وانتهى إلى عاقبة حسنة مباركة:

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [٣].

د . ولا تستبدل به غيري

دعاء عظيم الشأن من أدعية أئمّة أهل البيت عليهم السلام، روي عن أكثر من إمام، ومن جملة رواة هذا الحديث هو أبو هاشم، حيث يقول: (كتب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام أحدُ مواليه يسأله أن يعلّمه دعاءً، فكتب إليه أن يدعو بهذا الدعاء:

«يا أسمعَ السامعينَ، ويا أبصرَ الناظرين... واجعلني مِمَّن تنتصرُ به لدينكَ ولا تستبدلْ به غيري».

قال أبو هاشم: فقلتُ في نفسي: اللّهمّ اجعلني في حزبِكَ وفي زمرتك، فقال

---

(١) ميزان الحكمة: ٨، ص٢٢٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٨، ص٢٢٢.

(٣) الرعد: ٢٤.

أبو محمد العسكري:

«أنت في حزبه وزمرته، إذ كنتَ بالله مؤمناً، ولرسوله مصدّقاً، ولأوليائه عارفاً، ولهم تابعاً»[1].

ربّما يكون من مصاديق هذا الدعاء الشريف - الذي يرجو فيه الإنسانُ المؤمنُ أن لا يستبدله الله عزّ وجلّ في نصر دينه وإعزاز كلمته بآخرين - هو الشهيد زهير بن القين (رض) وعبيد الله بن الحرّ الجعفي، فقد التقى الحسين بهما في طريقه إلى العراق، أحدهما في قصر بني مقاتل، والثاني في منطقة زرود، وقد طلب الحسين عليه السلام من كليهما النصرة له، وإذا بعبيد الله بن الحر الجعفي - وهو الشخص المعروف في تشيعه وولائه لأئمة أهل البيت عليهم السلام - يجيب الحسين عليه السلام بكلمات ملْؤها الخوف من الموت والفرار منه والتمسّك بهذه الدنيا وزخارفها الفارغة بشكل ملفت للنظر، حتى أنّ المؤرّخين لَيَذكرون أنّ الحسين عليه السلام ذهب بنفسه الشريفة إليه ووقف عنده ودعاه بنفسه إلى نصرته، حيث قال له:

يا بن الحر، إنّ أهل هذا المصر كتبوا إليّ أنّهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم عليهم، وليس الأمر على ما زعموا، وأن عليك ذنوباً كثيرة فهل لك من توبة تمحي بها ذنوبك؟».

قال: وما هي يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال:

تنصر ابن بنت نبيّك وتقاتل معه.

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص٣٨٣.

فقال ابن الحر: والله، إنّي لأعلم أنّ مَن شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أُغني عنك ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطّة، فإنّ نفسي لا تسمح لي بالموت ولكن فرسي (الملحقة) هذه خذها، والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلاّ لحقتُه، ولا طلبني أحدٌ وأنا عليها إلاّ سبقتُه، فخذها فهي لك.

قال الحسين عليه السلام:

أمّا إذا رغبتْ عنّا بنفسُك فلا حاجة لنا بفرسك ولا فيك:

﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[1][2].

والحسين عليه السلام بكلمته الأخيرة ربّما أشار إلى ما نريد أن نتحدّث عنه من خلال استشهاده عليه السلام بالآية الكريمة، فإنّ مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يكون عضداً للدين ويُعتمد عليه، لاسيّما والحسين عليه السلام ذاهب لنصرة هذا الدين، ومن ثم لابدّ أن يستبدله الله عزّ وجلّ استناداً إلى سنّته القرآنية كما سوف نتحدّث عنها، ولكن إذا شاءت إرادة الله أن يستبدل عبيد الله بن الحر الجعفي، فمع مَن يا ترى سوف تقع هذه السنّة؟

من هنا شاءت إرادة الله عزّ وجلّ أن يعطينا نموذجاً من نماذج الاستبدال والحسين عليه السلام ما زال في طريقه إلى العراق، وأن يكون المُستبدَل به هو الشهيد زهير بن القين (رض)، هذا الرجل الذي لم يُعرف بولاءٍ ولا تشيّع لأهل

---

(١) الكهف: ٥١.

(٢) أسرار الشهادة: ص٢٣٣. الأخبار الطوال: ص٢٤٩. نفس المهموم: ص١٠٤.

البيت عليه السلام، بل كان عثمانيّ الهوى، يطلب الحسين عليه السلام منه النصرة له كما طلبها من المستبدل، ولكن هنا يختلف المشهد وتختلف الاستجابة، فقد نقل لنا المؤرّخون أنّ زهير بن القين سرعان ما رجع من الحسين وهو مستبشر مسرور، فقال لزوجته: أنت طالق، الحقي بأهلك، فإنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلاّ خير[(١)].

وفي رواية الملهوف أنّه قال: (قد عزمتُ على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه برمحي)[(٢)].

وهنا - وفي هذا المكان بالذات - تتحقّقت آثار الدعاء، فيستبدل عبيد الله ابن الحر الجعفي بالشهيد زهير بن القين (رض) وينتصر به للدين ولرسوله الأمين ولسبطه الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

درس من حياة الشهيد

لقد تحوّل الشهيد (رض) بموقفه هذا والمواقف الأخرى التي سوف تأتي إلى رمزٍ من رموز الإسلام الخالدة، التي يسير خلفها المسلمون ويلهج بذكرها المؤمنون السائرون في طريق الله عزّ وجلّ، ولقد كان لموقف زرود وما جرى فيها من انتقالة سريعة إلى خطّ أهل البيت عليهم السلام، وتباطؤ مَن كان في خطّهم عن نصرتهم عليهم السلام، درسٌ لابدّ لنا من تسليط الضوء عليه والتزوّد من معالمه.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ج٧، ص٢٩٠.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦٤.

الاستبدال سنّة قرآنية

الاستبدال كمفهوم وكسنّة قرآنية معناه: أن يستبدل اللهُ عزّ وجلّ الطالحَ بالصالح والعاصي بالمطيع والفاجر بالمؤمن والظالم بالعادل، وما شاكل ذلك من المفردات الحياتية التي يعيشها ويحسّ بها كلّ إنسان على وجه هذه البسيطة.

يقول القرآن الكريم وهو يتحدّث عن موسى وأصحابه فيما لاقوه من ظلم فرعون وجبروته:

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [1].

وسنّة الاستبدال التي تحدّث عنها القرآن الكريم كانت على مستويين أو جانبين إن صحّ التعبير:

أمّا الجانب الأوّل: فهو الجانب العام الذي يشمل الأمّة بكاملها.

وأمّا الجانب الثاني: فهو الجانب الفردي.

ويبدو أنّ في كلّ منهما كان العهد قد أخذه الله عزّ وجلّ في نصره ونصر دينه.

يقول القرآن الكريم:

---

(١) الأعراف: ١٢٨ – ١٢٩.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ [1].

ويقول:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [2].

ومعنى العهد الذي أُخذه الله عزّ وجلّ لهم، هو أن يمكّنوا في الأرض ويعيشوا العزّة والكرامة والنعمة، وأن يكونوا أصحاب اليد العليا أبد الآبدين، ولكن - وهذا هو الأهمّ - إذا ما تخلّوا عن ذلك العهد وما يتضمّنه من التزامات فسوف يعيشون الذلّ والهوان، وفي النهاية سوف يُستبدلون من قِبل الله عزّ وجلّ بأناس آخرين:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [3].

أسباب الاستبدال

ولقد تحدّث القرآن الكريم عن أسباب رئيسية ثلاثة تترتّب عليها سنّة الاستبدال.

وهي كالآتي:

(١) التوبة: ١١١.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) محمد صلى الله عليه وآله: ٣٨.

١ . تخلّي الأمّة أفراداً وجماعات عن المسؤوليات الملقاة عليهم

وهذا ما يؤكّده القرآن الكريم بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

ولا شك أنّ التخلّي عن الجهاد من الأمّة أفراداً وجماعات هو المقصود الأوّل للآية الكريمة في تخلّي الناس عن مسؤوليّاتها أمام الله تعالى ونصرة دينه.

٢ . التخلّي عن الإنفاق

وهذا – لا شكّ – مورد من الموارد الهامّة التي لابدّ من توفّرها في داخل المجتمع الإسلامي؛ حتى تسير عجلة الحياة بشكل صحيح، فالمال هو العنصر المهمّ الداخل في عملية الجهاد، بل ربّما لا يتمّ الجهاد إلاّ به، فضلاً عن أهمّيته في رفع معاناة الفقراء والمساكين والمُعْدَمين في داخل المجتمع، إضافة لِمَا يمثّله مثل هذا العطاء والإنفاق من مورد مهمّ وكبير لخزينة الدولة، فإنّ الدولة وما تملكه إنّما ينتهي آخر الأمر إلى ما يقدمه الناس إلى خزينها من حقوق وضرائب وما شاكل ذلك.

ولهذا كلّه وغيره عبّر القرآن الكريم عن أهمّية الإنفاق، وأنّ من جملة آثار البخل فيه التخلّي عنه هو سنّة الاستبدال:

---

(١) التوبة: ٣٩.

﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [1].

٣ . الارتداد عن الدين

للإنسان كامل الحرية أن يختار الإسلام ديناً أو أن لا يختاره، ولكن إذا ما اختار الإسلامَ بعد دراسة وبحث وتدقيق فلْيعلم أنّ مثل هذا الاختيار سوف تترتّب عليه آثاره، وواحدة من هذه الآثار هي سنّة الاستبدال:

﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [2].

ولا شك ولا ريب أنّ مثل هذه السنن التي جرتْ على مَن كان قبلنا ستجري علينا شئنا ذلك أم أبينا، فكلّ مَن يتنازل عن دينه وعن عقيدته لقاء متاع من مُتَع هذه الدنيا الفانية وزخارفها الزائلة فإنّ سنّة الاستبدال لا محالة سوف لن ترحمه ولن ترحم قومه إذا كانوا على شاكلته.

يقول الشيخ الطبرسي وهو يتحدّث عن الآية الكريمة:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [3].

(قوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾: أي تعرضوا عن طاعته وعن أمر رسوله.

---

(١) محمد: ٣٨.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) محمد: ٣٨.

﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أمثل وأطوع لله منكم.

﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾: بل يكونوا خيراً منكم وأطوع لله.

وروى أبو هريرة أنّ أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين ذكر اللهُ في كتابه، وكان سلمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله، فضرب بيده على فخذ سلمان فقال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس.

وروى أبو بصير عن أبي عبد الله، قال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ يا معشر العرب ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يعني الموالي. وعن أبي عبد الله قال: «قد والله أبدل بهم خيراً فهم الموالي»[1].

وإذا كان الأمر كذلك علينا أن نتأمل فيما جرى في زرود من سنّة الاستبدال، حيث تخلّى الله لنصر دينه عن إنسان طالما عرف بالموالاة والتشيع لأهل البيت عليهم السلام، وعوّض بإنسان آخر يعيش في خطّ آخر، بعيد كلّ البعد عن خط أهل البيت عليهم السلام، لا لشيء إلاّ بسبب الصدق في التعامل مع الحدث، والإخلاص في تقديم الغالي والنفيس من أجل الدين.

فمَن كانت الدنيا عنده عزيزة من خلال ما يملكه من مال وأولاد وجاه وغيرها، فلا محالة أنّه سيختار عند المواجهة ما اختاره عبيد الله بن الجعفي، ومن اختار ذلك فليتأمّل في مستقبل حياته (معاذ الله)، عقوبة الاستبدال وحينها لا ينفعه أن يقرأ الدعاء فارغاً من العمل والمضمون:

---

(١) انظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج١، ص ١٨٠.

«واجعلني ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل به غيري».

* الرأي الثاني:

زهير بن القين والموالاة لأهل البيت عليهم السلام

كلّ ما مضى من حديث إنّما كان استناداً إلى الرأي المشهور عند المدرستين من أنّ زهير بن القين (رض) كان عثمانيّ الهوى، وقد ذكرنا في طيّات هذا الرأي مجموعة من الدروس والعظات والعبر التي يمكن أن يستلهما الإنسان من حياة الشهيد (رض).

بين يدي الرأي الثاني:

وأمّا من الآن فصاعداً فسوف يكون الحديث مختلفاً جدّاً، فالحديث هنا سيكون عن موالٍ وليس مُعاد، وعن علويّ الهوى وليس عثمانيّ الهوى، ولا شكّ أنّ الحديث في هذا الرأي فيه من الصعوبة والخطورة الشيء الكثير؛ لأنّك سوف تتحدّث عن مسألة تسالم عليها الكتاب والقرّاء والخطباء والجلساء، أو كما يعبّر عنه بأنّه سباحَة عكس التيار.

ولكن ومع كلّ هذا فإنّ مِثْل هذا الأمر لا يمكن أن يوقف قلم الإنسان في أن يكتب ما يعتقد، ويسطّر في طيّات أوراقه ما يراه مناسباً أكثر من غيره؛ استناداً إلى مجموعة في الأدوات والوسائل العلمية، وإلاّ إذا لم نفعل ذلك فإنّنا نكون عندها من الخائنين للأمانة والحقيقة العلمية.

ولا يقولنّ قائل: وما فائدة أن نعرف أكان الشهيد علوياً موالياً أم عثمانياً

معادياً، فالمهم ـ وهذا هو الأساس ـ أنّه وقع شهيداً بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا فيه من الشرف والرفعة ما يغني الإنسان للحديث عن تاريخه وحياته وما كان يعتقد.

أقول: الأمر ليس كما يتصوّر هذا المعترض بهذه البساطة والسذاجة، وإلاّ إذا كان الأمر كذلك إذاً لم يكن هناك فائدة من دراسة العلماء وبشكل تفصيلي دقيق لحياة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحاب الإمام أمير المؤمنين وهكذا بقيّة أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتى صار هناك علم مستقلّ مختص بدراسة الرجال وتسليط الضوء على مجمل حياتهم وما صنعوه وما قدّموه من أجل أخْذ الصالح منها وترك الطالح.

إضافة إلى إمكانية الدفاع عنهم لاسيّما إذا كانوا قد تعرّضوا إلى مظلمة من قِبل التاريخ، وهم كثير لاسيّما أتباع أهل البيت عليهم السلام والمتأثّرين بهم.

ولقد ذكر أصحاب هذا الرأي – على ما يذهبون إليه – جملةً من الأدلّة، وهي كالآتي:

أوّلاً:

مناقشة الروايات – التي تتحدّث عن عثمانية الشهيد زهير بن القين (رض) وكراهة المسايرة للحسين عليه السلام – من حيث السند والدلالة، وعمدة هذه الروايات حسب علمي ثلاثة: وهي رواية البلاذري، والطبري، وأبي مخنف والتي تمثّل أقدم المصادر التي تحدّثت عن هذا الأمر.

١ ـ فيما يتعلّق برواية البلاذري والتي تقول: (قالوا: وكان زهير بن القين

البجلي بمكّة، وكان عثمانياً، فانصرف فأرسل الحسين عليه السلام إليه في إتيانه، فأمرتْه امرأتُهُ ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى، فقالتْ: سبحان الله، أيبعثُ إليك ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تأتيه؟! فلمّا صار إليه ثمّ انصرف إلى رَحْله قال لامرأته: أنت طالق، فالحقي بأهلك، فإنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلاّ خير، ثمّ قال لأصحابه: مَن أحبّ منكم أن يتبعني وإلاّ فإنّه آخر العهد، وصار مع الحسين عليه السلام)[1].

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط:

أ ـ الرواية مرسلة وغير مسندة من البلاذري، حيث جاء فيها (قالوا)، ولا شكّ أنّ مِثْل هذا الأمر سوف يضعّف الرواية ويوهن من قيمتها العلمية، فمَن هؤلاء الذين أخذ عنهم البلاذري؟ وما هي أسماؤهم؟ وهل كانوا عدولاً أم لا؟ ومع وجود الاحتمال فيهم يبطل الاعتماد على هذه الرواية، ومن ثم فالاستدلال بها باطل.

ب ـ ومتن الرواية نفسها - فضلاً عن السند - غير مستقيم أبداً، بل هو مضطرب، حيث عبّرت الرواية عن الشهيد زهير بن القين (رض) أنّه كان عثمانيّاً، وأنّه كان يكره مسايرة الحسين عليه السلام في الطريق، حتى إذا نزل الحسين في مكان نزل زهير في مكان آخر، ولكنّ الرواية في نفس الوقت تذكر بأنّ زهير بن القين قد خرج من مكّة متعجّلاً، وهذا الأمر ممّا يلفت الانتباه في هذه الرواية، فلماذا - يا ترى - كان هذا الاستعجال؟

هل كان استعجاله من أجل الذهاب إلى الكوفة خوفاً على أهله والمتعلّقين

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص١٣٠٤، تحقيق د. سهيل زكار، د. رياض زركلي.

به بعدما تناهى إلى سَمْعه ما جرى وحصل في الكوفة؟

كيف ذلك وجميع أفراد عائلته معه بما فيهم امرأته، أم كان استعجاله إلى الكوفة بعدما جرى وحصل فيها من أجل نصرة ابن زياد ومَن يعمل لهم كيزيد وبني أميّة؟ كيف ذلك وهو العارف بيزيد وابن زياد وبني أميّة وما صنعوه وفعلوه في الكوفة بل وفي العالم الإسلامي من ويلات ومِحَن، حتى أنّ الرواة لينقلون قوله يوم عاشوراء: (إنّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية)[1].

ثمّ إن كان عثمانياً - على ما يتبنّى أصحاب الرأي الأول - فما معنى استعجاله وهو يعلم أنّه سيلتقي الحسين عليه السلام في الطريق وهو ما لا يريده زهير ولا يرغب فيه.

وعليه فلا يبقى أمام الإنسان إلاّ الاحتمال الأقرب الذي يمكن أن نتصوّره حول هذا الاستعجال الذي خرج به الشهيد زهير بن القين (رض) باتجاه العراق، وذلك أنّه أراد أن يلتحق بالحسين عليه السلام بعدما علم بخروجه المفاجئ من مكّة.

وبعبارة أخرى: إنّ الشهيد زهير كان إلى فترة وجيزة يعلم - كما كان يعلم الجميع - بأنّ الحسين عليه السلام سوف يقف على صعيد عرفات مع حجّاج بيت الله الحرام، ولكنّه قرّر الخروج من مكّة سريعاً.

ويبدو أنّه لم يُعلن خروجه هذا على الناس، بل إنّ الرواية لتنقل أنّ الحسين عليه السلام أخبر أخاه محمد بن الحنفية ليلة الثامن من ذي الحجّة بعزمه الخروج إلى العراق غداً، وذكر له في نفس الوقت مبررات هذا الخروج السريع والمفاجئ.

---

(١) جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٤٢.

ينقل ابن طاووس في اللهوف: (فلمّا كان السَّحَر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابنَ الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته وقد ركبها، فقال: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتُك؟ قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال:

أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتُك فقال: يا حسين، أخرج، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً.

فقال محمد بن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

قال: بلى فقال لي صلى الله عليه وآله:

«إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا». فسلم عليه ومضى)[١].

واستناداً إلى هذا الخروج المفاجئ للحسين عليه السلام من مكة، يبدو أنّ الشهيد زهير بن القين (رض) قد علم به بعد يوم أو يومين من خروج الحسين عليه السلام؛ ممّا حدا به إلى الخروج خلفه تاركاً الحج، لاسيّما وهو مجاز خصوصاً إذا كانت هناك ضرورة[٢]، وعليه يكون الشهيد قد حوّل حجّه إلى عمرة مفردة على وجه السرعة

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٣٩ - ٤٠. بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٤، ص٣٦٤.

(٢) يقول السيد السيستاني في كتاب الحج مسألة ٤٥٣: (وإذا كان حاجّاً وقد تعذّر عليه إدراك الموقفين أو الموقف في المشعر الحرام خاصّة، فعليه أن يتحلّل من إحرامه بعمرة مفردة).

ويقول الإمام مالك في موطئه: (إنّ أبا أيوب الأنصاري خرج حاجّاً، حتى إذا كان بالنازية من طريق مكّة أضلّ رواحله، وأنّه قدم على عمر بن الخطاب يوم النحر، فذكر ذلك له، فقال عمر: اصنع كما يصنع المعتمر، ثمّ قد حللت، فإذا أدركك الحج قابلاً فاحج واهدر ما تيسّر من الهدي)، الموطأ: ٨٧٠.

ثمّ التحق بالحسين متعجّلاً الوصول إليه على وفق رواية البلاذري.

أمّا القول بأنّه أكمل حجّه ثمّ خرج من مكّة، فلا يمكن أن يقبل بأيّ حال من الأحوال؛ لوجود ما لا يقل عن خمسة أيّام فاصلة بين خروج الحسين عليه السلام وخروج زهير بن القين (رض)، بل إنّ مثل هذا الرأي لا يمكن قبوله حتى مع القول إنّ زهير كان مستعجلاً في حركته إلى العراق؛ وذلك لأنّ الحسين عليه السلام في نفس الوقت كان متعجّلاً في حركته أيضاً، فلا يمكن -والحال هذه- أن يجمعهما مورد الماء في زرود كما ذكر المؤرخون.

يقول الشيخ محمد جواد الطبرسي في كتابه (الركب الحسيني) مناقشاً هذه النقطة بالذات: (رواية منازل الطريق... فضلاً عن ضعف سندها بمجهولية الفزاري لا يستقيم متنها مع الحقيقة التاريخية والجغرافية، ذلك لأنّ زهير بن القين كان عائداً من مكّة إلى الكوفة بعد الانتهاء من أداء الحج.

فلو فرضنا أنّه قد خرج من مكة بعد انتهاء مراسم الحج مباشرة فإنّه يكون قد خرج منها يوم الثالث عشر من ذي الحجّة على الأقوى، وبهذا يكون الفارق الزمني بين يوم خروجه ويوم خروج الإمام عليه السلام منها خمسة أيام على الأقل، وإذا كان هنا فكيف يصحّ ما في متن الرواية: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة فساير الحسين... إلخ»[1].

٢ ـ فيما يتعلق برواية الطبري، فإنّ عمدة الدلالة فيها هي قول عزرة بن قيس البجلي لزهير بن القين أنّه كان عثمانيّاً.

---

(١) الركب الحسيني: ج٣، ص٢١٠.

وعجبي كيف يمكن أن يثبت الإنسان بهذا الرجل قولاً ذكره على عدوّه، ومَن يتتبّع تاريخ هذا اللعين يجد أنّه ملطّخ بالسواد بوقوفه أمام الحق والمساعدة في القضاء عليه.

وإليك النزر القليل من تأريخه الأسود الذي ذكره المؤرخون عنه في عدائه لأهل البيت عليهم السلام.

أ . عزرة بن قيس يمنع الاهتداء بأصحاب الحسين عليه السلام

ينقل صاحب البداية والنهاية، عن أحداث ليلة العاشر من المحرم: (وبات الحسين وأصحابه طوال ليلهم يستغفرون ويدعون ويتضرّعون، وخيول عدوّهم تدور، من ورائهم عليها عزرة بن قيس الأحمسي، والحسين عليه السلام يقرأ:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [1].

فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال: نحن وربّ الكعبة الطيّبون، ميّزنا الله عنكم، قال: فعرفته فقلتُ لبرير بن خضير: أتدري مَن هذا؟

قال: لا، فقلتُ: هذا أبو حرب السبيعي - عبد الله بن شهر - وكان مضحاكاً بطّالاً، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربّما حسبه في جناية، فقال له برير: يا فاسق، متى كنتَ من الطيبين؟

---

(١) آل عمران: ١٧٨ - ١٧٩.

فقال: ومَن أنت؟! ويلك، قال: أنا برير بن خضير، قال: إنّا لله هلكت، والله عزّ والله عليّ يا برير قتلك، قال: فقلتُ: يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام، فوالله لنحن الطيّبون وإنّكم لأنتم الخبيثون، قال: نعم، وأنا على ذلكم من الشاهدين، قال: ويحك، أفلا تنفعك معرفتك؟ قال: فانتهره عزرة بن قيس أمير السريّة التي تحرسنا، فانصرف عنّا)[(١)].

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على مدى حرص هذا الرجل على رَدْع مَن تميل نفسه إلى التأثّر بالحسين وأصحاب الحسين فضلاً عن الالتحاق بهم.

فليس غريباً على مَن يكون على هذه الشاكلة من الحرص والدفاع عن بني أمية، ومَن يعمل لهم أن يلفق التهم على جيش الحسين لاسيّما الشخصيات الكبيرة من أجل زعزعة ثقة الناس بهم.

ولقد كانت من جملة التهم الكبيرة التي تشنها الآلة الإعلامية الأموية عبر التاريخ ضد شيعة أهل البيت عليهم السلام هو رميهم بالتشيع، حتى صار الواحد منهم يتمنّى أن يُقال له: زنديق، أحبّ من أن يُقال شيعي؛ لعظيم ما يجري ويحصل له من البلاء والعناء، ويبدو أنّ عزرة بن قيس أراد بهذه الكلمة أن يجعل الذي يفكر في الميل إلى جهة الحسين أو حتى التفاعل معهم نفسياً أن يعيد حساباته كثيراً قبل أن يَقدم على مِثْل هذه الخطوة.

ب . عزرة بن قيس يكتب للحسين ثمّ يكذّبه يوم عاشوراء

يروي الطبري بقوله: (وكتب شبث بن ربعي، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن

---

(١) البداية والنهاية: ج١١، ص٥٣٢ - ٥٣٣.

الحارث، ويزيد بن رويم، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج الزبيدي، ومحمد ابن عمير التميمي:

أمّا بعد:

فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئتَ فأقدم على جند لك مجنّدة والسلام عليك[1]. ووقف الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ليتحدث إلى مَن كتب إليه في هذا الكتاب، فقد ذكر في طيّات حديثه بعضاً منهم دون الجميع، فقال:

«يا شبث بن ربعي، وحجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا لي أن أقدم، قد أينعت الثمار واخضرّ الجناب، وإنّما تقدم على جُند لك مجنّدة؟ فقالوا: لم نفعل، فقال عليه السلام: سبحان الله، بلى والله، لقد فعلتم»[2].

ولا شكّ أنّ الجواب لم يأتِ بلسان هؤلاء الذين ذكرهم الإمام، وإنّما جاء بلسان مَن كتب ومنهم عزرة بن قيس.

كذب عزرة بن قيس

وقد تجسّد كذب هذا الرجل وعدم صدقه مع نفسه إزاء المواعيد والمواثيق التي يقطعها في أكثر من موقف، وسوف أذكر هنا موقفاً واحداً دون بقيّة المواقف الأخرى اختصاراً.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما: ص١١. مقتل الحسين للخوارزمي: ج١، ص١٩٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٤٣.

عزرة بن قيس والشهادة على حجر

حيث شهد كذباً وزوراً على جماعة من المصلّين العابدين لله عزّ وجلّ بأنّهم كفروا بالله تعالى كفرة صلعاء كما جاء في وثيقة الشهادة التي كتبها زياد، وشهد عليها رؤوس الأرباع في الكوفة، ثمّ سبعون شخصية من داخل الكوفة كان من ضمنهم عزرة بن قيس البجلي، حيث يقول الطبري وهو يروي مأساة هذه الشهادة ومَن شهدها:

(هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله ربّ العالمين، شهد أنّ حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كفرة صلعاء، فقال ابن زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، أَمَا والله لأجدنّ على قطع ضبط عنق الخائن الأحمق. فشهد رؤوس الأرباع على مثل شهادته وكانوا أربعة، ثمّ إنّ زياداً دعا الناس فقال: اشهدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع، فقرأ عليهم الكتاب، فقال: أوّل الناس عناق بن شرحبيل بن أبي وهم التميمي، فقال زياد: أبدأ بأسامي قريش ثمّ اكتبوا اسم عناق في الشهود ومَن نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين، فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله وموسى بن طلحة... وعزرة بن قيس الأحمسي...)[1].

أقول: إذا كان عزرة قد تجرّأ كلّ هذه الجُرأة العظيمة وشهد كذباً وزوراً على إنسان مؤمن مصلٍّ ومَن معه من المصلّين الذين يصفهم الحسين عليه السلام:

«**المصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البِدَع،**

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٤٩ – ١٥٥.

ولا يخافون في الله لومة لائم»[١].

بأنّهم كفروا بالله كفرة صلعاء، أفليس من السهل عليه أن يكذب على زهير ابن القين في يوم عاشوراء مِثْل هذه الكذبة، لاسيّما وأنّ الذي دعاه إلى الشهادة على حجر وأصحابه كذباً هو نفسه الذي يدعوه إلى الكذب في يوم عاشوراء؟

٣ ـ وأمّا فيما يتعلّق برواية أبي مخنف، فقد نقلها عن رجل من بني فزارة، والنص هكذا: (حدّثني السدي عن رجل من بني فزارة)[٢].

ويبدو أنّ هذا النقل كان في ظرف خاص، حيث كان فيه أتباع أهل البيت يخافون حتى من ظلّ أشخاصهم؛ لشديد الظلم الذي حلّ بهم ونزل عليهم بسبب الولاء والتشيّع لأهل البيتعليهم السلام، لاسيّما في زمن الحجّاج الذي ولغ في دماء شيعة أهل البيتعليهم السلام بشكل فاق الحدود والتصوّرات، حتى صار يُضرب به المثل. ويبدو أنّ هذه الرواية - على فرض صحّتها - قد ذكرها هذا الراوي الفزاري في ظرف كهذا وفي زمن كهذا ومع ظالم كهذا.

يقول أبو مخنف في مقتله: (حدّثني السدي عن رجل من بني فزارة، قال: لمّا كان زمن الحجّاج بن يوسف كنّا في دار الحارث بن أبي ربيعة[٣] التي في

---

(١) حياة الإمام الحسينعليه السلام: ج٢، ص٢٣٥. الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٨٤. الدرجات الرفيعة: ص٣٣٤. راجع الغدير: ج١٠، ص١٦١.

(٢) مقتل أبي مخنف: ص٧٣.

(٣) الحارث بن أبي ربيعة: كان والياً على البصرة من قِبل ابن الزبير، وكان إلى جانب مصعب بن الزبير الذي قاتل المختار، ومن هنا نعرف سرّ عدم دخول جيش الشام إلى هذه الدار التي كانوا محتبين بها، فإذا كان الحال هذه في مثل هذه الدار كيف يمكن لهذا الرجل الفزاري أن يتحدّث ←

التمارين، التي أقطعت بعد زهير بن القين من بني عمرو بن يشكر من بجيلة، وكان أهل الشام لا يدخلونها، فكنّا محتبين فيها، قال: قلتُ للفزاري: حَدّثْنِي عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي، قال: كنّا مع زهير بن القين... إلخ)[١].

ثانياً: مواقف زهير بن القين

وكل مَن يتتبّع مواقف هذا الرجل وكلماته التي نقلها لنا التاريخ سواء في الطريق وهو يلتقي الحسين في زرود أم بعد ذلك، أو حتى في يوم عاشوراء كما سيأتينا؛ ليدلك وبشكل واضح أنّ الرجل لم يكن يحمل في قلبه سوى ولاء الحسين عليه السلام ولا شيء معه، ممّا يمكن أن يزري به.

الموقف الأول

موقفه في زرود بعد مجيئه من الحسين عليه السلام، حيث قال لزوجته: (وقد عزمتُ على صُحبة الحسين لأفديه بروحي وأقيه بنفسي)[٢].

ثمّ قوله لأبناء عمّه ومَن كان معه: (مَن أحبّ منكم الشهادة فليقم، ومَن كرهها فليتقدم)[٣].

يكشف لكلّ ذي بصيرة أنّ قائل هذه الكلمات مؤمن بالحسين عليه السلام وقضيّته مئة في المئة بلا أدنى شك وريب، فمسألة الفداء بالروح والوقاية بالنفس وبذل

عن زهير بلا خوف كما هي الحقيقة؟!

(١) مقتل أبي مخنف: ص٧٣.

(٢) الملهوف في قتلى الطفوف: ص١٣٣.

(٣) الأخبار الطوال: ص٢٤٦. أنساب الأشراف للبلاذري، ص١٦٨.

الدم في هذا المجال، لا يمكن أن تجتمع إلاّ مع إيمانه اليقيني بعدالة قضيّته، وهذا ما لا يتصوّر مع عثمانيّته (رض).

الموقف الثاني

وهو الذي جرى بعد مدة وجيزة من الزمن على لقاء زرود، وذلك حينما وصل الركب الحسيني إلى منطقة (ذي حسم)، حيث نزل الحسين فيها وخطب بمَن معه خطبةً بعد أن وصل إليه خبر مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وما جرى في الكوفة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على جدّه صلى الله عليه وآله:

«إنّه قد نزل فينا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، واستمرّت حَذَّاء، ولم يبقَ فيها إلاّ صُبَابة كصُبَابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، أَلاَ ترون إلى الحق لا يُعمَل به، وإلى الباطل لا يُنهى عنه؟ فليرغبْ المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ بَرَمَاً» [(١)].

فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: (تكلّمون أم أتكلّم؟ فقالوا: بل تكلّم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: قد سمعنا - هَدَاك اللهُ - مقالتَك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين إلاّ أنّ فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها)[(٢)].

---

(١) المجالس الفاخرة في مأتم العترة الطاهرة، ص٢٢٦.

(٢) معالم المدرستين: ج٣، ص٧٢.

يقول الشيخ باقر شريف القرشي معلّقاً على كلمة زهير المتقدّمة: (ومَثّلت هذه الكلمات شرف الإنسان الذي لا يضاهيه شرف، وقد حكى ما في نفوس أصحابه الأحرار من الولاء لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله والتفاني في سبيله)(١).

أقول: لا يمكن لأيّ إنسان منصف يتأمّل في هذه الكلمات التي ذكرها (رض) إلاّ ويخرج بنتيجة مفادها: أنّ قائل هذه الكلمات يحمل ولاءً للحسين مُلفتاً للنظر، وبراءة من أعدائهم منقطعة النظير، وهي واحدة من جملة الصفات المهمّة التي ذكرتْها الروايات كما في زيارة عاشوراء للحسين عليه السلام، حيث جاء فيها:

«**يا أبا عبد الله، إنّي أتقرّب إلى الله وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الحسن وإليكَ بموالاتكَ وبالبراءةِ ممَّن قاتلك ونصب لك العداوة، وبالبراءة ممّن أسّس أساس الظلم والجَور عليكم أهل البيت عليهم السلام**»(٢).

وكأنّ هذه الزيارة للحسين عليه السلام تحكي لنا وتنطق عن لسان حال زهير وهو واقف أمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، ويبدو لي أنّ مسألة البراءة من أعداء آل محمّد ربّما تكون أكثر خطورة من مسألة التولّي مع عظمتها وعظمة آثارها؛ وذلك لأنّ أعداء آل محمّد قد يرتضون لك الولاء لأهل البيت، ولكنّهم لا يرتضون العداء من أعدائهم والبراءة منهم، ولو فعلنا ذلك لَمَا كانت هناك مشاكل عظيمة وبلايا كثيرة نشهدها عبر التاريخ وإلى يومك هذا.

---

(١) العباس رائد الكرامة: ص١٦٨.

(٢) مفاتيح الجنان للشيخ القمّي، زيارة عاشوراء.

ولقد وصل زهير إلى التمسّك بكلّ من هاتين الحلقتين اللتين بهما يستطيع الإنسان أن يدخل إلى قلب رسول الله ثمّ إلى الجنّة وتحمّل في سبيل هذا التمسّك كلّ المصائب والآلام، أفيُعقل أن يكون مَنْ حاله هكذا عثمانيّاً؟!

الموقف الثالث

وقد تجسّد هذا الموقف في منطقة نينوى، يقول الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد وهو يتحدّث عن مسايرة الحرّ وجيشه للحسين وأصحابه: (فلمّا أصبح نزل وصلّى بهم صلاة الغداة، ثمّ عجّل الركوب وأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم فيأتيه الحر بن يزيد فيردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتى انتهوا إلى نينوى - المكان الذي نزل به الحسين عليه السلام - فإذا راكب على نجيب له عليه السلاح متنكّب قوساً مُقْبِل من جهة الكوفة، فوقفوا جميعاً ينظرونه، فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ وأصحابه ولم يسلّم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد (لعنه الله)، فإذا فيه:

أمّا بعد، فجعجعْ بالحسين حين يبلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تُنْزِلْه إلاّ بالعراء، في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحرّ: هذا كتاب الأمير عبيد الله يأمرني أن أُجَعْجِعَ بكم في هذا المكان الذي يأتيني كتابه، وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ أمره فيكم.

فنظر يزيد بن المهاجر الكندي - وكان مع الحسين عليه السلام - إلى رسول ابن زياد فعرفه، فقال له: ثكلتكَ أُمّك، ماذا جئتَ به؟ قال: أطعتُ إمامي ووفيتُ ببيعتي، فقال له ابن المهاجر: بل عصيتَ ربّك وأطعتَ إمامك في هلاك نفسك وكسب العار والنار، وبئس الإمام إمامك، قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ﴾[1].

فإمامك منهم وأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقال له الحسين عليه السلام: دعنا ويحك ننزل هذه القرية أو هذه يعني نينوى أو هذه يعني شفية؟ قال: لا والله، ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بُعِثَ إليّ عيناً عليّ، فقال زهير بن القين: إنّي والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلاّ أشدّ ممّا ترون، يا بن رسول الله: إنّ قتال هؤلاء القوم أهون علينا من قتال مَن يأتينا من بعدهم، فلعمري فليأتينّا من بعدهم ما لا قِبل لنا فيه، فقال الحسين:

ما كنت لأبدأهم بقتال)[2].

فقد أراد زهير بن القين من خلال هذا الموقف أن يصدُقَ نفسه مع الحسين عليه السلام بقدر ما أُوتي من قوّة قولاً وعملاً، فلقد ذكر (رض) للحسين عليه السلام قبل هذا المنزل كلمات كلّها تدلّك على عقيدته بالحسين عليه السلام، واستعداده التامّ لسفك دمه الطاهر في طاعته عليه السلام، فأراد في هذا المنزل أن يجسّد ذلك عملياً من

---

(١) القصص: ٤١.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٨٢ — ٨٤. بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٩ — ٣٨١. جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٣٩ - ٤٠.

خلال طلبه في قتال جماعة عبيد الله بن زياد ومَن يدور في فلكهم.

أقول: إذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن أن يكون زهير جادّاً في قتال آل بني أمية والسائرين على نهجهم، وهم الذين يرفعون عَلَمَ المطالبة بدم عثمان ومطاردة قتلته، لاسيّما وقد تتبّع زياد بن أبيه وولده عبيد الله الكثيرَ منهم في الكوفة والبصرة؟

وبعبارة أخرى: هل يمكن أن تجتمع عثمانية زهير بن القين ومقاتلة مَن يطالب بالثأر له ظاهراً؟

الموقف الرابع

وهو الذي حصل ليلة العاشر من محرّم، وذلك حينما جمع الحسين عليه السلام أهل بيته وأصحابه ثمّ خطب فيهم قائلاً:

«أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللّهمّ إنّي أحمدك على أنْ أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآنَ، وفقّهتَنا في الدينِ، وجعلتَ لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً ولم تجعلْنا من المشركين.

أمّا بعد.. فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم اللهُ عنّي جميعاً خيراً، ألا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، أَلاَ وإنّي قد رأيتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذِمام، هذا الليل قد غَشِيَكُم فاتّخذوه جَمَلاً، ثمّ ليأخذْ كلُّ رجلٍ منكم بِيَدِ رجلٍ من أهل

بيتي ثمّ تفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، حتى يفرّج الله، فـإنّ القـومَ إنّما يطلبونني، ولو قد أصابوني لَهَوْا عن طلب غيري»[1].

فلمّا سمع أهلُ بيته ذلك قاموا وأبَوا ذلك وفدّوه بالأنفس والأموال والأهلين، ثمّ قام أصحابه واحداً بعد واحد، حتى وصل الدور إلى زهير بن القين فقال: « (والله، لوددتُ أنّي قُتلتُ ثُمّ نُشرتُ، ثُمّ قُتلتُ، حتى أُقْتَل كذا ألف قتلة، وأنّ اللهُ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك)[2].

أقول: لا أعلم كيف يمكن أن يتغافل إنسان عن معاني هذه الكلمات الجليلة ومقاصدها العميقة، وهي تُصوّر لنا ذلك الإنسان الذي يريد أن يقطع جسده قطعة قطعة ويُنشَر بالمناشير، ويُفعل به ذلك ألف مرّة فداءً للحسين عليه السلام ودفعاً للقتل عنه عليه السلام، ومع ذلك لا يُرمَى ولا يُوصَف بالولاء لأهل البيت عليهم السلام ؟!

وإذا لم يكن مثل هذا الإنسان علويّاً حسينياً موالياً، فمَن - يا ترى - يمكن أن يصدق عليه مثل هذا الوصف؟

هل هناك موالٍ طلب مِثْل هذا الطلب، أو حتى تجرّأ أن يطلبه في مستقبل حياته وإلى يومك هذا؟

ما الفرق بين قول زهير بن القين الذي يرمى بالتعثمن وبين قول الموالي لأهل البيت عليهم السلام سعيد بن عبد الحنفي الذي قال للحسين عليه السلام في نفس الزمان والمكان: (والله، لو علمتُ أنّي أُقْتَل ثُمّ أحيا ثمّ أُحرق حيّاً ثمّ أُذَرّ، يُفعل ذلك بي

(١) جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٤١.

(٢) جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٤٢ - ٤٣.

سبعين مرّة ما فارقتُك حتى ألقى حِمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟!)[١].

لا شكّ أن لا فرق بين قوليهما ولا حتى في درجة الاستعداد للتضحية والفداء؛ لأنّ القلب الذي حمل الولاء لأهل البيتعليهم السلام -الذي يعيش أعلى درجات الإخلاص كما في قلبيهما - لا يمكن أن تختلف آثاره في الخارج، فهو واحد عند الجميع، بل إنّي أرى أنّ موقف الشهيد زهير بن القين (رض) هو في امتداد مواقف الموالين قبله، أمثال ميثم وحجر وكميل وقنبر، وما إلى ذاك من أسماء لامعة في رحاب الولاء لمحمّد وآله الطاهرين.

الموقف الخامس

خطبة زهير بن القين (رض) يوم العاشر من المحرّم، والتي تحدّث فيها عن نقاط مهمّة، ولا يسعني هنا في هذه الدراسة المختصرة أن أُسلّط الأضواء على جميعها، ولكنّي سوف أضع بين يدي القارئ العزيز بعض المقاطع والجمل بعد ذكر الخطبة كاملةً، راجياً منه التمعّن بها والتأمّل فيها، أفيمكن أن تصدر خطبة كهذه من إنسان لا يعرف الولاء لأهل البيتعليهم السلام؟

(وخرج زهير بن القين على فرس ذَنوب وهو شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نَذَارِ لكم من عذاب الله، نَذَارِ لكم أنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة وعلى دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعتْ العصمة وكنّا أمّة وأنتم أمّة، إنّ

---

(١) جمهرة خطب العرب: ج٢، ص٤٢.

اللهَ ابتلانا وإيّاكم بذرّية نبيّه محمّدصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلاّ سوء عمر سلطانهما، يسملان أعينكمْ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه.

فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد، ودَعَوا له، قالوا: لا نبرح حتى نَقتل صاحبَك ومَن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سالماً.

فقال زهير: عبادَ الله، إنّ ولد فاطمة أحقّ بالوُدّ والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري إنّه لَيرضى من طاعتكم بدون قَتْل الحسينعَلَيْهِالسَّلَامُ.

فرماه شمر بسهم وقال: اسكتْ، أَسْكَتَ اللهُ نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يا بن البوّال على عقبيه، ما إيّاك أخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله ما أضنّك تُحْكِم من كتاب الله آيتَين، فابشرْ بالخِزْي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أبالموت تخوّفني، فوالله لَلْموت معه أحبّ إليّ من الخُلْد معكم.

ثمّ أقبل على القوم رافعاً صوته وقال: عباد الله، لا يغرّنّكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمّدصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ قوماً هرقوا دماء ذرّيته وأهلِ بيته وقَتلوا مَن نصرهم وذبّ عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه: إنّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آلُ فرعون نَصَحَ لقومه وأبْلَغَ في الدعاء، فلقد نصحتَ لهؤلاء وأبلغتَ في الدعاء لو نفع النُّصْح والإبلاغ)[1].

أوّلاً: قوله: (إنّ اللهَ ابتلانا وإيّاكم بذرّية نبيّه محمّدﷺ؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد...).

وهذا مطلبُ كلّ إنسان موالٍ لأهل البيتعليهم السلام منذ وفاة النبيﷺ وإلى يومك هذا، وهي دعوة الناس إلى التمسّك بمَن أمرنا بالتمسّك بهم:

«تركتُ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدهِ أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[2]، وخذلان كلّ مَن نصب نفسه في مقامهمعليهم السلام، أمثال معاوية ويزيد وغيرهما.

ثانياً: قوله: (يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه...).

وهذه هي أساليب الظَّلَمَة من بني أميّة ومَن جاء بهم وسلّطهم على رقاب المسلمين مع شيعة أهل البيتعليهم السلام وأتباعهم، فقد تتبّعوهم تحت كلّ حَجَر ومَدَر.

ويبدو لي أنّ الصورة كانت واضحة تمام الوضوح عن الشهيد زهير (رض) منذ أيّام معاوية وقَتْله للموالين، لاسيّما حجر بن عدي وأصحابه، فضلاً عمّا جرى

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص٣٢٠. معالم المدرستين: ج٣، ص٩٨.

(٢) رواه الترمذي في جامعه وآخرون: ج٢، ص٢١٩.

في الكوفة مِن قَتْل لمسلم بن عقيل ولهاني بن عروة وأتباعهما، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّه كان صاحب موقف ودور من قضية حِجْر وأصحابه، ومسلم بن عقيل وأتباعه في الكوفة، والاعتذار بعدم وجود النصوص ليس دليلاً كافياً؛ لعدم وجود الحركة لهذا الشهيد (رض) كما هو واضح.

ثالثاً: (عبادَ الله، إنّ وُلْد فاطمة أحقّ بالوُدّ والنصر من ابن سمية...)، الله أكبر.. ومع كلّ ذلك تأتي الرواية التي تريد أن تشوّه صورةَ هذا الشهيد بأنّه كان يكره مسايرة الحسين عليه السلام، أو أنّه كان عثمانيّاً لاسيّما وقد قارن الشهيد بين أولاد فاطمة وأولاد سميّة من أجل أن يشير على إلحاق معاوية لعبيد الله بن زياد بأبي سفيان.

رابعاً: قوله: (فوالله، لَلْمَوت معه أحبّ إليّ من الخُلْدِ معكم...)، بالله عليك.. قل لي: هل يوجد هناك أعظم من هذا العشق؟ أي صورة من الولاء يحملها هذا الشهيد تجاه الحسين عليه السلام؟

خامساً: قوله: (فوالله، لا تنال شفاعة محمّد قوماً هرقوا دماء ذرّيته وأهل بيته، وقَتلوا مَن نصروهم وذَبّ عن حريمهم...).

وهذا أمر مُسلَّم به عند جميع المذاهب الإسلامية حين عدّوا ناصبَ العداء لأهل البيت عليهم السلام بقلبه وبلسانه وبيده كافراً؛ لأنّه منكر لضرورة من الضرورات الإسلامية، ألاَ وهو وجوب المودّة في قلوب المسلمين لأهل البيت عليهم السلام، وهو ما عَنَتْه الآية الكريمة:

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

---

(١) الشورى: ٢١.

ومن ثم فمِثْل هذا الإنسان لا يُغسّل ولا يُكفّن ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولكن بتقديري إنّ هذا النص الذي ذكره الشهيد زهير بن القين إنّما هو عبارة عن مضمون آخر لحديث الغدير والأحاديث الكثيرة التي رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خصوص أهل البيت عليهم السلام وضرورة نصرتهم والوقوف إلى جانبهم، وأنّه صلى الله عليه وآله خصمٌ لمَن خاصمهم وعدوٌّ لمَن عاداهم، وما إلى ذلك من ثقافة ربّما لا تجد لها واقعاً ملموساً حقيقياً يُتحدَّث به إلاّ في أوساط شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم.

ومن ثم فإنّ الشهيد زهير بن القين قد انطلق في الحديث مع أهل الكوفة من خلال هذه الثقافة الإسلامية الشيعية الموالية لأهل البيت عليهم السلام، وللمثال فقط أذكر هنا حديثاً واحداً ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الخصوص:

«أيّها الناس، اسمعوا قولي واعرفوا حقّ نصيحتي، ولا تُخالفوني في أهل بيتي إلاّ بالتي أُمِرْتُم به مِن حفظهم، وأنّهم خاصّتي وقرابتي وإخوتي وأولادي، وأنتم مجموعون ومساءلون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، إنّهم أهل بيتي فمَن آذاهم فقد آذاني، ومَن ظلمهم فقد ظلمني، ومَن أذلّهم فقد أذلّني، ومَن أعزّهم فقد أعزّني، ومَن أكرمهم فقد أكرمني، ومَن نصرهم فقد نصرني، ومَن خذلهم فقد خذلني، ومَن طلب الهدى من غيرهم فقد كذّبني. أيُّها الناس، اتقوا الله وانظروا ما أنتم قائلون إذا لقيتموه، فإنّي خصمٌ لمَن آذاهم،

ومَن كنتُ خصمَه خَصَمْتُه، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم»[1].

الموقف السادس

قول زهير بن القين (رض) إلى عزرة بن قيس البجلي - حينما قال عزرة له: يا زهير، ما كنتَ عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كنتَ عثمانياً -: (أفلا تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم)[2].

أنا لا أعلم كيف يمكن لإنسان سويّ وسليم أن يمرّ بهذه الرواية ولا يخرج بالقول إنّ زهيراً كان من الموالين لأهل البيت عليهم السلام؟!

وكيف يمكن أن نُسدِل الستارَ على قول زهير: (أفلا تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم)؟

أليست دلالة الفعل على الشيء أعظم من دلالة اللفظ على الشيء نفسه؟ فلماذا مثل هذه القاعدة مطّردة في كلّ مواردها سوى هذا المورد الذي توقّفت فيه عن الدلالة؟

إنّنا أمام نصّ فصيح وفعل صريح أنّه منهم، وهذا يكفينا فيما نحن بصدد إثباته، وممّا ينبغي أن يُلتفت إليه أنّ الإسلام اكتفى بفعل الإنسان في ترتيب بعض الأحكام حتى وإن لم يصرّح بها، ومنها على سبيل المثال: (الشهادة له بالإيمان)، حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

---

(1) أمالي الصدوق: ص١٢١، مجلس ١٥، حديث١١.

(2) مقتل أبي مخنف: ص١٠٥.

«إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان» [١].

حيث رتّب حكم الإيمان لهذا الإنسان بمجرّد فعله وهو الدخول إلى المسجد دون قوله، ومنها: (دلالة غيبة الإنسان المسلم على الطهارة)، ومثاله:

لو أنّ إنساناً مسلماً تنجّست يده بالبول مثلاً، ثم غاب عنّا ورجع، فغيبته هذه دليل على طهارة يده، حيث نحمل غيبة هذا الإنسان عنّا على ذهابه من أجل التطهير من هذه النجاسة، وهنا أيضاً رتّب الشارع المقدّس حكم الطهارة - كما هو واضح - على مجرّد فعله وهو غيبته وحضوره دون القول، وهكذا في أحكام كثيرة ومتنوّعة وفي مجالات مختلفة يطول ذكرها، فإذا كان الأمر كذلك، فلِمَ لا يشفع فِعْل زهير وموقفه - الذي هو يدعو إلى التأمّل فيه - على الاستدلال أنّه من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومواليهم؟

الموقف السابع

وهو موقف الشهادة بين يديّ أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا ما سيأتي الحديث عنه بعد قليل، لاسيّما من أبياته التي نقلها لنا القندوزي في (ينابيع المودّة)، حيث يقول فيها زهير بن القين (رض):

أَقْـدِمْ حُـسَيْنُ اليَـوْمَ تَلْقَـى أَحْمَـدَا	ثُـمّ أَبَـاكَ الطَّـاهِرَ المُؤَيَّـدَا
وَالحَـسَنَ المَـسْمُوْمَ ذَاكَ الأَمْجَـدَا	وَذَا الجَنَـاحَيْنِ حَلِيْـفَ الـشُّهَدَا
وَحَمْـزَةَ اللَّيْـثَ الهُمَـامَ الأَسْـعَدَا	فِـي جَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ عَاشُـوْا سُـعَدَا [٢]

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، مسألة٧٢٣، ص٦٠٦.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ج٣، ص٧٢، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني.

ثالثاً: الشهيد زهير بن القين ومؤمن آل فرعون

مَن هو مؤمن آل فرعون؟

اختلف المؤرّخون والمفسّرون في شخصية مؤمن آل فرعون وقصّته مع قومه، فذهب بعضهم إلى أنّه كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل[1]، كان يُعرف بـ(حزبيل) أو (حزقيل).

وذهب آخرون إلى أنّه كان خازن خزائن فرعون والمسؤول عن الشؤون المالية[2].

ويقول ابن عباس: إنّ هناك ثلاثة من آل فرعون آمنوا بموسى، وهم: مؤمن آل فرعون، وزوجة فرعون، والرجل الذي أخبر موسى قبل نبوّته أنّ الملأ يأتمرون من أجل أن يقتلوك:

﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[3][4].

ويرى آخرون أنّه كان نجّاراً، وأنّه هو الذي صنع التابوت لأمّ موسى عليه السلام حين قذفتْه رضيعاً في البحر، وأنّه كان يكتم إيمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر إيمانه، فأُخِذ وقُتل مع السحرة صلباً.

---

(1) انظر: تفسير نور الثقلين: ج٤، ص٥١٩.

(2) انظر: تفسير نور الثقلين: ج٤، ص٥١٨.

(3) القصص: ٢٠.

(4) تفسير الماوردي: تفسير الآية ٢٨ من سورة غافر. تفسير الأمثل ج١٥، ص٢٥٠.

يقول الإمام الصادق وهو يتحدّث عن قتله:

«**ولقد قطّعوه إرباً إرباً، ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه**».

ويقول عليه السلام:

«**ولقد سطوا عليه وقتلوه، ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه**» [(١)].

وبعد هذه الإطلالة السريعة على حياة هذا الرجل المختلَف فيه - كما تقدّم، والذي أحببنا إيراده هنا حتى يطّلع القارئ العزيز عمّا كُتب حول هذا الرجل المؤمن - نحاول أن نسلّط الضوء حول ما تحدّث عنه القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ.. ﴾ [(٢)].

حيث ذكر - بما لا يقبل النقاش - أنّ الرجل كان من آل فرعون، أي من أقربائه، وأنّه كان يكتم هذا الإيمان في نفسه، وهاتان النقطتان بتقديري هما ما يهمّنا كثيراً في حياة هذا الرجل، وربّما كانتا السبب وراء التشبيه الحسيني لزهير بن القين بأنّه كمؤمن آل فرعون (رض) كما سيأتي بيانه بعد ذلك.

أوجه التشابه بين زهير ومؤمن آل فرعون

لقد كانت أوجه التشابه كثيرة بينهما وعلى مستويات مختلفة، سوف نذكر منها أربعة، وهي: الخطبة والكلام، والزوجة والأهل، وكتمان الإيمان، والشهادة.

---

(١) قصص الأنبياء للسيد الجزائري: ص٢٥٨ وما بعدها.

(٢) غافر: ٢٨.

١ . على مستوى الخطبة والكلام

وممّا يُذكر في أوجه التشابه بين خطبتيهما جملة من النقاط، منها:

أ ـ الحرص على الجماعة التي ينتمون إليها:

حيث يجد الإنسان مثل هذا الحرص بادياً كثيراً على مؤمن آل فرعون في الآيات التي تحدّثت عنه، من الآية ٢٨ من سورة غافر وإلى الآية ٤٤، والتي ذكر فيها قومه (٦) مرات (يا قوم)، ولقد عاش نفس هذا الحرص على قومه وأبناء جلدته الشهيد زهير بن القين حين وقف يوم العاشر من المحرّم وهو يقول: يا أهل الكوفة... إنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد... وأنتم للنصيحة منا أهل[1].

ب ـ الجرأة على بيان الحق

حيث لم يعبأ مؤمن آل فرعون وهو المقرّب إليه وصاحب المنزلة الرفيعةعنده، بل وصاحب المال فهو المسؤول المالي عن خزائن فرعون، ومع كلّ هذا لم يعبأ لا بترغيب فرعون ولا في ترهيبه:

﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾[2].

ووقف زهير بكل شموخ غير آبه بما تؤول إليه النتائج، وغير مبالٍ بكلّ هذه الآلاف المؤلّفة من الجيوش التي جاءت من أجل قَتْله ومَن معه، فوقف (رض)

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٤٣.

(٢) غافر: ٢٩.

وهو يقول: (عباد الله، لا يغرنّكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه)[١].

ج ـ التخويف بالله وعذابه

وكان واحداً من أهمّ الأساليب التي اتّبعها مؤمن آل فرعون من أجل هداية قومه وردعهم، وهو تذكيرهم بالعذاب الأخروي الذي ينتظرهم:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[٢].

ونفس هذا المعنى صنعه زهير بن القين حينما ذكّرهم بالله وعذابه الأليم الذي أعدّه للفاسقين: (يا أهل الكوفة، نذارِ لكم من عذاب الله... فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم)[٣].

٢ . على مستوى الزوجة والأقرباء

حيث كان يعيش مؤمن آل فرعون بين ظهراني قوم لا يعرفون الله عزّ وجلّ ولا يطيعونه، بل كانوا يشركون به ويطيعون غيره، ولكن في نفس الوقت رزقه الله عزّ وجلّ زوجةً صالحةً مؤمنةً عُرفتْ في الروايات بأنّها ماشطة بنات فرعون كما يروي المجلسي في بحارالانوار[٤].

وروي عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٢٤٣.

(٢) غافر: ٣٢ – ٣٣.

(٣) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٤٣.

(٤) تاريخ الطبري: ج٢، ص٢٤٣. بحارالانوارللمجلسي: ج١٣، ص١٦٤.

«لمّا أُسري بي مرّت بي رائحة طيّبة، فقلتُ لجبرئيل: ما هذه الرائحة؟

قال هذه ماشطة آل فرعون وأولادها، كانت تمشطها فوقعت المشطة من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبي؟

فقالت: بل ربّي وربّك وربّ أبيك.

فقالت: لأخبرنّ بذلك أبي، فقالت: نعم، فأخبرتْه فدعا بها وبولدها، وقال: مَن ربّك؟

قالت: إنّ ربّي وربّك الله. فأمر بتنّور من نحاس، فأُحْمِي، فدعا بها وبولدها، فقالت: إنّ لي إليك حاجة.

قال: وما هي؟

قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها.

قال: ذاك لك لِمَا لك علينا من حقّ، فأمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً في التنّور، حتى كان آخر ولدها صبياً مرضعاً، فقال: اصبري يا أمّاه، إنّك على الحقّ، فأُلقيتْ في التنّور مع ولدها» [1].

ولقد عاش الشهيد زهير بن القين بين قوم عانى منهم أمير المؤمنين كثيراً، حيث لم يكونوا يقدّرونه على حقيقة قدره، حتى قال عليه السلام:

«غداً تعرفون أيّامي ويُكشف لكم عن سرائري» [2].

(١) البحار: ج١٣، ص١٦٣.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٤٩.

فضلاً عن الرفقة التي كانت حول زهير بن القين من بني عمّه وأقربائه، والتي يُشمّ منها رائحة العثمانية، لاسيّما في رواية منازل الطريق والتي عبّرت عنهم بتعبير الضمير (نا)، كقولهم: أقبلنا من مكّة نساير الحسين... أبغض إلينا.. نسايره... نزلنا... ننازله فيه»[١].

ولكنّه مع ذلك كلّه رزقه الله زوجةً صالحةً مؤمنةً مواليةً لأهل البيت عليهم السلام، حتى أنّ الرواية لتؤكّد أنّها كانت مطمئنّة إلى شهادة زوجها بالتحاقه مع الحسين عليه السلام؛ ولهذا طلبت منه أن يدعو لها ويذكرها عند جدّ الحسين عليه السلام، يقول السيد ابن طاووس: فقامتْ إليه وبكتْ وودعتْه وقالتْ: (كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسئلك أن تذكرني في القيامة عند جَدّ الحسين عليه السلام)[٢].

٣ . على مستوى كتمان الإيمان

وهذا ما كان واضحاً جليّاً في كتاب الله حينما عبّر عنه بأنّه كاتم لإيمانه، وأمّا زهير فنحن نميل إلى أنّه كان كاتماً لولائه، مُسرّاً لتشيّعه كما سيأتي بيانه بعد ذلك مفصّلاً.

٤ . على مستوى الشهادة

فقد تحدّثت الروايات عن مؤمن آل فرعون أنّه قُتل آخر الأمر وصُلب على جذوع الشجر مع سحرة موسى عليه السلام الذين آمنوا معه، ولكنّه - وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام في الرواية المتقدّمة - أبى إلاّ أن يخرج مؤمناً ثابتاً غير مفتون في

---

(١) مقتل أبي مخنف: ص١٦١ - ١٦٢، تحقيق الشيخ محمد هادي السيوطي.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ص٦٣.

دينه[1]، ولقد شارك الشهيد زهير بن القين هذا المؤمن بنفس هذه النتيجة، حيث أبى إلاّ الصمود مع الحسين عليه السلام والوقوف إلى جانبه أمام طغيان بني أمية، ثابتاً في إيمانه وغير مفتون فيه وهو يقول: (فوالله، لَلموت معه أحبّ إليّ من الخُلْد معكم)[2]، إلى أن خرّ إلى الأرض شهيداً كما سيأتي.

سؤال وجواب:

وربّما يسأل سائل - وحق له أن يسأل - أنّ مؤمن آل فرعون كتم إيمانه على أساس أنّه يعيش في ظلّ دولة لا ترى رأيه، ومن ثم كان يخشى على نفسه القتل وعلى دينه ورسالته الفتنة، فاضطر أن يُضمره في نفسه ولا يُبديه لهم، وعلى هذا الأساس مُدِح في القرآن الكريم وذكره الله عزّ وجلّ بالتمجيد والتبجيل، ولكن - يا ترى - هل كانت هناك مبررات على إخفاء الشهيد زهير بن القين ما يعتقده في أئمّة أهل البيت عليهم السلام في داخل الكوفة؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف إذاً اختارها علي عليه السلام عاصمة لدولة الإسلام في وقته؟

وفي معرض الإجابة على هذا السؤال المهمّ علينا أن ننظر إلى مجمل الأحداث والمواقف التي حصلت في الكوفة، لاسيّما مع أتباع أهل البيت عليهم السلام وكيفية تعامل الأئمة عليهم السلام معها؟ وهنا - وحتى تكون الإجابة وافية ولو على نحو الإجمال لمثل هذا التساؤل المهم - لابدّ أن نضع بين يدي القارئ العزيز جملة من النقاط المهمّة.

---

(١) في الرواية عن الصادق عليه السلام: «**ولقد قطعوه أرباً إرباً، ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه**».

(٢) مقتل أبي مخنف: ص١٢٠.

النقطة الأولى: أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام والتقيّة في الكوفة

لقد حفلت كتب الأحاديث الصادرة عن أئمّة الهدى عليهم السلام بأعداد كبيرة جدّاً من الروايات، التي كانت تحثّ أتباعَهم وأشياعهم والموالين لهم على العمل بالتقية، وعدم إظهار المعتقد إلى كلّ أحد بشكل سهل حتى يطمئن إليه خوفاً على حياتهم؛ وذلك لشديد المعاناة التي كانوا يتعرّضون إليها، وسوف أذكر بعض هذه الروايات لكثرتها كشاهد لِمَا نريد أن نصل إليه.

١ ـ روى الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد وعيسى بن زكريا عن عبد الله بن أسد عن عبد الله بن عطاء قال: قلتُ للإمام محمد الباقر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أخذا، فقيل لهما: ابرءا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فبرئ رجل وأبى الآخر فخُلّي سبيل الذي برئ وقُتل الآخر، فقال عليه السلام:

«**أمّا الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأمّا الذي لم يبرأ فرجل تعجّل إلى الجنّة**»[١].

وفي هذه الرواية يجد الإنسان عملية تخيير بين التضحية تلبيةً لنداء الروح عند الإنسان، والتي تحبّب إليه مثل هذه المواقف، وبين البقاء في ساحة الصراع لخدمة دينه بطريقة أخرى، وفي وقت آخر ربّما تكون الظروف فيها أكثر ملاءمة من الظروف الحالية التي يعيشها، وعليه يبقى الإنسان في التصوّر الإمامي مجاهداً في كلتا الحالتين.

والراوي الذي نقل هذه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام كان يعيش في الكوفة،

---

(١) الكافي: ج٢، ص٢١٩.

وكان من شخصياتها، ويرى الأحداث فيها؛ ولذلك سَأل عن تكليفه وما هو واجب عليه فعله.

يقول علماء الرجال وهم يتحدّثون عن هذا الراوي عبد الله بن عطاء: (كوفي، قليل الحديث، له كتاب، وفي القسم الأول من الخلاصة: ابن عطاء، قال الكشي: قال نصر بن الصباح: ولدَ عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس عبد الملك وعبد الله وعريفاً نجباء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام)[1].

٢ ـ ما رواه الكليني عن أبي علي الأشعري عن الحسن بن الكوفي عن العباس بن عامر عن جابر المكفوف (الأنصاري) عن عبد الله بن يعفور عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال:

«اتقوا الله في دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنّه لا إيمان لمَن لا تقيّة له، إنّما أنتم في الناس كالنحل في الطير، لو أنّ الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي فيها شيء إلاّ أكلتْهُ، ولو أنّ الناس علموا ما في أجوافكم أنّكم تحبّونا أهل البيت لأكلوكم ولنحلوكم في السرّ والعلانية، رحم الله عبيداً منكم كان على ولايتنا»[2].

والإمام هنا في صدد الدعوة لأتباعه بضرورة حفظ وجودهم المهم، لاسيّما فيما يتعلّق بشخصيات الموالين في داخل الكوفة بشكل خاص،

---

(١) حاوي الأقوال للشيخ عبد النبي الجزائري: ج٤، ص٩٠ – ٩١، تحقيق: مؤسسة الهداية لأحياء التراث.

(٢) الكافي: ج٢، ص٢١٨.

وخارجها بشكل عام، فكما أنّ النحل يحوي في داخله الشفاء من الأمراض وينبغي حفظه عن الطير عن طريق إخفائه في أجوافها وعدم إظهاره، فهكذا ينبغي على الموالين حفظ هذا المذهب المهم؛ لأنّه يمثّل الشفاء من كلّ ما تمرّ به الأمّة من مشاكل.

ويبدو أنّ الراوي كصاحبه الأول في الرواية الأولى، كان من أهل الكوفة وكان من شخصياتها المتميّزة في الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك أمر بكتمان أمره وعدم إظهاره، بل ومُدح من قِبل الإمام في طاعته له في ذلك.

يقول السيد مصطفى بن الحسين الحسيني وهو يترجم إلى (عبد الله بن أبي يعفور) حيث يقول: (عبد الله بن أبي يعفور العبدي، وكان قارئاً يقرأ في مسجد الكوفة، قال عنه الإمام الصادق عليه السلام:

«ما رأيتُ أحداً يَقبل وصيّتي ويطيع أمري إلاّ عبد الله بن أبي يعفور»[1].

٣ ـ روى معلّى بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السلام قوله له مباشرة:

«يا معلّى، اكتمْ أمرنا ولا تذعْه، فإنّه مَن كتم أمرنا ولم يذعْه أعزّه الله في الدنيا وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة يقوده إلى الجنّة، يا معلّى، مَن ذاع أمرنا ولم يكتمه أذلّه الله في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة، وجعله ظلمة تقوده إلى النار، يا معلّى، إنّ التقية ديني ودين آبائي، ولا دينَ لمَن لا تقيّة له، يا معلّى، إنّ الله يحبّ أن

---

(١) نقد الرجال: ج٣، ص٨٣ للسيد مصطفى بن الحسين الحسني.

يعبد الله في السرّ كما يُحبّ أن يُعبد في العلانية، يا معلّى، إنّ المذيع لأمرنا كالجاحد له» [1].

وهنا يؤكّد الإمام على نقطة مهمّة، وهي: إذا كان الصبر على الباطل مرفوضاً في داخل الإسلام، وكتمان الحق انحرافاً عن تعاليم السماء، فإنّ الظروف الطارئة التي يمرّ فيها الإنسان المؤمن قد تجعل من هذين الأمرين المرفوضين وسيلة من وسائل تعزيز الحق ونشر الدين؛ لأنّ مقياس الأمور في الشريعة على أساس المضمون لا الشكل.

والمعلّى بن خنيس هو أحد الساكتين في مدينة الكوفة ومن الممدوحين كما يقول علماء الرجال، يقول السيد الخوئي في معجمه: عدّه البرقي من أصحاب الصادق قائلاً: (معلّى بن خنيس مولى أبي عبد الله عليه السلام، كوفي بزّاز، وعدّه الشيخ من السفراء الممدوحين وقال: بينهم المعلّى بن خنيس، وكان من خدّام أبي عبد الله عليه السلام) [2].

٤ ـ أصول الكافي عن الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد عن محمد بن جمهور عن أحمد بن حمزة عن الحسين بن المختار عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية [3]**، إذا كانت الإمرة**

---

(١) أصول الكافي: ج٢، ص٢٢٣. وسائل الشيعة: ج١١، ص٤٨٥.

(٢) معجم رجال الحديث للخوئي: ج١٩، برقم١٢٥٢٥.

(٣) أصول الكافي: ج٢، ص٢٢٠.

صبيانية»[1].

والراوي المباشر لهذه الرواية كالسابقات هو من شخصيات الموالين ويسكن الكوفة أيضاً.

يقول الشيخ جعفر السبحاني: (يحيى بن القاسم، وقيل: ابن أبي القاسم، واسمه إسحاق الفقيه، المحدِّث أبو بصير الأسدي الكوفي، وقيل في كنيته: أبو محمد... وكان من كبار الفقهاء، ثقة، وجيهاً، أخذ الحديث والفقه وسائر العلوم عن الإمامين أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق، وروى عنهما وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام)[2].

وهذه عيّنة غير مرتبة من الروايات التي جاءت عن أئمّة الهدى في خصوص التقيّة لأتباع أهل البيت عليهم السلام، والمتحدّث معهم مباشرة في هذه الروايات - كما مرّ عليك - كلّهم كانوا من سادات الكوفة وشخصياتها العلمية المرموقة، ومع كلّ هذا جاء الأمر من قِبل الأئمة عليهم السلام لهم على ضرورة كتمان أمر تشيّعهم وعدم إظهاره؛ حفاظاً عليهم من جهة، ومن جهة أخرى يسهل عليهم مراقبة الأوضاع السياسية من الداخل عن كثب ونقلها إلى أئمّة أهل البيت لأخذ التدابير الملائمة لها.

---

(١) المراد من البرانية هو الظاهر، والمراد من الجوانية الباطن، وقد وردت هاتان الكلمتان بلا ألف ولام في كتب كافة المسلمين، حيث روى السنّة والشيعة عن علي عليه السلام وسلمان أنّهما قالا: «**لكلّ امرئ جوّاني وبرّاني، فمَن يُصلح جوّانيه يُصلح الله برّانيه، ومَن يُفسد جوّانيه، يُفسد الله برّانيه**»، حلية الأولياء: ج١، ص٢٠٣.

(٢) موسوعة طبقات الفقهاء: ج٢، ص٦٣٢ - ٦٣٣.

النقطة الثانية: معاوية وسياسة البطش مع الشيعة في الكوفة

لا يمكن لأيّ كاتب مهما أوتي من قوّة وبيان أن يجسّد في ألفاظه التي يكتبها حقيقة الظلامة الكبرى التي تعرّض لها أتباع أهل البيت عليهم السلام في داخل الكوفة عبر العصور، فلقد مُلئت منهم السجون وفاضت بهم الأنهر وأكلت منهم الأرض وبُنيت بهم القصور، ولم يتبقَّ وسيلة من وسائل التنكيل والتعذيب إلاّ واستُخدمتْ ضدّهم.

وكانت أعظم الظلامات وأشقّها عليهم أنّهم أُرغِموا على سماع لعن أمير المؤمنين عليه السلام في كلّ جمعة ومن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، كلّ ذلك - وغيره أعظم - من أجل ولائهم ومتابعتهم لأئمّة الهدى ومصابيح الدجى عليهم السلام.

ولقد امتلأت الكتب عند الفريقين بذكر هذه الجرائم، لاسيّما في زمن معاوية، وهو أحد المؤسّسين الكبار لها، وللاختصار سوف أذكر بعض الأحاديث للمثال لا للحصر.

١ ـ ورد في كتاب الاحتجاج: (وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من الشيعة[١]، فاستُعمل زياد بن أبيه وضمّ إليه العراقين: الكوفة والبصرة، فجعل يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كلّ حَجَر ومَدَر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وصلبهم في جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشرّدهم، حتى نفوا عن العراق، فلم يبقَ بها أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول

(١) مقارنة بأعدادهم في بقية الأمصار الأخرى، وإلاّ فعدوّهم في داخل الكوفة قليل كما سيأتي بعد ذلك.

أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد)[(١)].

ويقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: (بعد شهادة علي كتب معاوية إلى عمّاله في الولايات: انظروا مَن قامت عليه البيّنة أنّه يُحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: مَن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا دارَه[(٢)]. ومن هنا كان البلاء عظيماً في العراق، لاسيّما في الكوفة، حتى أنّ الرجل من الشيعة إذا يأتيه مَن يثق به فيدخل عليه بيته ويعطيه سرّه، يَخاف من خادمه حتى يأخذ عليه الأيمان المغلّظة أن يكتمها عليه.

٢ ـ ينقل الشعبي أنّه سمع من رشيد الهجري والحارث بن الأعور الهمداني وصعصعة بن صوحان العبدي وسالم بن دينار الأزري، كلّهم يذكرون أنّهم سمعوا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول في خطبته:

«**يا معشر أهل الكوفة، والله لتصبرنّ على قتال عدوّكم أو لَيُسلّطنّ الله عليكم أقواماً أنتم أولى بالحقّ منهم، فيعذّبكم الله بهم، ثمّ يعذّبهم بما شاء من عنده، أو من قتلة بالسيف تفرّون إلى الموت على الفراش**»[(٣)].

وواضح من خلال هذه الخطبة أنّ الإمام أمير المؤمنين يهيّئ نفوس أتباعه إلى تقبّل هذه الحقيقة المُرّة التي سوف تحلّ بهم وتنزل عليهم، بل إنّ الإمام وضع لهم لتلك المرحلة علاجاً كما سيأتي في الحديث الآخر.

(١) الاحتجاج: ج٢، ص١٧.

(٢) ثورة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ محمد مهدي شمس الدين نقلاً عن نهج البلاغة: ص٧٠.

(٣) شرح الأخبار: ج١، ص١٥٩.

٣ ـ ومن كلام له عليه السلام لأصحابه:

«أَمَا إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، أَلاَ وإنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، فأمّا السبّ فسبّوني، فإنّه لي زكاة ولكم نجاة، وأمّا البراءة فلا تَتَبَرَّءُوا [١] منّي، فإنّي وُلدتُ على الفطرة، وسبقت الى الإيمان والهجرة» [٢].

وهذا فيض من غيض الظلامات التي تعرّض لها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مع أئمّتهم في داخل الكوفة، فأنت تقرأ معي ما تقدّم من الروايات وغيرها، والتي تتحدّث عن بعض ما جرى فيها، وكيفية معالجة الأئمّة لها، وإذا تقرر هذا أفلا يكون عاملاً مهمّاً من عوامل إخفاء الولاء والتشيّع من قِبل أتباع أهل البيت عليهم السلام في داخل الكوفة؟ أفلا يمكن أن تضيع في زُحام هذه الإخفاءات بعضُ الأسماء، فتُصرَف بشكل آخر بعيداً عن خطّ أهل البيت عليهم السلام؟ أفلا يستحقّ مثل هذا الأمر أن تُصرَف له الجهود وتُبذل الأوقات من أجل الوقوف على حقيقة الأسماء والشخصيات التي نقلها لنا التاريخ وعليها رائحة الانحراف أو الميل إلى خطّ آخر غير خط أهل البيت عليهم السلام؟

---

(١) قال السيد الكلبايكاني في الدر النضيد: (ولعلّ الفرق بين السب والبراءة - حيث أمر بالأوّل ونهى عن الثاني - أنّ السبّ صادر بالنسبة إلى المسلم أيضاً، بخلاف البراءة فإنّها تكون عن المشركين والكافرين كما قال الله تعالى: **﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُوله إِلَى الَّذينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**، ومَن كان يتبرّأ منه كان يعدّه من الكفار، وبهذه المناسبة علّل الإمام نهيه عن البراءة بقوله: **«فإنّي ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة»**. الدر النضيد: ج٢، ص٢٥٣.

(٢) نهج البلاغة: ج١، ص١٠٥.

النقطة الثالثة: قلّة أتباع أهل البيت عليهم السلام في الكوفة

وهذا الموضوع من المواضيع المهمّة التي تندرج في إطار الظلامات التي تعرّض لها خطّ أهل البيت عليهم السلام، حيث حمّلوهم كلّ الإخفاقات التي تعرّضت لها الكوفة، سواء في زمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أم فيما بعد ذلك، أو حتى في علاقة بعضهم بالبعض الآخر، حيث صار يُضرب بهم المثل في الغدر والخيانة وسوء السريرة وسقوط الأخلاق وما إلى ذلك من الموبقات والجرائم، بل وحمّلوهم كذلك تبعات قَتْل سيّد الشهداء عليه السلام، حيث ساروا يردّدون من خلال الخطب والكتب والمقالات أنّ الشيعة داخل الكوفة هم الذين قتلوا الحسين عليه السلام، وهذه باعتقادي واحدة من السياسات الأموية التي أُرِيْدَ لها أن تنتشر في ربوع الأمّة الإسلامية؛ حتى تُمَوّه على القاتل الحقيقي وأصحاب الجرم الواقعي.

وأنا هنا لستُ بصدد الحديث عن هذا الموضوع المهمّ، فلعلّنا نوفّق للحديث عنه في طيّات هذه الموسوعة عن شهداء الطف، ولكنّي أودّ أن أشير من خلاله إلى أنّ الكوفة لم تكن متمحّضَة بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، بل كان فيها غيرهم من الخوارج والأمويين ومَن عُرفوا بالعثمانية، فضلاً عن اليهود والنصارى وبقيّة الديانات الأخرى، بل يستطيع الإنسان القول: إنّ نسبة الموالين في الكوفة هي النسبة الأقل إذا ما قُورنتْ ببقية النسب الأخرى.

نعم، هي النسبة الأكبر إذا ما قُورنت ببقية الأمصار الإسلامية الأخرى، كالحجاز مثلاً، فإنّ نسبة الموالين فيها أقلّ من الكوفة، وسوف أذكر هنا بعض الأدلّة التي تؤكّد على هذه الحقيقة.

١ ـ كلّنا قرأ وسمع أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما أراد أن يوقف صلاة التراويح جماعةً في مسجد الكوفة وإذا به يفاجأ من قِبل الناس قولهم وا سنّة عمراه[١].

وقوله حينما أراد أن يصلّي على جنازةٍ فكبّر عليها خمساً، ثمّ التفت إلى الناس بعد أن أحسّ بعدم قبولهم له:

«ما نسيتُ ولا همتُ، ولكن كبّرتُ كما كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله» [٢].

والأمر نفسه حينما أراد أن يوقف شريح القاضي عن دكّة القضاء في مسجد الكوفة، فقالوا له: كيف تعزل مَن عيّنه عمر[٣].

٢ ـ يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو حَمَلْتُ الناسَ على تركها وحوّلتها عن مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتفرّق عنّي جُندي حتى أبقى وحدي، وقليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي» [٤].

٣ ـ روي أنّ أمير المؤمنين قال وهو على منبر الكوفة بعد أن سُئل عن بيع أمّهات الأولاد:

«قد كان رأيي ورأي عمر لا يُبَعْنَ، ثمّ رأيتُ بيعهنّ».

---

(١) تاريخ السنّة النبوية ثلاثون عاماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لصائب عبد الحميد: ص٦١.

(٢) نفس المصدر: ص٦٢.

(٣) رجال المامقاني: ج٢، ص٨٣.

(٤) الكافي: ج٨، ص٥٩ – ٦٣.

فقال له عبيدة السلماني: رأيك مع الجماعة أَحَبّ إلينا من رأيك وحدك)[(١)].

أفيمكن أن يُصدِّق أحدٌ أنّ عليّاً عليه السلام كان يعيش بين شيعته ومحبّيه الذين لا يعصونه؟

هل يمكن أن يكون شيعياً أو حتى يميل إليهم مَن يخاطب علياً عليه السلام بمثل هذا الخطاب الفج؟

ولا شك ولا ريب أنّ عبيدة السلماني ينطق استناداً إلى الرأي العام في الكوفة، ولم ينقل وجهة نظره فقط، وإلاّ لخاف على نفسه ممّن كان جالساً معه في تلك الحلقات، أعنّي أتباع علي عليه السلام وليس عليّاً نفسه.

٤ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«كان علي بن أبي طالب عندكم بالعراق يقاتل عدوّه ومعه أصحابه، وما كان فيهم خمسون رجلاً يعرفونه حقّ معرفته وحق معرفة إمامته» [(٢)].

وبتقديري إنّ هذه المعرفة الكاملة ربّما لم يصل إليها حتى بعض الشيعة فضلاً عن المخالفين لهم.

النقطة الرابعة: منهج أهل البيت عليهم السلام في كتمان وسرّية أمرهم

لا يجد الإنسان وهو يقرأ في روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام وحال الموالين

---

(١) المحصول في علم الأصول لفخر الدين الرازي، دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض العلواني: ج٤، ص١٤٨ - ١٤٩، القسم الثاني فيما أخرج من الإجماع وهو منه.

(٢) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: ص٦.

معهم عبر التاريخ إلاّ وينتهي إلى نتيجة مفادها: أنّ هناك حثّاً واضحاً من قِبل الأئمّة - لاسيّما بعد الإمام الحسينعليه السلام - لشيعتهم بضرورة الكتمان والسرّية في حركتهم، وكان من جملة آثار هذا العمل أن استطاعوا أن يصلوا بأتباعهم إلى سدّة الحكم الأموي والعباسي، أمثال علي بن يقطين ويونس بن عبد الرحمن وآخرين. يقول الإمام موسى بن جعفرعليه السلام لعلي بن يقطين:

«يا علي؛ إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه، وأنت منهم يا علي»[(١)].

ومن طريف ما قرأتُ في هذا المجال رواية عن رسول اللهصلى الله عليه وآله نقلها الشيخ الصدوق عن الإمام الحسن العسكريعليه السلام في حديث طويل: «إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّي قد أيدتُك بشيعتين: شيعة تنصرك سرّاً وشيعة تنصرك علانيةً، فأمّا التي تنصرك سرّاً فسيّدهم وأفضلهم عمّك أبو طالب، وأمّا التي تنصرك علانية فسيّدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب، ثمّ قال: وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه»[(٢)].

ورسول اللهصلى الله عليه وآله في هذه الرواية يوسّع من دائرة المنهج الذي اتّخذه أئمّة أهل البيتعليهم السلام في رعاية الحالة السرّية في حركة أشياعهم وأتباعهم في داخل الأمّة، حتى جعلهصلى الله عليه وآله منهجاً إلهيّاً مرسوماً من قِبل السماء منذ بداية هذه الدعوة الإسلامية، وما أشبه واقع أبي طالب ومظلوميته مع واقع زهير بن القين ومظلوميته،

---

(١) رجال الكشي: ص٣٦٧.

(٢) الغدير: ج٧، ص٣٩٥.

فكلٌّ منهما ظَلَمَهُ التاريخ - منحرفاً عن رسول الله وأهل بيته - مع عظيم ما قدّم للإسلام وجليل ما ضحّى به من أجله، ومِن هنا نجد التشبيه النبوي والحسيني لهما بأنّهما كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه.

رابعاً: زهير بن القين يروي زواج علي عليه السلام من أمّ البنين

يُروى أنّ زهير بن القين أتى إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل قبل أن يُقتل، فقال: يا أخي، ناولني هذه الراية، فقال له عبد الله: أَوَفِيّ قصور عن حَمْلها، قال: لا ولكن لي بها حاجة، قال: فدفعها إليه وأخذها زهير وأتى تجاه العباس ابن أمير المؤمنين، وقال: يا بن أمير المؤمنين، أريد أن أحدّثك بحديث وعيتُه، فقال: حدِّث، فقد حلا وقت الحديث، حدّث ولا حرج عليك، فإنّما تروي متواتر الإسناد.

فقال:

اعلم يا أبا الفضل أنّ أباك أمير المؤمنين عليه السلام، لَمّا أراد أن يتزوّج بأمّك - أُمّ البنين - بعث لأخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب، فقال له: يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت أو الحسب والنسب والشجاعة؛ لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام ليواسيه في طفّ كربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثْل هذا اليوم فلا تقصّر عن حلائل أخيك وعن إخوانك، قال: فارتعد العباس وتمطّى في ركابه حتى قطّعه، وقال يا زهير: تشجّعني في مِثْل هذا اليوم، والله لأرينّك شيئاً ما رأيتَه قط» [(١)].

(١) أسرار الشهادة للدربندي: ص٢٣٤. بطل العلقمي للمظفّر: ج١، ص١٢٠.

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط

١ ـ إنّ هذه الرواية تدلّ وبشكل واضح وصريح – وهذا ما نحن بصدد إثباته – أنّ زهيراً لم يكن في هوى غير هوى أهل البيتعليهم السلام، حيث يبدو أنّه – من خلال الرواية – كان واعياً وملتفتاً إلى كربلاء وما سوف يجري فيها من قَتْل للحسينعليه السلام وأهل بيته، بل وكان ملتفتاً حتى إلى التحضيرات التي تُقام من أجل هذه الواقعة، من قبيل تهيئة أصحابها وشخصياتها.

وهذا ما ليس يخفى على كلّ مَن اطّلع على كتب صحاح المسلمين وغيرها، حيث سيجد أنّ هناك روايات تُعدّ بالعشرات إن لم نقل بالمئات تحدّثتْ عن كربلاء وما يحصل فيها وتحديد المجرم، بل والمكان الذي يتمّ قَتْل الحسينعليه السلام فيه، وما حديث القارورة التي روتْها أُمّ سلمة في صحاح المسلمين[1] عن رسول اللهصلى الله عليه وآله إلاّ واحد من عشرات الروايات في هذا المجال.

٢ ـ حرص زهير بن القين على أداء المهمّة التي دعا إليها رسول اللهصلى الله عليه وآله والأئمّة من بعده، من خلال الوقوف إلى جانب الحسين والقتل بين يديه، وقد

(١) تقول أم سلمة: (كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبيصلى الله عليه وآله في بيتي فنزل جبرئيل فقال: يا محمد، إنّ أمّتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول اللهصلى الله عليه وآله وضمّه إلى صدره، ثمّ قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**وديعة عندك هذه التربة، فشمّها رسول اللهصلى الله عليه وآله وقال: ريح كرب وبلاء**»، قالت: وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**يا أمّ سلمة، إذا تحوّلت هذه التربة دماً فاعلمي أنّ ابني قد قُتل**»، فجعلتها أمّ سلمة في قارورة ثمّ جعلت تنظر إليها كلّ يوم وتقول: إنّ يوماً تتحوّلين فيه دماً ليوم عظيم)، الطبراني في المعجم الكبير: ج٣، ص١٠٨. مجمع الزوائد: ج٩، ص١٨٩. الخصائص الكبرى للسيوطي: ج٢، ص١٥٢.

يُرى ذلك واضحاً من خلال ذهابه (رض) إلى العباس وطلبه منه أن يثبت مع أخيه ويحمي حرائر النبوّة وعقائل الإمامة، وتذكيره بأنّه مدّخر لمثل هذا الموقف.

ويبدو أنّ هذا الحرص لم يكن وليد منطقة زرود ولقاء الحسين عليه السلام به، بل هو قديم بقدم الرواية التي وعاها زهير بن القين، أي بعبارة أخرى: كان زهير يحمل في نفسه كلّ هذه المشاعر بالرغبة في الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام قبل كربلاء بأكثر من ٣٥ سنة، ومن هنا أرى أنّ رواية زرود وما يُنقل فيها من تذكير الحسين له بحديث سلمان لا يتناسب مع الروايات الأخرى، التي تؤكّد أنّ الرغبة للشهادة كانت قبل لقاء الحسين عليه السلام.

نعم، ربّما كان هذا اللقاء هو لقاء تنفيذ هذه الرغبة وإعلان الانتقال الحقيقي إلى ركب الشهادة الحسينية.

٣ ـ تكشف هذه الرواية عن عمر الشهيد زهير بن القين (رض)؛ لأنّه في حديثه للعباس قال له: (أحدّثك بحديث وعيته)، والوعي المتصوّر له هو أن يكون عمره بين (١٢ ـ ١٤) سنة حتى يتناسب معها في أن يعي مثل هذه الرواية والأهداف منها، وأن تبقى عالقة في ذهنه.

وبما أنّ الرواة قالوا بأنّ زواج الإمام علي عليه السلام من أمّ البنين (رض) في سنة (٢٣ – ٢٤)هـ؛ لأنّ ولدها الأكبر وهو العباس كان عمره يوم عاشوراء ٣٥ سنة تقريباً، فإذا ما رجعنا إلى الوراء سنجد أنّ الولادة حصلت في سنة (٢٩)هـ[1]، وإذا

---

(١) العباس للسيد المقرّم: ص١٢٧. السيرة النبوية لابن كثير: ج٤، ص٥٨١. الكنى والألقاب للقمّي: ج١، ص١١٥.

ما طرحنا سنة الحمل والسنتان بعد الزواج على أكثر التقادير، فلا مناص من القول إنّ الزواج حصل سنة (٢٣ ـ ٢٤)هـ تقريباً، وحتى يعي الشخص مثل هذا الزواج وينقله لابدّ أن يكون عمره كما قدّرنا (١٢ ـ ١٤) سنة، فتكون سنة ولادته (١٠) هـ أو بعدها بقليل.

٤ ـ مشاركة الشهيد زهير بن القين (رض) للحوراء زينب في رواية زواج الإمام علي عليه السلام من أمّ البنين (رض)، حيث ذكر بعضهم حديثاً جرى بين العباس وبين أخته زينب، وذلك بعد رجوعه من محادثة الشمر وقد أنكر عليه رافضاً أمانه الذي جاء به له ولإخوته، قال: ورجع أبو الفضل العباس عليه السلام يتهدرس كالأسد الغضبان، استقبلتْه الحوراء زينب وقد سمعت كلامه مع الشمر، قالت له: أخي، أحدّثك بحديث؟

قال: حدّثيني يا زينب، لقد حلا وقت الحديث، قالت: اعلم يا بن والدي، لمّا ماتتْ أُمّنا فاطمة عليها السلام قال أبي لأخيه عقيل: أريد منك أن تختار لي امرأة من ذوي البيوت والشجاعة حتى أصيب منها ولداً ينصر ولدي الحسين بطف كربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر يا أبا الفضل، فلمّا سمع العباس عليه السلام كلامها تمطّى في ركاب سرجه حتى قطعهما، وقال لها: أُخية، أفي مثل هذا اليوم تشجّعيني وأنا ابن أمير المؤمنين؟! فلمّا سمعتْ كلامه سُرّتْ سروراً عظيماً»[1].

٥ ـ وصفَ العباس عليه السلام زهير بن القين (رض) بالعدالة بأعلى صورها وأجملها حينما قال له: إنّما تروي متواتر الأسناد، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ

---

(١) ثمرات الأعواد للسيد علي الهاشمي: ج١، ص١٦٧ – ١٦٨.

علـى أنّ الـشهيد كـان محـلّ اعتمـاد ووثاقـة عنـد أهـل البيـتعليهم السلام، لاسـيّما الحـسينعليه السلام؛ وذلـك لأنّ العبـاسعليه السلام لا ينطـق إلاّ بمـا يـتلاءم مـع فَهْـم أهـل البيتعليهم السلام بشكل عام والحسين بـشكل خـاص، فـلا يمكـن أن يـصف أحـداً بأنّـه يروي متواتر الأسناد وهو يروي إلى فترة وجيزة من عمره على وفق رؤيـة خاطئـة كان يعتقدها في مظلومية عثمان، وعليه فيكون هذا المقطع ممّـا يؤيّـد علويّـة هـذا الرجل لا عثمانيّته.

خامساً: زوجة الشهيد زهير وغلامه وتكفين الحسين عليه السلام

ينقل ابن عساكر في ترجمـة الإمـام الحـسينعليه السلام فـي القـسم غيـر المطبـوع قوله: (وكان زهير بن القين قد قُتل مع الحسينعليه السلام، فقالتْ امرأته لغلام له يُقال لـه شجرة: انطلق فكفّن مولاك، قال: فجئتُ فرأيتُ حسيناً ملقى، فقلتُ: أكفّن مولاي وأدع حسيناً؟!

فكفّنتُ حسيناً ثمّ رجعت، فقلتُ ذلك لها فقالت: أحـسنت، وأعطتنـي كفنـاً آخر وقالت: انطلق فكفّن مولاك ففعلتُ)[1].

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط:

١ ـ إنّ هذه الرواية لتدلّك وبشكل واضح أنّ الـشهيد زهيـر بـن القـين حينمـا انتقل إلى الحسينعليه السلام لم يكن ذلك بمفرده، بل كانت هناك مجموعة مـن النـاس قد انتقلوا معه والذين من جملـتهم ابـن عمّـه سـليمان بـن مـضارب البجلـي، أحـد

(١) مجلّة تراثنا: العدد١٠، ص١٩٠، نقلاً عن كتاب ابن عـساكر فـي ترجمـة الإمـام الحـسينعليه السلام فـي القسم غير المطبوع.

الشهداء الكربلائيين، وكذلك غلامه شجرة وزوجته ديلم بنت عمرو، وهذا الأمر يشير ضمناً أنّ الشهيد زهيراً كان حريصاً على جلْب أكبر عددٍ ممكن من الناس للوقوف إلى جانب الحسين عليه السلام في حركته، رائده وقائده في ذلك ولاؤه للحسين عليه السلام وآل الحسين عليه السلام، وهذا ما نريد إثباته.

٢ ـ هذه الرواية تشير أيضاً إلى تشيّع زوجة الشهيد زهير بن القين (رض)، وإلى جَلَدِها في سبيل الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام وخطّهم، حيث أبتْ على نفسها إلاّ المجيء مع زوجها إلى كربلاء مع علمها ومعرفتها المسبقة بأنّ مثل هذا الانتقال إلى رَحْل الحسين عليه السلام والمجيء معه إلى كربلاء سيؤدّي – لا شكّ – إلى الشهادة لزوجها، وهذا ما أكّدتْه وبشكل واضح حينما قالت له: (خار الله لك، اذكرني عند جدّ الحسين عليه السلام يوم القيامة)[1].

ولكنّها – ومع كلّ هذا – آلت على نفسها إلاّ المشاركة مع السيّدة زينب وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله في مصائبهنّ، وممّا لا شكّ ولا ريبَ فيه أنّ هذا الذي تذكره الرواية عن امرأة زهير بن القين وحضورها في كربلاء هو خلاف المشهور والمتّفق عليه – على أقل التقادير – عند مَن تحدّث عن زوجة الشهيد زهير، وأنّه طلّقها وأمرها بالعودة إلى أهلها، وقال لها: إنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلاّ خير.

وربّما تكون رواية ابن عساكر عن هذه المرأة هي الأقرب إلى واقع إيمانها وواقع قولها وعملها الذي صدر منها (رض)، فإنّها كانت الحاثّة لزوجها والدافعة له إلى الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام، بل والطالبة منه أن يذكرها عند رسول

---

(١) أدب الطف: ج٨، ص١٦٩.

الله صلى الله عليه وآله لمّا قدمت وتحمّلت في سبيل الله، ومن ثم فإنّ مَن تقول بمقالتها لابدّ أنّها قد هيّأت نفسها للمشاركة الحقيقية إلى جانب الحسين، لا أن تترك زوجها يذهب وتبقى بعده بلا مواساة حقيقية.

٣ ـ تكشف هذه الرواية عن غلام زهير بن القين (شجرة) فتسلّط الأضواء عليه بشكل مُلفت للنظر، وهو الذي أعطى صورة في أعلى درجات الولاء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام كما يقول الراوي، حيث أبتْ عليه مُثُل الولاء وقِيَمُه -التي أخذها وتعلّمها من سيّده الموالي زهير بن القين وزوجته الموالية (دلهم بنت عمرو) - أن يرى الحسين عليه السلام مجرّداً بلا كفن على رمضاء كربلاء تصهره الشمس بحرارتها فيتركه ويذهب ليكفّن سيّده ومولاه زهير بن القين، وهو العبد الذي ينبغي أن يكون مطيعاً لأسياده فيما يأمرونه فيه.

ولهذا نراه بعد أن اطّلع على هذه الصورة تحرّك سريعاً ضمن دائرة هذه التربية الإيمانية الولائية العالية التي أخذها عن أسياده في حبّ أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم، قد تحرّك فاتّخذ القرار بتكفين الحسين عليه السلام وترك سيّده بلا كفن حتى من دون أن يأخذ الإذن من زوجة الشهيد.

وبعبارة أخرى أكثر وضوحاً: إنّ (شجرة) حينما علم وتيقّن بصحّة عمله وقبوله عند زوجة الشهيد، قام بعمله من دون أن يرجع إليها، فكأنّه أخذ الأذن بالفحوى، وهذا ما حصل فعلاً، حيث رجع إليها وأخبرها بالخبر وبما صنع، فشكرتْه على فعله وقالتْ له: (أحسنت)، وهي كلمة بتقديري تعني ضمناً أنّ ما صنعه «(شجرة) هو عين الصواب، وكلّ شيء عداه سيكون خلاف هذا الصواب،

ثمّ قدّمت له كفناً آخر وأَمَرَتْه بتكفين زهير بن القين ففعل ثانياً.

ولقد وقفتُ أمام هذه الصورة الولائية الرائعة التي صنعها هذا الغلام، وتأمّلتُها كثيراً، فرأيتُ أنّ مثل هذا الموقف يمكن أن يكون عنصر إثارة كبيرة جدّاً لكلّ الأدباء والشعراء، بل وحتى أرباب الفن والمسرح؛ لعظيم ما تضمّنه من تهييج للمشاعر والعواطف الإنسانية والإحساس المرهف الذي يحمله الناس بين جَنَبَات أنفسهم.

فإذا لم يكن مثل هذا الموقف دالاً - وبشكل واضح - على تشيّع الغلام فضلاً عن سيّده زهير بن القين وزوجته، فأيّ صورة وموقف يمكن أن يكشف لنا عن التشيّع ويمكن أن يرقى إلى هذا المستوى المميّز من التفاعل مع أهل البيت عليهم السلام.

٤ ـ وقد يقول قائل: إنّ هذه الرواية تخالف ما ذكرتْه الروايات الأخرى، بأنّ الذي تولّى تجهيز الإمام الحسين عليه السلام وتكفينه هو ولده زين العابدين عليه السلام، فما تقولون؟

نقول: إنّ ما ذكرتْه مثل هذه الروايات لا يتنافى مع ما ذكرتْه رواية ابن عساكر، حيث يمكن حَمْلها على المساعدة والمشاركة في عملية التجهيز للإمام الحسين عليه السلام مع الإمام زين العابدين وليس بشكل مستقل، نظير لِمَا حصل وجرى مع بني أسد في تجهيزهم لشهداء الطف، لاسيّما الحسين عليه السلام، حيث يذهب - على أساس الرأي الأصحّ - المشهور من العلماء إلى أنّ بني أسد شاركوا الإمام في تجهيز الحسين عليه السلام وبقيّة الشهداء؛ جمعاً بين الروايات.

أو أن يكون التكفين قد حصل مرّتين، مرّة على يد شجرة ومرة أخرى على يد الإمام زين العابدين عليه السلام، مثلما كان يجري مثل هذا الأمر وحسب الروايات مع أئمّة أهل البيت عليهم السلام، حين كان الشهيد منهم يُجهَّز من قِبل بعض الناس ظاهراً، وأمّا واقعاً فكان يُجهّز من قِبل المعصوم الذي كان يليه، ومن ثم فلا تنافي بين الروايات.

إشارة لابد منها:

وبعد هذه الإطلالة السريعة على كلّ من الرأيين السابقين اللّذين ذكرهما العلماء حول عثمانية الشهيد زهير بن القين وعدمها، يبقى الموقف الحق والعظيم الذي ختم الشهيد حياته به هو رمزاً لكلّ المواقف الحقّة والعظيمة، التي ترفع شأن الإنسان في هذه الحياة والحياة الأخرى، بغضّ النظر عمّا كان يعتقد فيما مضى، فأساس الأعمال خواتيمها كما نقل عن السيد المسيح[(١)].

ولقد بذلتُ جهداً ليس بالقليل من أجل أن أعطي كلّ رأي ما يستحقّه من تسليط للأضواء على العظات والعِبَر المترتبة عليه، وإن كنتُ أميل أنا شخصياً - حسب ما تتبّعتُ ممّا كُتب أو قِيل حول هذا الموضوع - إلى الرأي الثاني، وهذا ما يمكن أن يتلمّسه القارئ لمّا كتبتُ حول كلٍّ من الرأيين، ولكنّ هذا لا يعني - بأيّ حال من الأحوال - التقليل من شأن الرأي الأوّل (معاذ الله)، فقد ذهب إليه جُلّ علمائنا، رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين. وأخيراً، يبقى للرأي حرمته ويبقى الباحث هو ابن الدليل الذي حيث ما مال يميل.

---

(١) ذكر المجلسي في بحاره: ج١٤، ص٣٢٢: أنّ السيد المسيح قال: «**الناس يقولون إنّ البناء بأساسه، وأنا لا أقول لكم كذلك**، قالوا: فما تقول يا روح الله؟ قال: **بحق أقول لكم إنّ آخر حجر يضعه العامل هو الأساس**».

الحسين عليه السلام يخبر الشهيد زهير بمقتله عليه السلام

روى محمد بن جرير الطبري في كتابه (دلائل الإمامة) بسنده عن عمارة بن زيد عن إبراهيم بن سعيد[١]، وكان هو مع زهير بن القين حين صحب الحسين، فقال لزهير بن القين: «اعلم أن ها هنا مشهدي، ويحمل هذا من جسدي (وأشار إلى رأسه) زحر بن قيس فيدخل على يزيد ويرجو نائله فلا يعطيه شيئاً»[٢].

وكان كما أخبر الحسين عليه السلام

يقول صاحب البداية والنهاية: (قال هشام: فحدّثني عبدُ الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه الغازي بن ربيعة الجرشي من حمير، قال: والله، إنّي لعند يزيد ابن معاوية إذ أقبل زحر بن قيس، فدخل على يزيد، فقال له يزيد: ويلك، ما وراءك؟

قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره، ورد علينا الحسينُ بن علي ابن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته وستون رجلاً من شيعته، فسِرْنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كلّ ناحية، حتى أخذتْ السيوف مأخذها من هام القوم، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولا وزر، ويلوذون بالآكام والحفر، ولوذاً كما لاذ الحَمَام من صقر[٣]، فوالله، ما كان إلاّ

(١) دلائل الإمامة لأبي جعفر الطبري: ص٧٤. إثبات الهداة: ج٥، ص٢٠٦، ح٦٧.

(٢) هو إبراهيم بن سعيد المدني الزّهري، عدّه الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق عليه السلام وأنّه كان إمامياً.

(٣) ليس غريباً على زحر بن قيس الذي يرضى بخلافة يزيد وبإمرة الدعي بن الدعي عبيد الله بن مرجانة أن يكذب مثل هذه الكذبة العظيمة على أصحاب أبي عبد الله الحسين، وهم أسود الحروب، وقد وصفهم مَن قاتلهم بأنّهم (فرسان المصر) (ولو تركناهم لأتوا علينا جميعاً).

جزر جزور أو فوقه، حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجرّدة، وأبدانهم مرمّلة، وخدودهم معفّرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوّارهم العقبان والرخم.

قال: فدمعتْ عينا يزيد بن معاوية[١].

وقال: كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قَتْل الحسين عليه السلام، لعن الله ابن مرجانة، أَمَا والله لو أنّي صاحبه لعفوتُ عنه، ورحم الله الحسين، ولم يصل زحر بن قيس بشيء)[٢].

شهادة زهير بن القين

لأصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام حملة كبرى حصلت عند ارتفاع نهار يوم عاشوراء، حيث اشتركوا جميعاً فيها وأبلوا بلاءً حسناً حتى جُرح فيها أكثرهم، وبعد أن بان النقص فيهم بدأوا يبرزون وحداناً أو على شكل مجاميع صغيرة.

وعندما خرج الحرّ بن يزيد الرياحي للقتال والحرب، خرج زهير بن القين يحمي ظهره، فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر فاستنقذه، وظلّوا على هذا الحال مدة من الزمن حتى قَتلوا عدداً كبيراً من جنود ابن زياد وعمر بن سعد، إلى أن سقط الحرّ شهيداً على رمضاء كربلاء، عندها خرج زهير بن القين مُصْلِتاً سيفه لقتال القوم.

---

(١) كذباً من الراوي أو المؤرّخ، أو نفاقاً من يزيد بن معاوية.

(٢) البداية والنهاية: ج١٢، ص٥٥٦ – ٥٥٧.

وقت الشهادة

لقد كانت شهادة زهير بن القين بعد الظهر بمدة وجيزة من الزمن، حيث أبى أن يستشهد حتى يرى ابن عمّه الملتحق به أنّه قد سار على خطّه وسيرته وثبت في نصرة الحسين عليه السلام، وهذا ما كان الأولياء يصنعونه دائماً مع ذرّيّاتهم والمقرّبين لهم في مثل هذه الظروف، كما حصل في يوم عاشوراء مع أبي الفضل العباس، عندما قدّم إخوته أمامه وهو يقول لهم:

«**تقدّموا حتى أراكم نصحتُم لله ولرسوله**»[1].

والتفت إلى أخيه عبد الله وقال:

«**تقدم يا أخي؛ حتى أراك قتيلاً وأحتسبك**»[2].

ونفس هذا المعنى صنعه عابس بن شبيب الشاكري مع شوذب[3]، حيث قال له: (يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع؟ أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أُقتل.

فقال: ذلك الظنّ بك، أمّا الآن فتقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى به منّي بك، لَسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما نقدر عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم وإنّما هو الحساب)[4].

---

(١) الإرشاد: ٢٦٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص ٨٢.

(٣) بغض النظر عن كونه مولى له أو لم يكن.

(٤) تاريخ الطبري: ج٣، ص٣٣٩.

وداع زهير للحسين عليه السلام وشهادته

وبعد أن تقدّم زهير بن القين إلى القوم بوعظه وإرشاده ونُصحه لهم بقدر ما يستطيع لعلّهم يرجعون عن غيّهم فأبَوا إلاّ الضلال، نزل إليهم بسيفه يمسكه بيده ولواء العزّة والرفعة يرفرف فوق رأسه، وقبل أن يتوجّه إلى الأعداء ذهب إلى الحسين عليه السلام وقد أمسك سيفَه بيدٍ ووضع الأخرى على منكب الحسين عليه السلام قائلاً له ومستأذناً منه:

أقدِم هديت هادياً مهديّا ... فاليوم ألقى جدّك النبيّا

وحسناً والمرتضى عليّا ... وذا الجناحَين الفتى الكُميّا

فقال له الحسين عليه السلام:

«**وأنا ألقاهما على إثرك**».

فتقدّم إلى القوم وقاتل قتالاً لم يُرَ مثله وهو يحمل على القوم ويرتجز قائلاً:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ ... أذُودُكُم بالسَّيفِ عنْ حُسَيْنِ

إنّ حسيناً أحدُ السبطَينِ ... مِن عترةِ البِرّ التَّقي الزَّيْنِ

فحصد العشرات من رؤوس الشرك والضلال حتى أُرهق من شدّة القتال، فتربّص به غادران وهما: كثير بن عبد الله الشعبي، والمهاجر بن أوس فقتلاه[1].

---

(١) أعيان الشيعة: ج٧، ص ٧١ – ٧٢.

ويروي القندوزي في (ينابيع المودّة): (إنّ زهير بن القين حينما صار يوم عاشوراء قال لأصحابه قبل أن ينزل إلى ساحة المعركة، حاثّاً لهم على التمسّك والثبات والاستبشار بالجنّة:

«يا قوم، هذه الجنّة قد فتحت أبوابها وأَيْنَعَتْ ثمارُها، وهذا رسول الله والشهداء يتوقّعون قدومنا، فحاموا عن دينِ اللهِ واحفظوا حُرَمَ رسول الله صلّى الله عليه وآله».

ثمّ برز وهو يقول:

أَقْدِمْ حُسَيْنُ اليَوْمَ تَلْقَى أَحْمَدَا ... ثُمَّ أَبَاكَ الطَّاهِرَ المُؤَيَّدَا

وَالْحَسَنَ المَسْمُومَ ذَاكَ الأُمَجَّدَا ... وَذَا الجَنَاحَيْنِ حَلِيْفَ الشُّهَدَا

وحمزةَ الليثَ الهُمامَ الأَسْعَدا ... في جنّةِ الفردوس عاشوا سُعَدَا)[1]

يقول ابن شهر آشوب: (فقتل منهم (١٢٠) رجلاً ثمّ رجع فوقف أمام الحسين عليه السلام وقال له:

فَدَتْكَ نفسي هادِيَاً مَهْدِيّا ... فَاليومَ أَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّا

وَحَسَنَاً والمُرْتَضَى عَلِيَّا ... وَذَا الجَنَاحِيْنِ الشَّهِيْدَ الحَيَّا

فكأنّه ودّعه وعاد يقاتل، فشَدّ عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه)[2].

(١) ينابيع المودّة للقندوزي: ج٣، ص٧٢، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني.

(٢) أعيان الشيعة: ج٢، ص٧٢. تاريخ الطبري: ج٣، ص٣٢٨ بتفاوت يسير.

الحسين عليه السلام يؤبّن الشهيد زهيراً

روى السروي في المناقب: (لمّا صُرعَ زهير بن القين وقف الحسين عليه السلام عليه فقال:

«لا يبعدنّك الله يا زهير، ولعن الله قاتليك لَعْنَ الذين مُسِخُوا قردةً وخنازير»)(١).

وفي هذا التأبين يتلمس الإنسان أَلَمَ الحسين عليه السلام على زهير وغضبه على قاتليه الذين شبّههم باليهود، حيث مُسِخوا من الإنسانية ومعانيها الجليلة، وفي هذا يقول الشيخ محمد السماوي:

لاَ يُبْعِدَنْكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ	**وَعَظَ العِدَى بِالوَاحِدِ الأَحَدِ**
ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ الخَمِيْسِ فَمَا	**أَبْقَى لِدَفْعِ الضَّيْمِ مِن أَحَدِ**

وتمرّ الليالي والسنون فيأتي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ليستذكر موقف زهير في زيارته الشريفة لشهداء الحسين عليه السلام بقوله:

«السلام على زهير بن القين البجلي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟! لا أراني الله ذلك اليوم»(٢).

ونحن نقول: هنيئاً لك يا زهير هذا التأبين وهذا الإطراء، وهذا الخلود الذي صنعتَه لك يوم عاشوراء، حيث حلّقت مع الحسين عليه السلام في أعلى مراتب الجنّة، فسلام عليك يوم وُلدت ويوم استُشهدت ويوم تُبعث حيّاً.

---

(١) المناقب: ج٤، ص١٠٣.

(٢) بحار الانوار، ج ٩٨، ص ٢٧٢.

الشهيد أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي عليه السلام

المقدمة

لا يبالغ الإنسان إذا ما قال بأن ما جرى في واقعة كربلاء وما نتج عنهـا يمثـل خلاصة الأديان والرسالات التي بعثها الله عز وجل، فقد حققت هذه المعركة بكل عزّ وافتخار حلم الأنبياء جميعاً وجسدت إرادة الله سبحانه وتعالى في الأرض.

تجسّد مفهومان كبيران في كربلاء وحتى يتقـرب هـذا المعنـى المهـم أكثـر إلى الذهن أشير هنا إلى مفهومين أساسيين دعا إليهما الأنبياء جميعـاً وتجـسدا فـي كربلاء وهما:

أولاً: العدل

حيث لا تجد نبياً بعثه الله عز وجل إلا وقد دعا وناضل من أجل إقامة العدل ورفع الظلم والجور عن الناس حتى أعطوا نفوسهم رخيصة في هـذا الطريـق كمـا هو واضح من خلال الرجوع إلى تأريخهم عليهم السلام، ولقـد أشـار القـرآن الكـريم إلـى ذلك بقوله:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ

النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[١].

ونحن نفهم من هذه الآية الكريمة كما هو واضح أنّ العدل كان مطلب جميع الأنبياء والمرسلين بل كان هو المطلب الأسمى والأهم بنظر السماء، ويكفي في التدليل على أهميته هو الرجوع إلى ما ذكرته النصوص الإسلامية عند علماء المسلمين، في خصوص الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وخروجه في آخر الزمان حتى ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، كل ذلك من أجل أن يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجورا[٢].

ومثل هذا المفهوم قد تجسد في كربلاء في أعلى صوره وأشكاله، فقد وقف الحسين عليه السلام والثلة المؤمنة من أهل بيته وأنصاره يوم العاشر من المحرم وقدموا كل غال ونفيس من أجل أن يثبّتوا العدل وينشروه ويوقفوا الظلم ويبتروه.

ثانياً: التسليم لله

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في أكثر من موضع لاسيما وهو يتحدث عن الأنبياء وسيرتهم، يقول القرآن وهو يتحدث عن إبراهيم عليه السلام:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٣].

ويقول كذلك وهو يتحدث عن وصية يعقوب لبنيه:

---

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) مضمون أحاديث كثيرة وردت في حق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وخروجه، معجم أحاديث المهدي: ج١، ص١٠٤.

(٣) البقرة: ١٣١.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [(١)].

وهكذا مع بقية الأنبياء والمرسلين بل لقد اختصر الباري عز وجل الدين كله بالإسلام بقوله:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [(٢)(٣)].

وقد تجسد مثل هذا المعنى العظيم في كربلاء بدرجة قلّ مثيلها، حيث كان جميع من حضر في كربلاء مسلماً لله نفسه ومفوضاً إليه في أمره، راضياً بكل ما نزل به أنه بعين الله عزّ وجلّ، بل كانوا من المستأنسين بالمنية بين يدي الله سبحانه وتعالى.

وهكذا مفاهيم الإخلاص والصبر والتضحية والعمل الصالح والإباء والعزة والكرامة وما إلى ذلك دعا إليها الأنبياء وتجسدت في كربلاء.

من هنا نفهم أنّ كربلاء ما كانت في يوم من الأيام منذ أن حصلت منحصرة في بقعتها التي جرت عليها ولا حتى برجالها العظام الذين سطروا أعظم الملاحم الإيمانية فيها، بل إن كربلاء تمتد بعدلها ومبدئيتها وقيمها العالية إلى أرجاء كل الدنيا في كل زمان ومكان، فقد حمل مشعل كربلاء هادياً ومسترشداً له حتى من

---

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) على أساس الرأي القائل أن المراد من الإسلام هنا هو التسليم كما يذهب إلى ذلك جملة من المفسرين، مفاهيم القرآن: ج٣، ١١٤، وقول أمير المؤمنين: «لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين» نهج البلاغة: المختار من الحكم: ١٢٥.

كانوا خارج الدائرة الإسلامية أمثال غاندي الذي قال: «تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً فأنتصر»[١]، وغيره كثير.

وربّما مثل هذا الأمر هو الذي يفسر لنا عمومية الشهداء الذين وقفوا إلى جانب الحسين حتى ضرّجوا بدمائهم (رض)، فقد كان المسيحي إلى جانب المسلم والخارجي إلى جانب الموالي والأسود إلى جانب الأبيض والأحرار إلى جانب العبيد والعربي إلى جانب الأعجمي والرجال إلى جانب النساء وكان الشيبة وكبار السن إلى جانب الشباب والصبيان بل وحتى الرضع، كل هذا من أجل أن يقولوا لنا جميعاً حاولوا أن تقرأونا ككتلة واحدة من دون أن تنظروا إلى تفاصيل كل واحد منا فقد وسعتنا كربلاء بكل أطيافنا وعليكم أن تفهموا كربلاء كما فهمناها حتى تسعكم كما وسعتنا.

بين يدي الشهيد أنس (رض)

لقد كان من جملة خصائص الشهداء كما تقدم قبل قليل هو التنوع العمري حيث وقف الشيبة وكبار السن إلى جانب الشبيبة في بوتقة من الانصهار الإيماني قلّ أن توجد في غيرهم (رض)، وكان من جملة كبار السن الذين سطروا أعظم الملاحم كما سيأتي هو الشهيد أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي (رض)، هذا الرجل الذي وقف بشيبته المباركة مدافعاً عن الإسلام وعن إمامه عليه السلام بشكل أبكى حتى الحسين عليه السلام نفسه عليه حتى قال له: «شكر الله سعيك يا شيخ»[٢].

(١) من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، عبد العظيم المهتدي البحراني: ص٢٤٨.

(٢) أبصار العين: ص٥٦، مقتل الحسين للمقرم: ص٢٥٣.

أقوال العلماء في حق الشهيد أنس (رض)

١ ـ قال الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف «مخاطباً الشهيد في زيارته:

«**السلام على أنس بن كاهل الأسدي**»[١].

٢ ـ قال المامقاني: «بخٍ بخٍ لمثل هذا الرجل العظيم مثال السعادة والتوفيق ففي بدء حياته ينال شرف الصحبة وفي خاتمة حياته ينال شرف الشهادة في الدفاع عن سيد شباب أهل الجنة صلوات الله عليه وبعد وفاته ينال شرف التسليم من حجة الله على الخلق أجمعين»[٢].

٣ ـ قال ابن عبد البر: «أنس بن الحارث روى عن سليم والد الأشعث بن سليم عن النبي صلى الله عليه وآله في قتل الحسين عليه السلام وقتل مع الحسين عليه السلام رضي الله عنهما»[٣].

٤ ـ قال البخاري: «أنس بن الحارث قتل مع الحسين عليه السلام سمع النبي قاله محمد بن سعيد بن عبد الملك الحرّاني»[٤].

٥ ـ قال ابن حجر: «أنس بن الحارث بن نبيه بن كاهل بن عمرو بن صعب ابن أسد بن خزيمة الأسدي الكاهلي عداده في أهل الكوفة انتهى»[٥].

٦ ـ قال السيد الأمين: «أنس بن الحارث ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب

---

(١) إقبال الأعمال لابن طاووس: ٥٧٦.

(٢) تنقيح المقال: ج١١، ص٣٣١.

(٣) الاستيعاب: ج٨ ص٤٦ رقم٤٤.

(٤) الإصابة: ج١، ص٨٤ رقم ٢٦٦.

(٥) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩ (٥٠٠).

رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: قُتل مع الحسين عليه السلام»[١].

٧ ـ قال ابن نما الحلي: «خرج أنس بن الحارث الكاهلي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ كَاهِلُهَا وَدَوْدَانِ	وَالخَنْدَفِيُّوْنَ وَقَيْسُ عَيْلاَنِ
بِأَنَّ قَوْمِي قَصَمُ الأَقْرَانِ	يَا قَوْمِ كُوْنُوا كَأُسُوْدِ الجَانِ
آلُ عَلِيٍّ شِيْعَةُ الرَّحْمَنِ	وَآلُ حَرْبٍ شِيْعَةُ الشَّيْطَانِ» [٢]

٨ ـ قال السيد المقرم: «وكان أنس بن الحارث بن نبيه شيخاً كبيراً صحابياً رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً»[٣].

قبيلة الشهيد الكربلائي (كاهل)

معنى كاهل وهو الجدّ الأكبر للشهيد الكربلائي، مأخوذ من كاهل البعير وهو مقدم ظهره وهو الذي يكون عليه المحمل وقال بعضهم الكاهل من الفرس ما ارتفع من فروع كتفيه وجعل الكاهل من الإنسان ما بين كتفيه ويقال للشديد الغضب والهائج من الفحول لذو كاهل وقال الأزهري سمعت غير واحد من العرب يقول فلان كاهل بني فلان أي معتمدهم وسندهم في المهمات وهو مأخوذ من كاهل الظهر؛ لأنّ عنق الفرس يتساند إليه إذا حضر وهو محمل مقدم قربوس السرج ومعتمد الفارس عليه)[٤].

---

(١) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩ (٥٠٠).

(٢)أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩ (٥٠٠).

(٣) مقتل المقرم: ص٣٥٢ ـ ٢٥٣.

(٤) لسان العرب: ج١٣ ـ مادة كهل ـ.

وكاهل قبيلة عربية عدنانية أسدية وهي من القبائل المستعربة[١] ومضى كون هذه القبيلة أسدية أي إنها ترجع إلى أسد بن خزيمة كما ذكر ذلك ابن حزم في جمهرة أنساب العرب بقوله:

«كاهل بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»[٢].

ولكاهل بن أسد (جد الشهيد الكربلائي) أخوة أربعة وهم ذودان بن أسد وعمرو بن أسد وصعب بن أسد وحلمة بن أسد، ومعظم بطون بني أسد من دودان فقد أولد دودان ثعلبة وغنم[٣]، وأمّا حلمة بن أسد فأبادهم أمرؤ القيس ابن حجر الكندي الشاعر ثائراً لأبيه، وبقي منهم قلّة دخلوا في بني جذيمة بن مالك[٤].

وقد أولد كاهل بن أسد ذرية ذكر التاريخ لنا بعضهم ومنهم:

١ ـ مازن بن كاهل بن أسد بن خزيمة والذي منهم علباء بن حارث بن هلال الذي يقول له امرؤ القيس:

وأفلتهنّ عَلْبَاءُ حَرِيْضاً وَلَو أدركته صَفِرَ الوطابُ[٥]

---

(١) مضى الحديث حول القبائل العاربة والمستعربة في الجز الأول من هذه الموسوعة فراجع.

(٢) جمهرة أنساب العرب: ج١، ص١٠، الأنساب للسمعاني: ج١، ص١٣٨.

(٣) خزانة الأدب: ٨، ٣٥٦.

(٤) جمهرة الأنساب للكلبي: ج١، ص١٨٨، تحقيق ناجي حسن (طبعة بيروت).

(٥) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج٢، ص٢٤.

٢ ـ الحزمر بن كاهل بن أسد بن خزيمة[١].

٣ ـ صفية بن كاهل بن أسد بن خزيمة[٢].

٤ ـ حنيفة بن كاهل بن أسد بن خزيمة[٣]، والتي لعظمتها وعظمة شخصيتها نسب إليها ولدها ربيعة دون أبيه فكان يقال ربيعة بنو حنيفة.

٥ ـ جد الشهيد الكربلائي كما سيأتي الحديث عنه بعد قليل.

مسكن قبيلة بني كاهل

سكنت هذه القبيلة كما سكن غيرهم من بطون بني أسد في الكوفة حيث كانت لهم خطة فيها.

يقول الطبري وهو يتحدث عن حوادث سنة ١٧هـ وعن هذه الجماعات من بني أسد: (ونهج في الودعة من الصحن خمسة مناهج وفي قبلته أربعة مناهج وفي شرقيه ثلاثة مناهج وفي غربيه ثلاثة مناهج وعلمها، فأنزل في ودعة الصحن سليما وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقتين وهمدان على طريق وبجيلة على طريق آخر وتيم اللات على آخرهم وأنزل قبلة الصحن بني أسد على طريق...)[٤].

وكان من جملة من سكن في هذا الموقع من قبلة الصحن قبيلة كاهل ومنهم الشهيد أنس بن الحارث (رض).

---

(١) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج٢، ص٢٢٤.

(٢) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج١، ص٢٢٤.

(٣) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج١، ص٢٢٤.

(٤) تاريخ الطبري: ج٤، ص١٩١.

مسجد بني كاهل في الكوفة

لا شكّ أنّ وجود مسجد لقبيلة أو بطن ما في داخل الكوفة - وهي الحاضرة الإسلامية المهمة - ليبين ثقل هذه القبيلة أو البطن بين الناس، فما بالك إذا ما عُرف مثل هذا المسجد بـ(مسجد أمير المؤمنين)[(١)]؟!

فقد نقل الشيخ محمد جعفر المشهدي في كتابه القيم (فضل الكوفة ومساجدها) تحت هذا العنوان: (ذكر ما جاء في مسجد بني كاهل ويُعرف بمسجد أمير المؤمنين عليه السلام):

(وأخبرني الفقيه الجليل عز الدين أبو المكارم حمزة بن زهرة الحسني الحلبي أملاء من لفظه وأراني المسجد وروى لي هذا الخبر عن رجاله عن الكاهلي قال: قال لي:

ألا تذهب بنا إلى مسجد أمير المؤمنين صلوات الله عليه نصلي فيه؟ قلت: وأي المساجد هذا؟

قلت مسجد بني كاهلة وأنه لم يبق منه سوى أسسه وأسس مئذنته، قلت حدثني بحديثه قال: صلى بنا علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد بني كاهلة الفجر فقنت بنا فقال:

«اللّهمّ إنا نستعينك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكّل عليك ونثني

---

(١) وإنما عرف بمسجد أمير المؤمنين لصلاة الإمام علي عليه السلام فيه كما سيأتي، ومن مؤذني هذا المسجد المحدث الكوفي أبو الجنوب الأسدي، سمع علياً وروى عنه حسين بن ليمون وعيسى ابن قرطاس ذكره البخاري في التاريخ الكبير (كتاب الكنى والألقاب: ١٥٨).

عليك بالخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من ينكرك، اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين يخلف، اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنّك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، نستغفرك ونتوب إليك،ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»)[1].

وبالإسناد عن أبي عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: (صلّى بنا أبو عبد الله عليه السلام في مسجد بني كاهل الفجر فجهر في السورتين وقنت قبل الركوع وسلم واحدة تجاه القبلة)[2].

الاختلاف في اسم الشهيد

أطبق كل من ترجم وكتب عن الشهيد الكربلائي (رض) أنه: (أنس) سوى ما ذهب إليه بعضهم أنّه (مالك) وهو أمر في غاية الاشتباه والخطأ كما سنتحدّث عن ذلك بعد قليل.

---

(١) فضل الكوفة ومساجدها: ص٢٤.

(٢) فضل الكوفة ومساجدها: ص٢٥.

والد الشهيد

ذهب الكثيرون من العلماء إلى أن والدالشهيد الكربلائي هو «الحارث» [١] كما ذكر ذلك السيد الأمين[٢] وابن حجر[٣] وابن نما الحلي[٤] والشيخ شمس الدين[٥] والشيخ علي النمازي[٦] وآخرون[٧]، بينما ذهب البعض أنه «هزلة» كما نص على ذلك ابن الأثير بقوله: أنس بن هزلة وفد إلى النبيﷺ روى عنه ابنه عمرو بن أنس أخرجه أبو عمر مختصراً. قال أبو أحمد العسكري: أنس بن هزلة ويقال أنس بن الحارث له صحبة قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنهما وهذا أنس بن الحارث قد تقدم ذكره فلا أعلم أهما واحد أم إثنان، وأبو أحمد عالم فاضل لو يعلم أنهما واحد لما قاله وما أقرب أن يكونا واحداً لأنه قد ذكر في أنس أنه قتل مع الحسينعليه السلام والله أعلم[٨].

أقول: وقد أحسن ابن الأثير في تخريجته هذه حيث ذكر أنهما واحد، ومن ثم يمكن أن يُحمل اسم هزلة على أنه اسم أمه، وهذا أمرٌ معروف بين الناس، فقد

(١) نعم نقل بعضهم أنه: «الحرث» والأمر فيه هيّن حيث يحمل على التصحيف أو الاختلاف في النسخ.

(٢) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩.

(٣) الإصابة: ج١، ص٨١.

(٤) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩.

(٥) أنصار الحسين: ص٧٤.

(٦) مستدركات علم الرجال: ج١، ص٧٠١.

(٧) كالسيد المقرم في مقتله: ص٣٥٢.

(٨) أسد الغابة لابن الأثير: ج١، ص١٣٢.

ذكر لنا التاريخ أناساً كانوا ينسبون إلى أمهاتهم[١] تارة وتارة إلى آبائهم ومن أمثلة هؤلاء الواضحة الجلية هو «محمد بن الحنفية» حيث نسب إلى أمه في بعض الأحايين وفي بعضها الآخر نسب إلى أبيه فيقال: «محمد بن علي بن أبي طالب»[٢]، ومن ثم فيمكن أن يكون الشهيد أنس قد نسب إلى أبيه «الحارث بن نبيه الكاهلي» وإلى أمه «هزلة» في نفس الوقت فاشتبه الأمر على من ذكرهما.

جد الشهيد الكربلائي

ذهب مشهور العلماء ومن تحدث عن الشهيد أنس إلى أن جده اسمه «نبيه» كما نص على ذلك ابن حجر في الإصابة[٣]، وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام[٤]، والقندوزي في ينابيع المودة[٥]، وآخرون. بينما ذهب آخرون إلى أنه «منبه» كما أشار إلى ذلك المتقي الهندي في كنز العمال[٦]. وانفرد العجلي في معرفة الثقات إلى أنه «لقيط» حيث قال: أنس بن الحارث بن لقيط النخعي كوفي ثقة[٧].

---

(١) من أراد التوسع أكثر فليراجع كتاب معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم د.فؤاد صالح السيد.

(٢) سفينة البحار: ج١، ص٣١٩.

(٣) ابن حجر في الإصابة: ج١، ص٢٧٠ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ط١ (١٤١٥هـ) دار الكتب العلمية.

(٤) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ص٣٤٨.

(٥) ينابيع المودة للقندوزي: ج٣، ص٨ تحقيق سيد جمال أشرف الحسيني ط١ (١٤١٦هـ) دار الصفوة.

(٦) كنز العمال للهندي: ج١٢، ص١٢٦ تحقيق الشيخ بكري هياني، الشيخ صفوة القاطبة مؤسسة الرسالة.

(٧) معرفة الثقات: ج١، ص١٧، ط١ (١٤٠٥هـ) مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

ابن نما الحلي واسم الشهيد أنس

نقل الصدوق في أماليه وهو يتحدث عن الشهيد مالك بن أنس الكاهلي نفس أبيات الأرجوزة التي ذكرها أنس بن الحارث الكاهلي وهو نازل إلى ساحة المعركة حيث قال: ثم برز مالك بن أنس الكاهلي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ كَاهِلُهَا وَدَوْدَانِ وَالخَنْدَفِيُّوْنَ وَقَيْسُ عَيْلاَنِ

بِأَنَّ قَوْمِي قَصَمُ الأَقْرَانِ يَا قَوْمِ كُوْنُوا كَأُسُوْدِ الجَانِ

آلُ عَلِيٍّ شِيْعَةُ الرَّحْمَنِ وَآلُ حَرْبٍ شِيْعَةُ الشَّيْطَانِ

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً ثم قتل انتهى[1].

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب وردت نفس هذه المقالة حيث قال: «ثم برز مالك بن أنس الكاهلي وقال:

آل علي شيعة الرحمن وآل حربٍ شيعة الشيطان[2]

ونقل ابن نما الحلي في كتابه «مثير الأحزان» بعد ذكره لأنس بن الحارث الكاهلي قوله: أقول يوشك أن يكون قد وقع اشتباه بين أنس بن حارث الكاهلي ومالك بن أنس المالكي[3]، بسبب أن لكل منهما رجزاً على هذا الوزن وهذه القافية وإن يكون نسب بعض ما لأحدهما من هذا الرجز إلى الآخر كما وقع مثله

---

(١) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩.

(٢) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩.

(٣) على رواية البحار حيث ذكره مالك بن أنس المالكي فضلاً عما ذكره صاحب المناقب والصدوق كما تقدم.

كثيراً والله أعلم[(١)].

تجنّي الذهبي على الشهيد أنس

ليس غريباً على من تتبع سيرة أصحاب أهل البيتعليهم السلام ومواليهم أن يجد المحاولات الدائبة والحثيثة من أجل تقليل محامدهم وتشويهها وحصر فضائلهم وإخفائها، وقد ساروا في ذلك على خطى أئمتهمعليهم السلام الذين أبت النفسية العدوانية لبني أمية ولبني العباس ومن دار في فلكهم من الظلمة إلا إخفاء مناقبهمعليهم السلام، ومحوها، ولقد كانت من جملة هذه المحاولات ما ذهب إليه الذهبي في كتابه التجريد من القول بأن الشهيد أنس ليست له صحبة لرسول اللهصلى الله عليه وآله بل وحديثه مرسل.

وقد ردّ هذه الشبهة وكفانا مؤنتها ابن حجر في الإصابة بعد أن ترجم للشهيد (رض) قال: ووقع في التجريد للذهبي لا صحبة له وحديثه مرسل... وكيف يكون حديثه مرسلاً وقد قال سمعتُ، وقد ذكره في الصحابة البغوي وابن السكن وابن شاهين والدغولي وابن زبر والباوردي وابن مندة وأبو نعيم وغيرهم[(٢)].

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر أنساً بمقتل الحسين عليه السلام

روى ابن حجر في الإصابة وغيره عن أشعث بن سحيم عن أبيه قال سمعت أنس بن الحارث يقول سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «إن ابني هذا (يعني الحسين) يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد منكم فلينصره»[(٣)].

---

(١) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩.

(٢) الإصابة لابن حجر: ج١، ص٢٧٠.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري: ٢، ٣٠، مقتل الخوارزمي: ج١، ص٢٣٣، الإصابة: ج١، ص٢٧٠.

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط:

١ ـ ذكر العلامة المامقاني قدس سره في تصحيح المقال أن هذه الرواية رويت عن أنس بن أبي سحيم كما ذكر ذلك العلامة المجلسي في البحار والعلامة البحراني في عوالم علوم الإمام الحسين عليه السلام بسنده عن أشعث بن عثمان عن أبيه عن أنس بن أبي سحيم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: ... ولكن في كتاب مثير الأحزان لابن نما الحلي أنس بن أبي سحيم ولكن المشهور أن هذا الحديث عن أنس بن الحارث الذي استشهد مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام كما في مناقب آل أبي طالب لابن شهر أشوب[١].

٢ ـ لم يكن مثل هذا الإخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشهيد أنس (رض) هو الإخبار الأول في هذا الشأن بل قد أخبر صلى الله عليه وآله أصحابه ومن معه رجالاً ونساء عشرات الأحاديث بما سوف يجري ويقع على ذريته من بعده لاسيما سبطه الحسين في كربلاء فقد روى الطبراني بسنده عن عائشة حديثاً طويلاً يتضمن إخبار النبي صلى الله عليه وآله لها بقتل الإمام الحسين عليه السلام بالطف وفيه: ثم خرج إلى أصحابه ـ فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر (رضي الله عنهم) وهو يبكي فقالوا ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه»[٢].

وينقل الخوارزمي في مقتله عن ابن عباس قوله: (بعد أن ذكر خطبة

---

(١) تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج١١، ص٢٢٠ (٣٦٧٥).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ٣، ١٠٧، مجمع الزوائد: ٩، ١٨٨.

النبيﷺ) ثم نزل عن المنبر ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا وتيقن بأن الحسين مقتول»[١]. كما ذكر غير واحد من العلماء عن ابن عباس قوله: (كنّا لا نشكّ وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يُقتل بالطف»[٢].

وبتقديري أن هذه الإخبارات التي صدرت من رسول اللهﷺ وغيرها تريد أن تشير أولاً إلى أهمية هذه الواقعة وأثرها الكبير على الإسلام والمسلمين وثانياً دعوة الناس إلى الوقوف إلى جانبها ونصرتها وتقديم الغالي والنفيس من أجلها، وقد بان مثل هذا الأمر بشكل واضح من خلال دعوة الناس إلى نصرة الحسينعليه السلام في كربلاء، فها هو الشهيد أنس بن الحارث الكاهلي يأمره رسول اللهﷺ بأن يشهد هذه الواقعة إن استطاع إلى ذلك سبيلا.

وقد روى أصحاب السير والتاريخ عن سلمان الفارسي قوله في واقعة بلنجر بعد النصر الكبير الذي حققوه فيها والفرحة التي عمت المسلمين بسببه: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد (الجنة) فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم[٣]. وينقل الخوارزمي وغيره عن معاذ بن جبل عن النبيﷺ قوله بعد أن أخبر بقتل الحسين «والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعا»[٤].

وينقل ابن عساكر عن العريان بن الهيثم قوله «كان أبي يتبدى فينزل قريباً

---

(١) مقتل الخوارزمي: ١، ١٦٤ ـ ١٦٥ (الفصل الثامن).

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣، ١٧٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤، ٤٢، أحداث سنة ستين للهجرة، ذكر سير الحسين إلى الكوفة.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ٣، ١٢٠، مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته.

من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين عليه السلام فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك عليه سيماء الصلاح وتقوى الأولياء فقال له أبي: أراك ملازماً هذا المكان؟ قال بلغني أن حسيناً يقتل ها هنا فأنا أخرج إلى هذا المكان لعلي أصادفه فأقتل معه... قال الراوي: فلما قتل الحسين عليه السلام قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسدي فيمن قتل؟ فأتينا المعركة وطوّفنا فإذا بالأسدي مقتول»[١].

ولا شك أنّ رواية الأسدي المتقدمة لتكشف لنا وبشكل واضح مدى التبليغ الواضح الذي حَظِيَتْهُ قضية الحسين عليه السلام عند المسلمين من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكشف في نفس الوقت مدى التوفيق الكبير الذي حظاه هذا الشهيد بامتثاله أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في نصرة الحسين عليه السلام وعدم توفيق الكثير من أبناء هذه الأمة لمثل هذا الأمر مع قدرتهم عليه.

وهكذا كان الشهيد أنس في نفس هذا الخط والاتجاه فقد أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بمقتل الحسين عليه السلام وأمره بنصرته، وظل أنس يحمل هذا التكليف عشرات من السنين حتى وفقه الله لأدائه يوم العاشر من المحرم.

٣ ـ ويبدو من خلال هذه الرواية المتقدمة أن الشهيد أنساً لم يكتف بالسعي إلى أداء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله والشهادة مع الحسين عليه السلام، بل سعى كذلك لنشر هذا الحديث وإذاعته ولكن لمن يكون أهلاً لحمل هذا الأمر النبوي، حيث كان من جملة من تحدث معه الشهيد هو سليم بن حنظلة المحاربي الكوفي[٢]، (راوي

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ٧، ١٤٥.

(٢) روي في بعض المصادر أنه أشعث بن سحيم والصحيح هو أشعث بن سليم بن حنظلة الكوفي كما ذكر ذلك ابن حبان في الثقات: ٤، ٢٤٩، وابن عبد البر في الاستيعاب: ١، ١١٢، وأبو الفتح ←

الحديث المتقدم) والذي عرف بالولاء لعليعليه السلام والاتباع له، يقول الذهبي وهو يتحدث عنه «صاحب عليعليه السلام روى عن عليعليه السلام وشهد معه مشاهده»[1].

الشهيد عمار بن ياسر والشهيد أنس بن الحارث ووحدة الموقف

ليس غريباً أن تتفق حياة العظماء على اختلاف أديانهم ومشاربهم في الكثير من صفاتهم وخصائصهم النفسية، بل وحتى تفاصيل حياتهم وما يلاقونه فيها، لاسيما الربانيون منهم، فلقد حملوا لواء المطالبة بحقوق الفقراء والمساكين ووقفوا أمام الظلم والظالمين وبذلوا في سبيل هذا الهدف كل غال ونفيس ومع كل ذلك لم ينحنوا أو ينكسروا حتى فارقت أرواحهم أبدانهم.

ولقد كان من جملة ألطاف الله عز وجل على الشهيد أنس أن جعل حياته موافقة في أكثر من جهة حياة الشهيد عمار بن ياسر (رض) فلقد عاش عمار بن ياسر الإسلام منذ بداياته مع رسول اللهصلى الله عليه وآله وتحمل في سبيل ذلك كل شيء حتى إذا ما خرج المصطفىصلى الله عليه وآله من هذه الدنيا وقف إلى جانب إمامه المفروض عليه طاعته وعاش معه أعظم الفتن وأشدها وأكثر المحن وأهولها وهو يعيش في أعلى درجات الوعي والبصيرة لاسيما في معركة صفين حيث كانت له فيها مقالات وسجالات تكشف عن عميق وعيه وثبات إيمانه وارتكاز عقيدته بعلي بن أبي طالبعليه السلام مع كبر سنه وانحناء ظهره حيث بلغ التسعين من عمره في ذلك اليوم فنزل إلى القوم وهو يقول: «اللهم إني لا أعلم عملاً صالحاً هذا اليوم هو أرضى

محمد بن الحسين الأزدي في المخزون في علم الحديث: ٤٨، والوافي في الوفيات: ٩، ٢٣٩.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٤، ص١٧٩.

من جهاد القاسطين ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته ثم ارتجز وهو يقول:

نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله[1]

وهكذا كان الشهيد الكربلائي أنس بن الحارث الكاهلي حيث عاش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد معه بدراً وأحداً وسائر حروبه وغزواته وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله عاش الثبات مع من أوصى صلى الله عليه وآله بالتمسك بهم فعاش مع علي عليه السلام مشاهده ومع الحسن عليه السلام محنته ومع الحسين عليه السلام ثورته وبالتالي وقف كما وقف عمار يوم العاشر من المحرم وقد بلغ التسعين أو ناهزها وقد شد وشطه بعمامه ورفع حاجبيه بعصابه وهو يقول:

آلُ عَلِيٍّ شِيْعَةُ الرَّحْمَنِ وَآلُ حَرْبٍ شِيْعَةُ الشَّيْطَانِ[2]

لقد اختصر الشهيد بكلماته هذه الزمن على اتساعه والمواقف على كثرتها فكأنه يريد أن يقول بأن يزيد وابن زياد ومن والاهما الذين نقف اليوم أمامهم إنما هم صنيعة ذلك الضال المنحرف معاوية بن أبي سفيان الذي وقف أمامه عمار (رض). فياله من موقف مهيب وعظيم أن يسقط عمار على كبر سنه وحنو ظهره أمام علي بن أبي طالب شهيداً وهو يعيش الثبات وأن يسقط الشهيد أنس بن الحارث أمام الحسين على جلال شيبته ووهن عظمه وهو يعيش اليقين!!

---

(١) سلسلة الأركان الأربعة (عمار بن ياسر) للشيخ محمد جواد الفقيه: ص٢١٤ ـ ص٢٢٤.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ص٤٦ ت ص٤٧.

الشهيد أنس من أهل الصُفّة

روى ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:

«روى أنس بن الحارث بن نبيه، عن أبيه الحارث بن نبيه وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الصُفّة انتهى» (١).

ربّما يستغرب الإنسان للوهلة الأولى في ذكر هذه الصفة إلى الشهيد الكربلائي (رض) فما معنى أن يكون الإنسان من أهل الصفة؟ أفيوجد فيهم ما يمكن أن يُميَّزوا به عن غيرهم؟

وممّا لا شك فيه أن مثل هذا التساؤل وغيره ربما يخطر ببال الإنسان قبل أن يرجع إلى ما ذكره القرآن والروايات عن هذه الفئة من الناس، وإلا إذا رجعنا إليهما فإننا سوف نجد فيهم من الخصائص والصفات ما يمكن أن تكون محل فخر واعتزاز كبيرين، وهذا ما نود أن نبينه ونحن نتحدث عن أحد أفراد هذه المجموعة ألا وهو الشهيد أنس (رض).

ما معنى الصُفّة؟

الصُفَّة هي عبارة عن مكان مُظلَّل في مؤخر المسجد النبوي صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله للمهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم، وإنما التجأ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك بعد ما زاد عددهم كثيراً ولم يكن لهم من مأوى يمكن أن يلتجئوا إليه في داخل المدينة.

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير: ج١، ٣٤٩.

صفات أهل الصُفّة

ذكر أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء في أهل الصُفة قوله: «وهم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض. وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء، كما جعل من تقدم ذكرهم أسوة للعارفين من الحكماء. لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا، ولا يفرحون إلا بما أيدوا به من العقبى. كانت أفراحهم بمعبودهم ومليكهم وأحزانهم على فوت الاغتنام من أوقاتهم وأورادهم، هم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم يأسوا على ما فاتهم، ولم يفرحوا بما أتاهم. حماهم مليكهم عن التمتع بالدنيا والتبسيط فيها: لكيلا يبغوا ولا يطغوا، رفضوا الحزن على ما فات من ذهاب وشتات، والفرح بصاحب نسب إلى بلى ورفات[(١)]. ويقول أنس بن مالك: «أقبل أبو طلحة يوماً، فإذا النبيصلى الله عليه وآله قائم يقرئ أصحاب الصُفّه، على بطنه فصل من حجر يقيم به صُلبه من الجوع. كان شغلهم تفهّم الكتاب وتعلّمه، ونهمتهم الترنّم بالخطاب وتردده[(٢)].

ولأجل ذلك كله كان رسول اللهصلى الله عليه وآله كثير الشفقة عليهم ودائم الزيارة لهم ولقد أوصى المسلمين بالتصدق عليهم فجعلوا يصلونهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ولقد خرج من هذه الصُفّه من عُرِفَ بالعلم كحذيفة بن اليمان والجهاد

---

(١) أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء، ذكر أهل الصفة: ص٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٣٤٢.

كغسيل الملائكة وعبد الله ذي البجادين وعمار بن ياسر وآخرين ممن خدموا الدين وارسوا قواعده المتينة.

ويكفي في حقهم مدح القرآن الكريم لهم وذلك حينما جمع لهم صفاتٍ وخصائصَ قلّ أن توجد في غيرهم من المسلمين وذلك من خلال آيات ثلاث:

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ ﴾ [١]، وقوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٢]، وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [٣].

فهم على أساس ما ذكره القرآن

١ ـ من أهل التعفف: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

٢ ـ ظهور الفقر عليهم: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾.

٣ ـ الخائفون من الله: ﴿يخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ﴾.

٤ ـ لا شفيع ولا ولي لهم سوى الله: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾.

---

(١) الأنعام: ٥١.

(٢) الكهف: ٢٨.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

٥ ـ مقصدهم رضا الله وفضله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يبتغون فضلاً من الله.

٦ ـ ناصرون لله ولرسوله: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

٧ ـ الصادقون: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وبعد كل ما تقدم من حديث القرآن والرسول عن أهل الصُفّة وخصائصهم، نعلم بما لا مجال للشك فيه أن الشهيد الكربلائي كان له قدم السبق فيهم في كل ما ذكر عنهم من إيمان مُمَيَّز وعمل صالح، فلقد كان مع شدة فقره وعوزه وحاجته عابداً وعاشقاً لله سبحانه وتعالى بالشكل الذي لم يشغله عنه شيء مهما كان خطيراً، وكان في ذات الوقت عالماً عاملاً مطيعاً لله ولرسوله في كل ما أمرا به ونهيا عنه، وناصراً لهما بقلبه ولسانه ويده لا تأخذه فيهما لومة لائم، فضلاً عن إيمانه العميق وعقيدته الراسخة، حتى استحق أن يكون ممن أمر النبيﷺ بالبقاء والصبر معه وعدم مفارقته حيث يقول:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾.

حيث ذكر العلماء أن هذه الآية الكريمة نزلت في أهل الصفة: «قال قتادة نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول اللهﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبيﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» [(١)].

(١) تفسير البغوي للحسين بن مسعود البغوي (دار طيبة) ج٥، ص١٦٦.

الشهيد أنس والهمة العالية

تحتاج الأمم جميعها على اختلاف نحلها ومشاربها إلى أصحاب الهمم العالية والإرادات الكبيرة فهم صُنّاع الحياة، وبناة المستقبل، فهم الذين تقف الحياة وتنمو وتزدهر بهم، وهم الذين تشرئبّ الأعناق عند الشدائد والأعسار لهم، ولئن ميزتهم البشرية حسب موازينها ومقاييسها فقلد ميّزتهم السماء قبل ذلك من خلال ما ورد عنها من نصوص، يقول القرآن الكريم:

﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

وهنا يحث الله سبحانه وتعالى عباده على القيام بالأعمال الصالحة ولكن بوقت زمني أقل من الوقت المعتاد لها وهذا يعني ضمناً طلب الزيادة والاكثار من هذه الأعمال بلا شك، ومثل هذا الأمر والندب لا يقوى على القيام به إلا أصحاب الهمم العالية، ويقول تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٢).

يقول محمد إسماعيل المقدم: «في هذه الآية ثناء على أصحاب الهمم العالية، وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل، وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله... وقد تجلت همتهم العالية في مثابرتهم وجهادهم ودعوتهم إلى الله عز وجل، كما أوضحه الله عز وجل في قصص

---

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدﷺ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[(١)]، وهكذا قوله تعالى:

﴿ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾[(٢)].

يقول الشيخ الطبرسي في تفسير هذه الآية الكريمة: «معناه الذين جمعوا هذه الصفات وكملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات ويسابقون إليها رغبة منهم فيها وعلماً منهم بما ينالون بها من حسن الجزاء»[(٣)]، وغيرها من الآيات، وأما ما ورد عن النبيﷺ والمعصومين فكثير، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال:

قال رسول اللهﷺ: «إن الله تعالى يحب معالي الأمور، وأشرافها، ويكره سفاسفها»[(٤)]، ويقولﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[(٥)].

وإن نَنْسَ فلا ننسى تلك الرواية العظيمة عن رسول اللهﷺ وهو يتحدث عن عجوز بني إسرائيل التي كانت همتها عالية وإرادتها كبيرة إلى درجة لم ترضَ لنفسها إلا أن تكون في درجة نبي الله موسى في الجنة، يروي الهيثمي في باب الحث على طلب الجنة: أن رجلاً سأل رسول اللهﷺ شيئاً، فقال: أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟!

---

(١) علو الهمة لمحمد إسماعيل المقدم: ص١٢٨.

(٢) المؤمنون: ٦١.

(٣) تفسير الطبرسي.

(٤) الطبراني الكبير: ٣، ١٣١ (٢٨٩٤).

(٥) مسلم في صحيحه: (٢٦٦٤).

فقال أصحابه: وما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله؟ فقال: إن موسى حين أمر أن يسير ببني إسرائيل ضل الطريق، فسأل بني إسرائيل: ما هذا؟

فقال علماء بني إسرائيل: إن يوسف حين حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه، فقال لهم موسى: وأيكم يدري أين قبر يوسف؟

فقال له بنو إسرائيل: ما يدري أين قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل، فأرسل إليها فقال: دليني على قبر يوسف، فقالت لا والله، حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟

قالت: أكون معك في الجنة فكأنه ثقل ذلك عليه، فقيل له: أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقع ماء، فقالت: أنضبوا هذا المكان فلما أنضبوه قالت: أحفروا في هذا المكان، فلما احتفروا أخرجوا عظام يوسف صلى الله عليه وسلم فلما استقلوها من الأرض إذ الطريق مثل النهار»[1].

ولم يكن الشهيد الكربلائي أنس (رض) بأقل شأناً من عجوز بني إسرائيل حيث لم يرضَ لنفسه إلا مصاحبة رسول الله ﷺ وأهل بيته في أعلى مراتب الجنة، فقد حمل (رض) همة عالية وإرادة كبيرة لم يستطع حتى بدنه أن يتحملها، وهكذا هي النفوس الكبيرة، يقول المتنبّي واصفاً لهذه الفئة من الناس:

وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوْسُ كِبَاراً ... تَعِبَتْ عَنْ مُرَادِهَا الأَجْسَامُ[2]

---

(١) مجمع الزوائد: ج١٠، باب الحث على دخول الجنة (١٧٣٤٨)، ص١٧٠ (مكتبة القدسي).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج١٥، ص٢٧٨ (دار عالم الكتاب) ٢٠٠٣م.

فلم ينشغل (رض) بالتوافه من الأمور وما لا فائدة فيه، وكان يتجنّب أن يُضّيع عمره في القيل والقال وسفاسف الأشياء.

يقول المتنبي:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُوْمِ فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُوْنَ النُّجُوْمِ

فَطَعْمُ المَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيْرٍ كَطَعْمِ المَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيْمِ[١]

ولقد كانت من جملة العوامل التي ساعدت الشهيد للوصول إلى هذه النهاية المباركة هو مصاحبته العظماء والحكماء وأصحاب الهمم العالية كرسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام وأتباعهم أمثال أبي ذر وسلمان وعمار ومالك الأشتر وغيرهم، فعاشرهم معاشرة الطالب لمعلمه والولد لأبيه فتأثر بهم وتفاعل معهم حتى أخذ منهم العلو والرفعة والهمة العالية وهذه واحدة من آثار الصحبة الطيبة والطاهرة على الإنسان، يقول الشاعر:

أَنْتَ فِي النَّاسِ تُقَاسُ بِالذِي اخْتَرْتَ خَلِيْلا

فَاصْحَبِ الأَخْيَارَ تَعْلُو وَتَنَلْ ذِكْرَاً جَمِيْلا[٢]

وهذا درس كبير لنا جميعاً علينا أن نأخذه من الشهيد أنس (رض) وأن نحرص على العمل به كثيراً، فهو مفتاح الفلاح وقائد النجاح والأساس في الإصلاح والصلاح، وأن لا ندع أوقاتنا تذهب هدراً من دون أن نؤثر فيها تأثيراً إيجابياً تكون عوناً في خير ديننا ودنيانا.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج١٥، ص٢٨٠ (دار عالم الكتب) ٢٠٠٣م.

(٢) الأخلاق بين الطبع والتطبع، فيصل بن عبده قائد الحاشدي: ص٤٤ ـ ٤٥.

الشهيد والعمر الطويل

مما لا شك فيه ولا ريب أن الشهيد أنساً (رض) وهو جالس إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمع منه صلى الله عليه وآله دعوته إليه لنصرة ولده الحسين عليه السلام قد توجه إلى الله عز وجل بكله ودعا الله أن يطيل عمره وأن ينسأ في أجله حتى يبلغ هذه الدعوة المحمدية في الوقوف إلى جانب الحسين عليه السلام والشهادة بين يديه، وهذا يعني ضمناً أن الشهيد أراد أن يستثمر أقصى ما يستطيع لساعات عمره ولحظات حياته في خدمة الإسلام، بل لقد طلب الشهيد أن يبقى في خدمة الإسلام حتى ولو بلغ من العمر عتيا، ومثل هذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على مدى فهم الشهيد لنصوص الشريعة ومفاهيم الدين، فقد وردت الروايات المتعددة من المعصومين في أن يطلب الإنسان المؤمن من الله عز وجل العمر الطويل في طاعة الله، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في ليالي شهر رمضان المبارك أن يجعل الله عز وجل من جملة الأمور المقدرة المحتومة عليه طول العمر في خير وعافية «وأن تجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل عمري في خير وعافية»[1] ويقول الإمام زين العابدين في جانب من دعائه المعروف بمكارم الأخلاق «وعمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي أو أن يستحكم غضبك عليّ»[2]، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»[3]، وقال صلى الله عليه وآله: «السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله»[4].

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٢٨٦.

(٢) الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، دعاء مكارم الأخلاق.

(٣) تحفة الأحوذي للمباركفوري: ص٥١١، (طبعة دار الكتب العلمية).

(٤) مسند الشهاب للشهاب القضاعي رقم الحديث (٣٠٢).

فملازمة الطاعة لعمر الإنسان تعني زيادة القرب من الله سبحانه وتعالى والرفعة لديه في الآخرة ومن ثم فقد فهم الشهيد (رض) أن الوقت أنفس ما يحرص عليه الإنسان ويوظفه لصالح هدفه الذي يبغيه ويريده وهو رضا الله سبحانه وتعالى، فهو المطية التي إذا ما ضاعت لم يمكن للإنسان أن يصل إلى مقصوده ومراده بغيره، وقد ذمّ الله سبحانه أقواماً لم يستفيدوا من هذه النعمة الكبرى والمنحة العظمى يقول تعالى:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [1].

فياله من درس بليغ يمكن أن يستله الإنسان المؤمن من حياة هذا الشهيد الذي استثمر كل ساعات حياته ولحظاتها فيما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى، فحري بنا نحن الذين نلهج باسمه ونتحدث عنه ونرجو شفاعته أن نسير على خطاه وننهج على طريقته حتى نستثمر أوقاتنا بالشكل الصحيح ولا ندعها تضيع هدراً بلا فائدة بل وفي بعض الأحيان بما يعود بالضرر علينا، وقد قال بعضهم إن الإنسان يستطيع أن يصنع الكثير من الأعمال في دقيقة واحدة، حيث يمكن أن يقرأ (٧) مرات سورة الفاتحة سرداً وأن يقول (١٠٠) مرة سبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله (١٨) مرة وهكذا فضلاً عن الساعة واليوم والشهر والسنة ولله در الشريف الرضي (رض) حينما قال:

---

(١) فاطر: ٣٧.

يَـا آمِـنَ الأَيَّـامِ بَـادِرْ صَـرْفَهَا	وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ الطَّـالِبِيْنَ حُثَـاثُ
خُذْ مِنْ تُرَاثِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فإنما	شُـرَكَاؤُكَ الأَيَّـامُ وَالـوُرَّاثُ
لَـمْ يَقْضِ حَـقَّ المَـالِ إلاَّ مَعْشَرٌ	نَظَـرُوا الزَّمَـانَ يَعِيْثُ فِيْـهِ فَعَـاثُوا
إنِّـي لأَعْجَـبُ للَّـذِيْنَ تَمَـسَّكُوْا	بِحَبَائِـلِ الـدُّنْيَا وَهُـنَّ رَثَـاثُ
أَتَـرَاهُمُ لَـمْ يَعْلَمُـوْا أَنَّ التُّقَـى	أَزْوَادُنَـا وَدِيَارُنَـا الأَجْـدَاثُ[١]

لقاء الشهيد أنس بالحسين عليه السلام

يبدو أن مسألة لقاء الشهيد أنس بالحسين عليه السلام لم تكن محل اتفاق عند من تحدث عنها، ويمكن للإنسان أن يتلمس ـ من خلال مراجعة المصادر ـ أن هناك ثلاثة آراء:

الرأي الأول

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن الشهيد أنساً التقى بالحسين بعد نزوله في كربلاء ليلاً، وهذا يعني أن اللقاء قد تم بعد اليوم الثاني من محرم سنة ٦١هـ يقول الشيخ السماوي في إبصار العين وهو يتحدث عن الشهيد: جاء إلى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء والتقى معه ليلاً فيمن أدركته السعادة[٢]، ويقول جواد محدثي في موسوعة كربلاء: سار إلى كربلاء ليلاً واستشهد يوم الطف في ركب الإمام الحسين عليه السلام[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٣، ص٣٣٨.

(٢) إبصار العين للسماوي: ص٥٦، المطبعة الحيدرية سنة ١٣٤١ هـ، ويذهب إلى هذا الرأي الزنجاني في وسيلة الدارين، ص١٠١ ـ ١٠٢، أسد الغابة: ١، ١٢٣، وآخرون.

(٣) مقتل الحسين للسيد بحر العلوم: ص ٤١٠ ـ ٤١١.

الرأي الثاني

يذهب أصحابه إلى أن اللقاء قد تم قبل الوصول إلى كربلاء، أمّا أين حصل هذا اللقاء؟ فيوجد اتجاهان أحدهما يرى أنه حصل قبل كربلاء من دون أن يشير إلى مكان اللقاء. وممن يذهب إلى هذا الاتجاه السيد بحر العلوم في مقتل الحسين عليه السلام حيث يقول: فلما رآه الشيخ في طريقه إلى العراق وشهده جاء معه إلى كربلاء، والاتجاه الآخر يحدد مكان اللقاء وأنه حصل في قصر بني مقاتل، وممن يذهب إلى هذ الاتجاه البلاذري في أنساب الأشراف حيث يقول: وكان أنس بن الحارث الكاهلي سمع مقالة الحسين لابن الحر، وكان قدم من الكوفة بمثل ما قدم به ابن الحر، فلما خرج من عند ابن الحر سلّم على الحسين عليه السلام وقال له: والله ما أخرجني من الكوفة إلا ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك، ولكن الله قذف في قلبي نصرتك وشجعني على المسير معك فقال له الحسين عليه السلام «فاخرج معنا راشداً محفوظاً»[1].

كلمة لابد منها

وقبل أن نسترسل في حديثنا عن الشهيد ولقائه الحسين عليه السلام أود أن أشير ولو على نحو السرعة إلى رواية البلاذري من خلال النقاط التالية:

١ ـ كل من يقرأ هذه الرواية يجد وبشكل واضح أن الشهيد أنساً كان متردداً في بداية الأمر في نصرة الحسين عليه السلام بل وكان خائفاً من الموت كما هو حال عبيد الله بن الحر الجعفي وهذا ما أشار إليه الشهيد من خلال هذه الرواية المزعومة بقوله: «ما أخرجني من الكوفة إلا ما أخرج هذا، ومثل هذا التردد أو

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣، ٣٨٤.

الخوف لا يتناسب مطلقاً مع موقف هذا الشهيد يوم العاشر من المحرم حيث رفع حاجبيه بعصابة وشد وسطه بعمامة لشدة كبره ووهن عظمه ثم نزل إليهم وهو يعي مع من يقف مدافعاً ومع من يقاتل فقد كانت الصورة عنده واضحة:

آل علـــــي شـــــيعة الـــــرحمن وآل حـــــرب شـــــيعة الـــــشيطان

فالعزم كان في أعلى درجاته وإرادة الموت والشهادة هدفه وأمنيته فلا يمكن أن نقبل أن من كان حاله هكذا أن يكون متردداً أو خائفاً من نصر الحسين لاسيما وقد روى الخاص والعام عن هذا الرجل أمر رسول الله ﷺ له ولسائر المسلمين بنصر الحسين والشهادة بين يديه.

٢ ـ كيف يمكن أن يلتقي الشهيد أنس مع عبيد الله بن الحر الجعفي ويجلسا تحت خيمة واحدة؟ كيف يمكن أن يجتمع من عاش مع رسول الله حروبه وغزواته منذ بدر وما بعدها بثبات في الموقف ووضوح في الرؤية مع شخص يقول البلاذري نفسه عنه فضلاً عن الآخرين بأنه ما كان يحمل ديناً مطلقاً وإن كل سعيه كان من أجل الدنيا يقول: وكان عبيد الله بن الحر رجلاً لا يقاتل لديانة وإنما كان كل همه الفتك والتصعلك والغارات[(١)].

٣ ـ ومع كل ما تقدم فإن هذه الرواية قد تفرد بها البلاذري وحده، ولم يشر إليها مؤرخ آخر، وكل من أشار إليها نقلها عن البلاذري، ومن ثم لا نكون ملزمين بالعمل بها مع وجود رواية أخرى ذكرها مشهور المؤرخين بأن عبيد الله بن الحر عند ما كان في خيمته ودخل عليه الحسين لم يكن معه أحد حتى يسمع مقالة الحسين له ويعتذر له بنفس العذر الذي اعتذر به ابن الحر كما يزعم البلاذري.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣، ١٧٤ ـ ١٧٥.

الرأي الثالث

وهو ما أشار إليه الشيخ باقر شريف القرشي أن الشهيد أنس بن الحارث قد أقبل مع الحسين من مكة[1]، وهذا الرأي يعني ضمناً أن الشهيد قد ترك الكوفة مبكراً ربما قبل أن يقتل الشهيد مسلم بن عقيل، ومثل هذا الرأي لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه، ومع ذلك نقول ربما كانت هناك وثيقة اعتمدها الشيخ القرشي ولم تصل إلينا.

الشهادة في كربلاء

لقد كانت أهم أمنية عاشها الشهيد في حياته، وتمنى تحقيقها قبل مماته، هي تصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله له في الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام، وتمر الأيام ثقيلة على الشهيد، وهو يلملم طاقاته، التي أخذت تتبدد نتيجة العمر الطويل له (رض).

وما أن علم بخروج المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، حتى بانت علائم البشرى في وجهه، وأخذ قلبه ينبض فرحاً لقرب الوصول إلى الهدف المقصود، وتحقق الأمنية المنشودة.

وهكذا وصل إلى كربلاء مع الحسين عليه السلام، وهو مشتاق إلى الرواح إلى الجنة سريعاً، لا يحتمل التأخير والانتظار، مهما كان الوقت قصيراً، فوقف مع إخوانه في الإيمان ينتظر الإذن من الحسين عليه السلام في النزول إلى ساحة المعركة، ولمّا حان وقت الإذن، أخذ عصابة ورفع بها حاجبيه اللذين تدليا على عينيه، وشد وسطه بعمامة، وربما كانت هي عمامته التي يضعها على رأسه، ثم رفع بصره إلى الحسين عليه السلام،

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام لباقر شريف القرشي: ١، ١٠١ و٣، ٢٣٤.

يطيل النظر إلى وجهه الشريف مودعاً، ثم نزل إلى ساحة المعركة، وعين الحسين تلاحقه وهو يرى كبره وضعفه، وفي نفس الوقت يرى عزمه وقوته، فلما رآه على هذه الحال بكى وقال رحمك الله يا شيخ، ثم حمل على القوم وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ كَاهِلُهَا وَدَوْدَانِ وَالخَنْدَفِيُّوْنَ وَقَيْسُ عَيْلاَنِ

بِأَنَّ قَوْمِي قَصَمُ الأَقْرَانِ يَا قَوْمِ كُوْنُوا كَأُسُوْدِ الجَانِ

آلُ عَلِيٍّ شِيْعَةُ الرَّحْمَنِ وَآلُ حَرْبٍ شِيْعَةُ الشَّيْطَانِ[1]

فقتل منهم على كبر سنه ثمانية عشر رجلاً، وما زال يريد أن يحصد منهم أكثر إلى أن حاصروه وأحاطوا به من كل جانب وقد أجهده القتال وإذا به يسقط على الأرض صريعاً فيستقبل أرض الشهادة بكربلاء وهو مضرج بدمه الذي أخذ يصبغ شيبته الكريمة بحمرة الولاء لله ولرسوله ولأهل بيته.

رثاء الشهيد أنس

وفي حبيب بن مظاهر الأسدي وأنس بن الحارث الكاهلي يقول الكميت ابن زيد الأسدي راثياً:

سِوَى عُصْبَةٍ فِيْهِمْ حَبِيْبٌ مُعَفَّرُ قَضَى نَحْبَهُ وَالكَاهِلِيُّ مُرَمَّلُ[2]

فسلام عليك يا أنس بن الحارث الكاهلي وعلى شيبتك المباركة المضرّجة بالدماء، السلام عليك يا ناصر دين الله يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٩٩ (٥٠٠).

(٢) البحار: ٤٥، ٢٥.

الشهيد نصر بن أبي نيزر النجاشي عليه السلام

هكذا ذكره العلماء دون أن يختلفوا في اسمه أو اسم أبيه أو نسبه، نعم اختلفوا أهو ابن النجاشي ملك الحبشة أم أنّه ابن ملك آخر من ملوكها؟ وأصحّ الأقوال في ذلك ما ذكره المبرّد في الكامل، حيث قال: وصحّ عندي بعد أنّه من ولد النجاشي، فرغب في الإسلام صغيراً[1].

وهذه بعض كلماتهم في حقّ هذا الشهيد (رض):

أقوال العلماء فيه

١ ـ قال النمازي: «نصر بن أبي نيزر: لم يذكروه، هو مولى أمير المؤمنين، ومن أصحابه وأصحاب الحسن والحسين عليهما السلام، وتقدّم يوم الطفّ وتشرّف بالشهادة بين يديه»[2].

٢ ـ قال السماوي: «ونصر هذا، انضمّ إلى الحسين بعد علي بن أبي طالب والحسن، ثمّ خرج معه من المدينة إلى مكّة، ثمّ إلى كربلاء فقتل بها»[3].

---

(١) معجم البلدان، نقلاً عن المبرّد في الكامل: ج٤، ص١٧٥.

(٢) مستدركات علم الرجال للنمازي: ج٨، ١٥٥٢٩.

(٣) إبصار العين: ص٧٢.

٣ ـ قال صاحب الحدائق الوردية: «ونصر هذا، انضمّ إلى الحسين بعد علي ابن أبي طالب والحسن، ثمّ خرج معه من المدينة إلى مكّة، ثمّ من مكّة إلى كربلاء، وكان فارساً شجاعاً»[1].

جدّ الشهيد

الحديث عن جدّ الشهيد الكربلائي حديث طويل وله أبعاد متعدّدة، لأنّ هذا الجدّ هو الذي كان سبباً وراء هذا الانقلاب في مسيرة هذه الأسرة الحبشية النصرانية، بل كان السبب وراء كلّ هذا الانقلاب من المسيحية إلى الإسلام، الذي حصل في الحبشة، كما سيأتينا.

بل أستطيع إن أقول إن لهذا الجدّ ديناً في عنق كل مسلم ومسلمة، لأنه كان السبب الأكبر، بعد تسديدات الله تبارك وتعالى، وراء عدم إرجاع المهاجرين من الحبشة مع وفد قريش الذين بعثوهم من أجل أن يأتوا بهم إلى قريش، لكي يسوموهم ألواناً من العذاب وأشكالاً من الأذى والاضطهاد، لعلّ شعلة الإيمان وأنوار الهداية تنطفئ في نفوسهم، وتخمد جذوة الحقّ التي أخذت الأعناق تشرئب إليها؛ لأنّها كانت المنقذ الذي ينتظره كل مظلوم ومحروم ومضطهد ومستعبد.

النجاشي

إنّ كلمة النجاشي لم تكن اسماً خاصّاً لشخص معيّن، بل كانت لقباً يلقّب به كل من يجلس على سدّة الحكم في الحبشة، كما أن من جلس على سدة الحكم في بلاد فارس يطلق عليه كسرى، وهكذا من يملك مصر يلقّب بفرعون،

(١) وسيلة الدارين: ص١٩٩.

وفي الروم يلقّب بقيصر، وفي اليمن تُبّع، وهكذا. يقول ابن خلكان في الوفيات:

ثمّ إنّ الراضي لقبه بالأخشيد في شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وإنّما لقّبه بذلك لأنّه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم، وتفسيره في العربية ملك الملوك، وكلّ من ملك الناحية لقبوه بهذا اللقب، كما لقبوا كل من ملك بلاد فارس كسرى، وملك الترك خاقان، وملك الروم قيصر، وملك الشام هرقل، وملك اليمن تُبّع، وملك الحبشة النجاشي[1].

وقد وصف هذا الرجل من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بأجمل ما يمكن أن يوصف به شخص، ألا وهي العدالة، وهي تلك الصفة الإنسانية ذات المعنى الجامع والكبير، وهي هدف الأنبياء والرسالات، من حيث إنّ هدفهم جميعاً إقامة العدل والقسط وإحقاق الحقّ، يقول القرآن الكريم:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

فهنيئاً للنجاشي مدح رسول الله له بقوله صلى الله عليه وآله:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه»[3].

(١) وفيات الأعيان: ج٥، ص٥٨.

(٢) الحديد: ٢٥.

(٣) سيرة ابن هشام: ج١ ص٣٢١.

ويبدو أنّ هذه الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين، كانت بشارة لمستقبل عظيم ينتظرهم، فكانت هذه الكلمات كافية لتبعث في قلوبهم الأمل والاطمئنان، واليقين بأنّ الله مانعهم، وبأنّ الله بالغ أمره لا محالة.

ولقد عاش هذا الرجل العادل صفة العدالة في نفسه، وحاول تطبيقها ونشرها من خلال إنصاف المظلوم من الظالم؛ لأنّه عاش مظلوماً طول حياته، ظلمه أقرب المقرّبين إليه وهو عمّه، وليس هو فقط، بل حتى أبوه كان مظلوماً، فقد راح ضحية الجشع والحقد، حيث نقل المؤرّخون أنّ أباه كان ملكاً على الحبشة، ولم يكن له سوى ولد واحد وهو النجاشي، وكان له أخ له اثنا عشر ولداً، فتآمر الأخ مع أبنائه على قتْل أخيه ليكون له الملك من بعده، ظنّاً منه أنّ الأمر إذا ورثه هو فسيكون لأبنائه من بعده، فيدوم الملك فيهم طويلاً، بينما لا يملك أخوه إلاّ ولداً واحداً وهو النجاشي، لذا فقد صمّم على قتْل أخيه، وفعلاً لم تمضِ إلاّ مدّة وجيزة من الزمن حتى وثب الأخ على أخيه فقتله وتولّى الأمر من بعده، فعاش النجاشي (جدّ الشهيد الكربلائي) مع عمّه الذي قتل أباه.

وكان النجاشي قد عرف منذ ذلك الوقت بالذكاء والحكمة، حتى لقد أخذ بمجامع قلب عمّه فقرّبه إليه دون أولاده الذين هم من صلبه، حتى ليذكر أنّ عمّه لم يعد يُبرم أمراً إلاّ بمشورته، فلمّا رأى أولاده ذلك منه حقدوا على ابن عمّهم وخافوا منه كثيراً، خصوصاً وأنّ هاجس الملك كان يراودهم، وكانوا يخافون من ابن عمّهم أن يكون له نصيب من ذلك، كما أنّهم كانوا يعرفون بأنّه يعلم بمَن كان وراء قتل أبيه، فأقبلوا إلى أبيهم وبيّنوا له ما كان من مخاوفهم من هذا الرجل،

والضرر الذي يمكن أن يلحقه بهم تقريبه له دونهم، ومن ثم أخذوا يزينون له قتله أو إخراجه من البلد، فقال:

أما وقد قتلت أباه فلن أقتله، لا يمكن أن يكون ذلك، بل أُخرجه خارج البلاد. وفعلاً أخرج النجاشي وبيع لتاجر في السوق، فحمله التاجر معه في السفينة.

قال ابن هشام: حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمّه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته، ففزعت الحبشة إلى وُلده، فإذا هم محمقون، ليس فيهم خير، فمرج على الحبشة أمرهم. فلمّا ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تعلمون والله إنّ ملككم الذي لا يُقيم أمركم غيره، هو الذي بعتموه غدرةً، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه.

فخرجوا في طلبه، وطلبوا الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه، ثمّ جاؤوا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير المُلك[1].

وبتقديري أنّ كلّ هذا الظلم الذي وقع على النجاشي وعلى أبيه كان السبب وراء العدل الذي عرف به هذا الرجل (رض)، حتى أنّ المؤرخين ليذكرون بأنّ (عدل النجاشي وصل إلى درجة باتت تحتكم إليه قريش في خصومة زعمائها)[2].

كما أنّ أبناء النجاشي كانوا علماء ومحدّثين ومجاهدين، وكانت بلاد الحبشة على عهده بلد أمن وأمان، ولهذا السبب أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى جمع من

---

(١) ابن هشام في سيرته: ج١ ص٤١٩ ـ ٤٢٠. سير أعلام النبلاء: ج١ ص٤٢٩ ـ ٤٣٠. ابن إسحاق في سيرته: ص١١٦.

(٢) البلاذري في الأنساب: ج١ ص٧٣.

المسلمين الأوائل، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، بالتوجّه إلى الحبشة بعدما اشتدّ إيذاء قريش لهم.

ففي رواية عن الزهري أنه قال لهمصلى الله عليه وآله:

«تفرّقوا في الأرض، قالوا: فأين يا رسول الله؟ قال: ها هنا، وأشار بيده إلى أرض الحبشة» [(١)].

وتقول أمّ سلمة: لمّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار، النجاشي؛ أمنّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى[(٢)].

ويقول ابن حبان: (حتى قدموا أرض الحبشة وأقاموا بها على الطمأنينة)[(٣)].

وهذا قليل من كثير في هذا المقام، ولعل عدل النجاشي وسيرته المحمودة في قومه هو العامل الأهم في جعلهم يتقبّلون النبوة الخاتمةصلى الله عليه وآله؛ هذا فضلاً عن علم النجاشي بحقيقة الأمر، ولقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٤)].

فإذا كان أهل الكتاب الذين يتحدث عنهم القرآن الكريم قد حصل لهم معرفة برسول الله وبدينه الخاتم، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكيف بمَن

---

(١) المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار: ص٩٦.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ج١ ص٤١٣.

(٣) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان: ص٧٧.

(٤) الأنعام: ٢٠.

كان أعلم النصارى في وقته، ألا وهو النجاشي؟!

يقول الشيخ أحمد زين دحلان، في كتابه السيرة النبوية:

(إنّ النجاشي كان أعلم النصارى في وقته بما أنزل على عيسى، حتى أن قيصر الروم كان يرسل إليه علماء النصارى ليأخذوا منه العلم)[١].

ولقد كان من صلاح هذا الرجل وعلمه الوفير، وارتباطه بالله تبارك وتعالى، ما ذكره المجلسي في بحاره:

(قال النجاشي: يا جعفر، هل تحفظ ممّا أنزل الله على نبيّك شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم، فلمّا بلغ إلى قوله:

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾[٢].

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً وقال: هذا والله هو الحق)[٣].

وأغلب الظنّ أنّ الرجل دخل في الإسلام مبكّراً ببركة جعفر وحنكته ومَن معه، ولكنّه لم يكن يرى مصلحة في إعلان هذا الأمر على الملأ، وإن كان قد صدرت منه مواقف تدلل على إيمانه وإسلامه وحبّه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«**لمّا قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة قال لرسول الله: أحدّثك**

---

(١) جريدة الوحدة، السبت، ٧ محرم ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥،٥،٨، بقلم مفتى ارتيريا الشيخ إبراهيم المختار.

(٢) مريم: ٢٥ – ٢٦.

(٣) بحار الأنوار: ج١٨، ص٤١٥.

يا رسول الله، دخلت على النجاشي يوماً من الأيام وهو في غير مجلس الملك، وفي غير رياشه وفي غير زيّه، قال: فحيّيته بتحيّة الملك وقلت له: يا أيّها الملك، مالي أراك في غير مجلس الملك وفي غير رياشه وفي غير زيّه، فقال: إنّا نجد في الإنجيل أنّ مَن أنعم الله عليه بنعمة فليشكر الله، ونجد في الإنجيل أن ليس من الشكر لله شيء يعدله مثل التواضع، وأنّه ورد عليّ ليلتي هذه أنّ ابن عمّك محمدﷺ قد أظفره الله بمشركي أهل بدر فأحببت أن أشكر الله بما ترى» [(١)].

ولا شكّ أنّ هذه وأمثالها لتشير إلى أنّ الرجل كان قلبه متعلّقاً برسول اللهﷺ وبدينه، إلى درجة أنه يعد انتصاره نعمة كبيرة يجب فيها الشكر لله بما يناسبها، كما في الرواية المتقدمة، نعم يمكن أن يكون إعلان هذا الإسلام وإظهاره قد أخّره لحين بعث رسول اللهﷺ بكتابه إليه، حيث دعاه إلى الإيمان بالله ورسوله والدين الخاتم.

فقد ذكر اليعقوبي والطبري وغيرهما أن النبيﷺ كتب إلى ملك الحبشة (النجاشي) كتاباً جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى؛ أمّا بعد، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج١٨، ص٤٢١ – ٤٢٢.

أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتـول الطيّبـة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلـق آدم بيـده، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بي، فإنّي رسول الله، وإنّي أدعوك وجنودك إلـى الله عزّ وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام علـى مـن اتّبع الهدى» [١].

ولم يمض على إرسال الكتاب إلاّ مدة وجيزة وإذا بالنجاشـي يكتـب كتابـاً جواباً علـى كتـاب رسـول اللهﷺ، يجـسد فيـه أعلـى درجـات الـصدق والـولاء للإسلام ولرسوله الكريمﷺ حيث كتب:

(بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشـي الأصـحم بـن أبحر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلاّ هـو الـذي هداني إلى الإسلام؛ أمّا بعد، فقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى، فـوربّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقـاً[٢]، إنّـه كمـا قلـت، وقـد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمّك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صـادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمّك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقـد بعثت إليك يا رسول الله بابني أريحا بن الأصحم بن أبحر، فإنّي لا أملك إلاّ نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يـا رسـول الله، فـإنّي أشـهد أنّ مـا تقـول حـق، والـسلام

---

(١) اليعقوبي: ج٥، ص٧٧. الطبري: ج٢، ص٢٩٧.

(٢) ثُفْروق: بالثاء المثلّثة المضمومة، بعدها الفاء الساكنة: جمعة ثفاريق، وهـي الأقمـاع ـ جمع قِمَع ـ التي تلزق بالبُسر. والبُسر هو التمر قبل أن يصير رُطباً، واحدته بُسرة.

عليك يا رسول الله)[١].

وبعث الكتاب إلى رسول الله ومعه هدايا له، حيث نقل المؤرخون أنه أهدى إليه خفين وحله وقارورة طيب وثلاث غزات[٢] وهكذا ظل النجاشي الحصن الحصين للإسلام في الحبشة، إلى أن لبّى نداء ربّه، وقد دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وكان يوم وفاته يوم حزن وألم على رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام، بإسناده عن آبائه عن علي عليه السلام قال:

(إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أتاه جبرئيل ينعى النجاشي، بكى بكاء حزين عليه وقال: إنّ أخاكم أصحمة - وهو اسم النجاشي - مات.

ثمّ خرج إلى الجبانة وكبّر سبعاً، فخفض الله له كلّ مرتفع، حتى رأى جنازته وهو بالحبشة)[٣].

وقد فهم علماؤنا من هذا الذي قام به رسول الله في خصوص الصلاة على جنازة النجاشي وهو بعيد عنه، بأن هذا الأمر مختصّ بالنجاشي وبما قام به رسول الله، ولا يتعدّى إلى غيره، بل القياس كما في الروايات، أي لابد أن توضع جنازة الميّت أمام المصلّي حتى تتمّ الصلاة عليها، بينما فهمت المدرسة الأخرى أنّ هذا الأمر غير مختصّ بالنجاشي، بل ويتعدّاه إلى غيره، فيجوز أن تؤدّى صلاة الميت مع عدم وجود جسد الميت أمام المصلّي، وهو ما يعرف بالصلاة على الغائب.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) السيرة الحلبية، باب غزوة بدر الكبرى.

(٣) بحار الأنوار: ج١٨، ص٤١٨.

يقول النووي في المجموع: (مذهبنا جواز الصلاة على الغائب عن البلد، ومنعها أبو حنيفة، ودليلنا حديث النجاشي، وهو صحيح لا مطعن فيه، وليس لهم عنه جواب صحيح)[١].

بينما يشترط علماؤنا حسب روايات أهل البيت في صحّة الصلاة على الميت، جملة من الشروط، منها وجود الميت أمام المصلي[٢].

مع ابن عم الشهيد

ذكر المؤرخون في كتبهم وفي سير رسول الله، أن ذا مخبر كان ابن أخي الملك النجاشي، هاجر مع أبناء عمه (أولاد النجاشي) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وحسن إسلامه، وقربه رسول الله صلى الله عليه وآله إليه، حتى طلب أن يكون خادماً لرسول الله صلى الله عليه وآله فقبل النبي ذلك، فعاش في أكناف النبوة وألطاف الرسالة.

وممّا لا ريب فيه أنه قد نال في عمله وخدمته هذه شرفاً عظيماً وأجراً لا يعلم قدره إلا الله، حيث سخره الله لخدمة سيد الخلق؛ لأنّ خدمته صلى الله عليه وآله شرف عظيم، وإضافة إلى كل ما تقدم، فقد عد من أصحاب الأحاديث والرواة الموثوقين.

يقول ابن حجر في الإصابة: (ذو مخبر يُقال ذو مخمر الحبشي، ابن أخي النجاشي، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وخدمه، ثم نزل الشام، وله أحاديث)[٣].

---

(١) المجموع للنووي: ج٥، ص٢١١.

(٢) انظر: منهاج الصالحين للسيد السيستاني: ج١، ص١٠٧.

(٣) ابن حجر في الإصابة: ج٢، ح٢٤٧١.

ومـن الأحاديـث التـي رواهـا القـوم عنـه (رض) فيمـا يخـص الإمـام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وما يجري من الأحداث قبله، والتي أدخلها بعضهم في روايات الفتن والملاحم، ومنها هذه الرواية، يقول ابن حبان: (أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي قال: حدثنا علي بن المديني قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن حسن بن عطية، عن خالد بن معدان، عن جبير ابن نفير، عن ذي مخبر بن أخي النجاشي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«ثمّ تصالحون الروم صلحاً أمناً، ثمّ تغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائهم، فتنتصرون وتغنمون، وتنصرفون حتى تنزلوا برج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منه غير بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً»)[1].

أعمام الشهيد الكربلائي

كان للشهيد الكربلائي أعمام كرام، كما هو شأن أبيهم آمنوا وحسن إيمانهم، وتحوّلوا إلى دعاة إلى الله مع أبيهم منذ اللحظة الأولى، وكل هذه الأوصاف التي تمتّعت بها هذه الأسرة التي ينتمي لها الشهيد لتكشف وبشكل

---

(١) ابن حبان: ج١٥، ص١٠١ ح٦٧٠٨. مسند أحمد: ج٤، ص٩١.

واضح عن تلك الشخصية، وعلى كل حال، فإنّ المؤرخين ذكروا بأنّ للنجاشي أولاداً؛ ثلاثة منهم متّفق عليهم، وواحد ذكره بعضهم، وهم على النحو التالي:

١ . أريحا بن أصحمة

أرسله والده إلى رسول الله مع ستّين من رجالات الحبشة ومعه كتاب إلى رسول اللهﷺ، ولكن شاءت الأقدار أن يقبض الله أرواحهم قبل وصولهم إلى رسول اللهﷺ، حيث عصفت بهم الريح وهم على السفينة فغرقوا جميعاً.

يقول ابن حجر: (أرمى ويُقال أرهى ويُقال أريحا بن أصحمة بن أبحر، ولد النجاشي، قال أبو موسى: ذكر الإمام أبو القاسم إسماعيل، يعني شيخه التيمي في المغازي، أنه في السنة السابعة كتب النبي إلى الملوك وبعث إليهم الرسل، فذكر القصّة، وبعث إلى النجاشي عمرو بن أميّة قال: فكتب إليه النجاشي الجواب بالإيمان، وفي كتابه: إني بعثت إليك ابني أرمى بن أصحمة... إلى أن يقول: قال: فخرج ابنه في ستّين نفساً من الحبشة، في سفينة في البحر فغرقوا كلّهم، وهكذا ذكرها أبو موسى عن شيخه بلا إسناد، لكن سمّاه أريحا، والله أعلم)[١].

٢ . عبد الله بن أصحمة بن أبحر النجاشي

ولد في أيام وجود الصحابة بأرض الحبشة، يقول ابن حجر: (عبد الله بن أصحمة النجاشي، ولد النجاشي، ذكر الزبير بن بكّار أن أسماء بنت عميس أرضعته مع ولدها عبد الله بن جعفر حتى فطم)[٢].

---

(١) الإصابة: ج١، ص٣٣٦، ح٤٣٨.

(٢) الإصابة: ج٥، ص٦٣، ح٦٣١٥.

وينقل السهيلي بأنّ سبب تسمية النجاشي ولده عبد الله، هو تسمية جعفر ولده عبد الله، حيث يقول:

(وكان جعفر قد ولد بأرض الحبشة محمداً وعوناً وعبد الله، وكان النجاشي قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله، فأرسل إلى جعفر يسأله كيف أسميت ابنك؟ فقال: أسميته عبد الله، فسمّى النجاشي ابنه عبد الله، وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله، فكانا يتواصلان بتلك الأخوّة)[(١)].

ويا لها من أخوّة جمعت بين قلوب لا يمكن لها أن تجتمع إلاّ من خلال الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ونبيه صلى الله عليه وآله، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأخوّة الإيمانية دون الأخوّة النسبية؛ لأنّ الأخوّة النسبية قد تكون مع الإيمان وقد لا تكون، بينما لا تجد في الأخوّة الإيمانية إلا الله والرسالة والإسلام والدين.

٣. والد الشهيد الكربلائي (أبو نيزر)

ترجم له ابن حجر في الإصابة بقوله:

(بكسر أوله وسكون التحتانية المثنّاة وفتح الزاي المنقوطة بعدها مهملة، ذكره الذهبي مستدركاً وقال: يقال إنه ولد النجاشي، جاء وأسلم، وكان مع النبي صلى الله عليه وآله في مؤنته)[(٢)].

وقد ورد في وقت إسلامه وكيفيته، أنّ أباه النجاشي لمّا صنع ما صنع به، حيث باعوه إلى تاجر؛ يذكر السهيلي في كتابه الروض الأنف، بأنّ التاجر كان

---

(١) الروض الأنف للسهيلي: ج٤، ص٨٠.

(٢) الإصابة لابن حجر: ج٧، ح١٠٦٥٤.

عربياً من بني حمزة، فأخذه معه إلى مكّة، وعاش هناك مدة من الزمن ليس بالقليلة[١]، وعلى ما يبدو أنّ ولادة أبي نيزر كانت هناك.

ويبدو لي أنّ هذه الرواية التي يذكرها السهيلي هي الأقرب إلى الأحداث التاريخية التي ذكرها المؤرّخون عن الحبشة وملكها النجاشي، وما جرى عليه، حيث إنّنا من خلال هذه الرواية نستطيع أن نضمن مضيّ مدة ليست بالقليلة على تسلّم عمّ النجاشي الحكم ومقتله بالصاعقة، ومجيء أولاده وحكمهم بعد أبيهم، ومضي مدّة على حكمهم، حتى مرج أمر الحبشة وماج، وأيقن الناس أنّ الأمر لا يمكن أن يستمرّ أكثر من ذلك، وأخذوا يبحثون عن النجاشي إلى أن وجدوه في مكّة، ثمّ أخذوه وتوّجوه ملكاً عليهم.

هذه الرواية ربّما تكون هي الأقرب إلى الواقع بحسب ما تقدم من الأحداث، بخلاف تلك التي ذكروها، والتي تقول بأنّ التاجر حينما أخذ النجاشي وأركبه في السفينة، سقطت الصاعقة على عمّه وفي عشيّة نفس اليوم هاجت السحابة فقتلته، ومرج أمر الحبشة، وتبعوا التاجر حتى أخذوا منه النجاشي.

وحيث إنّ هناك أحداثاً مهمة قد وقعت، فمن غير المعقول أن تكون قد وقعت دون مضي مدّة زمنية، ومن ثم فنحن نميل إلى أنّ النجاشي قد ولد له أبو نيزر وهو لا يزال في مكّة مولىً لبني حمزة، كما ذكر هو بنفسه ذلك، ونرجّح كذلك أنّ أبا نيزر لم يرجع مع أبيه إلى الحبشة عندما جاءه الطلب، وظلّ هناك إلى أن سطع نور الإسلام وبانت معالمه، وحصلت الهجرة الشريفة للحبشة، ودخل

---

(١) الروض الأنف: ج٢ ص٨٠.

النجاشي في الإسلام، عندها، وفي تلك الحقبة، وجد علي بن أبي طالب أبا نيزر في مكّة مولىً عند بني حمزة كما كان أبوه، أو ربّما عند آخرين، فعرفه وأعتقه ردّاً للجميل الذي صنعه أبوه مع المسلمين في الحبشة.

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق أنّ أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب، كان ابناً للنجاشي نفسه، وأنّ علياً وجده عند تاجر بمكّة، فاشتراه منه وأعتقه، مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين، وذكروا أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي، وأنّهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي بن أبي طالب ليملّكوه ويتوّجوه ولم يختلفوا عليه، فأبى وقال: ما كنت أطلب الملك بعد أن منّ الله عليّ بالإسلام[1].

وفي رواية ثانية، أنّه قدم على أبي نيزر بن النجاشي ـ وكان علي أعتقه ـ ناس من الحبشة، فأقاموا عنده شهراً ينحر لهم علي بن أبي طالب ويضع لهم الطعام، فقالوا له: إن أمر الحبشة قد مرج عليهم، فانطلق معنا نملّكك عليهم، وإنّك ابن من قد علمت، فقال: أما إذا أكرمني الله بالإسلام، ما كنت لأفعل، فلمّا أيسوا منه رجعوا وتركوه[2].

ويا له من موقف كريم يعجز البيان عن مدحه أن يعرض الملك والسلطان على إنسان فيرفضه، لا لشيء إلا لأجل الإسلام، حيث لا يريد ملكاً وسلطاناً ما دام قلبه عامراً بحبّ الله ونبيّه وأهل البيت عليهم السلام وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على سعة اطلاعه ومعرفته بحقيقة هذه الدنيا الفانية، وعمق بصيرته فيها، فأصبحت لا تساوي شيئاً عنده، وهذه هي سيرة الصالحين والأبرار.

---

(١) انظر: معجم البلدان: ج٤، ص١٧٥.

(٢) انظر: المغازي والسير: ص٢٢١.

عين أبي نيزر والبغيبغة

ولقد قدّر علي ذلك في والد الشهيد، فربّاه وعلّمه، وأعطاه كرامة من كراماته التي بقيت حتى يومك هذا، حيث فجر عيناً وأسماها بعين أبي نيزر، وسلّمها إليه يعمل فيها وكالة عن الإمام أمير المؤمنين بل وكان مسؤولاً حتى عن مواردها المالية التي لم تكن قليلة، فقد أشار المؤرّخون إليها ، وإلى البغيبغة وهم يتحدّثون عن صدقات علي عليه السلام في المدينة وينبع، إشارة إلى أهمّيتها المالية، والتي كانت تصل سنوياً إلى أربعين ألف دينار، كما تحدث هو عليه السلام عنها بقوله:

«وإنّي لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار» [١].

يقول أبو نيزر كما ينقل ذلك جملة من المؤرخين:

(جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين، عين أبي نيزر والبغيبغة، فقال: هل عندك من طعام؟ فقلت: عندنا طعام لا أرضاه لك، قرعُ من قرع الضيعة صنعته بإهالة سنخة[٢]، فقال: عليّ به، فقام إلى الربيع ـ وهو الجدول ـ فغسل يده فأصاب من ذلك شيئاً، ثمّ رجع إلى الربيع فغسل يده بالرمل حتى أنقاها، ثمّ ضم يديه كل واحدة إلى أختها، ثمّ شرب بها حساً من الربيع، ثم قال: يا أبا نيزر، إن الأكف أنظف الآنية. ثمّ مسح من ذلك الماء على بطنه، ثمّ قال: مَن أدخله بطنه النار فأبعده الله. ثمّ أخذ المعول وانحدر إلى العين، فأقبل يضرب فيها، وأبطأ عليه

(١) الصحيح من السيرة: ج٨ ص٢٥٣، محمد بن سليمان؛ مناقب أمير المؤمنين: ج٢ ص٦٦؛ حلية الأولياء: ج١ ص٨٦؛ السيرة الحلبية: ج٢ ص٤٧٣.

(٢) يعني بسمن غير جيّد، لسان العرب: ج٣ ص٢٧.

الماء، فخرج وقد تفضخت جبهته عرقاً، فاستشف العرق من جبينه، ثمّ أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم، فانثالت كأنّها عنق جزور، فخرج مسرعاً فقال:

أشهد الله أنّها صدقة، عليّ بدواة وصحيفة.

قال أبو نيزر: فعجلت بها إليه، فكتب:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين؛ تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقي الله وجهي حرّ النار يوم القيامة، ولا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق**[1]**، لهما ليس لأحد غيرهما**»[2].

وفي رواية أخرى ذكر فيها أمير المؤمنين أبا نيزر بالاسم، وأنّه عامل في هذا الوقف، وهو حر في نفس الوقت. يقول العلامة النوري في مستدرك الوسائل:

(وعن أمير المؤمنين أنّه أوصى بأوقاف أوقفها من أمواله ذكرها في كتاب وصيته، كان فيما ذكره منه:

«**هذا ما أوصى به وقضى في ماله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**

---

(١) طلق: حلال.

(٢) مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان: ج٢ ص٨١، الإصابة: ج٧ ح١٠٦٥٤؛ المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز آبادي: ج٣ ص٩٦٨.

ابتغاء وجه الله به... غير أن رباحاً وأبا نيزر وجبيراً عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل، وهم موالي يعملون في المال خمس حجج، وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق أهاليهم»[١].

يقول السيد محسن الأمين، بعد أن يورد خبر أبي نيزر وخبر وصيّة وقف أمير المؤمنين:

(قال محمد بن هشام: فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار، فأبى أن يبيع وقال:

إنّما تصدق بها أبي ليقي بها وجهه حر النار، ولست بائعها بشيء.

قال: وتحدّث الزبيريون أنّ معاوية كتب إلى مروان وهو والي المدينة، وذكر ما مضمونه أنّه كتب إليه يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر على ابنه يزيد، وأن يرغب له في الصداق، فقرأ الكتاب على عبد الله فقال: إنّ خالها الحسين بينبع، وليس ممّن يقتات عليه بأمر ما. انتظرني إلى أن يقدم، وكانت أمّها زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا قدم الحسين ذكر له ذلك عبد الله، فدخل إلى الجارية فقال: يا بنية، إنّ ابن عمّك القاسم بن محمد بن جعفر أحقّ بك، ولعلّك ترغبين في كثرة الصداق، وقد نحلتك البغيبغات، فلمّا حضر القوم للإملاك تكلم مروان، فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة، فتكلم الحسين فزوّجها من القاسم بن محمد، فقال مروان: أغدراً يا حسين! فقال:

أنت بدأت، خطب أبو محمد عائشة بنت عثمان بن عفّان، واجتمعنا

---

(١) مستدرك الوسائل للعلامة النوري: ج١٤ ح١٦٠٨٩.

لذلك، فزوجتها من عبد الله بن الزبير.

فقال مروان: ما كان ذلك، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أنشدك الله، أكان ذلك؟ قال: اللّهمّ نعم. قال: فلم تزل هذه الضيعة في يد بني جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها، حتى ملك المأمون، فذكر ذلك له فقال:

كلا، هذا وقف علي بن أبي طالبعليه السلام.

فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردّها إلى ما كانت عليه)[(١)].

وفي خبر آخر نقله ابن شهر آشوب، ما مختصره:

(عن عبد الملك بن عمير والحكم والعباس قالوا: خطب الحسنعليه السلام عائشة بنت عثمان، فقال مروان: أزوجها عبد الله بن الزبير، فلمّا قبض الحسن ومضت أيام من وفاته، كتب معاوية إلى مروان، وهو عامله على الحجاز، يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فأخبر مروان عبد الله بذلك فقال: إنّ أمرها ليس لي إنّما هو إلى سيدنا الحسين وهو خالها، فأخبر الحسين بذلك فقال: أستخير الله تعالى؛ اللّهمّ وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمد، فلما اجتمع الناس في المسجد، أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين وقال: إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب أم كلثوم لابنه يزيد، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، وأن الحسين قال له: لعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول اللهصلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية، يكون أربعمائة وثمانين درهماً. ثم ذكر حواراً دار بينهما ثم قال الحسين:

---

(١) السيد محسن الأمين في كتابه في رحاب أهل البيت تحت عنوان: عين أبي نيزر والبغيبغة.

«اشهدوا أني قد زوجت أم كلثوم من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة، أو قال أرضي بالعقيق، وأن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار»[(١)].

وفي الإصابة، نقلاً عن المبرد في الكامل، وهو يتحدّث عن أبي نيزر وضيعته أنّه كان يقوم بضيعة علي في ينبع، تسمى أحداهما البغيبغة والأخرى عين أبي نيزر[(٢)].

ومن كلّ ما تقدم يتبين أن جلالة الرجل وقربه من أمير المؤمنين، وأمانته، جعله يحظى بثقة الإمام علي عليه السلام فيفوض إليه أمر أهم ضيعتين يملكهما الإمام، والتي دفع معاوية في واحدة منهما وهي عين أبي نيزر، قرابة الربع مليون دينار، وفي نفس الوقت أكرمه مرة أخرى بأن خصه بحديث الوقف الذي تقدم، والذي اعتمده فيه دون بقية أصحابه ومعتمديه، ولا شك أن مثل هذا يدلل على أنه صاحب منزلة ومقام كريم عند الإمام عليه السلام.

ولقد علق السيد محسن الأمين، بعد ذكره لرواية أبي نيزر المتقدمة، بنقاط مهمة فيها العظة والعبرة، أحببت إيرادها كما ذكرها (رض) فيما يخص قصة مجيئه إلى أبي نيزر في ضيعته والتماسه الطعام منه، وهي:

١ ـ غاية زهده بأكله القرع المطبوخ بالودك المتغير الرائحة، ولعله كان بغير خبز، وهي واحدة من كثير مما يدل على غاية زهده.

---

(١) انظر: في رحاب أهل البيت: ج١ باب عين أبي نيزر والبغيبغة للسيد محسن الأمين.

(٢) المصدر السابق.

٢ ـ استحباب غسل اليدين قبل الأكل.

٣ ـ استحباب غسل اليدين بعده.

٤ ـ قوله: من أدخله بطنه النار فأبعده الله، موعظة بالغة، فأكل الحرام الذي هو لذة ساعة ثم يصير عذرة، إذا كان يوجب دخول النار لا يفعله عاقل.

٥ ـ الحث على العمل والكد بضربه بالمعول حتى تفضخ جبينه عرقاً، واستئنافه الضرب حتى استنبط الماء الغزير.

٦ ـ تأكد استحباب الوقف في سبيل الخير.

٧ ـ استحباب المسارعة إلى فعل الخير، فلذلك بادر إلى الوقف بدون مهلة.

٨ ـ استحباب الكتابة للوقف وغيره، فلذلك بادر إلى طلب الدواة.

٩ ـ المراد بالصدقة هنا الوقف، وقد سمي الوقف صدق جارية، أي دائمة.

١٠ ـ إنّ الوقف يجوز اشتراط الرجوع فيه عند الحاجة ولا يفسد بذلك، لقوله: إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما إلخ، فجعل ذلك لهما دون باقي ولده، إلا أن الحسين لما فيه من سمو النفس وشرف الطبع لم يرض أن يبيع عين أبي نيزر من معاوية بمائتي ألف دينار، التي تقرب من مائة ألف ليرة عثمانية ذهباً، وقد ركبه الدين، لتبقى هذه المكرمة وثوابها لأبيه، وإن رخص له في بيعها عند الحاجة وقال:

إنّما تصدق بها أبي ليقي بها وجهه حرّ النار، ولست بائعها بشيء.

تفديك نفسي أبا عبد الله، وأي عمل عمله أبوك يخشى منه لفح النار لوجهه؟! ويمكن أن يريد بقوله: إلاّ أن يحتاج إليهما الحسن والحسين، الأعم من الحاجة إلى البيع أو إلى غلّتها، فلهما أخذها ولا يلزمهما التصدق بها على الفقراء وابن السبيل[١].

ويبدو أن المدة التي عاشها أبو نيزر مع علي عليه السلام لم تكن قليلة، حيث ينقل السيد محسن الأمين بأن علياً اشتراه من تاجر وهو صغير وأعتقه، ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، وبقي عنده إلى وفاته، فانتقل إلى بيت علي، فصار مع فاطمة وولد هاشم، ثم جعله في الضيعتين[٢].

وأزيد على كلامه قدس سره: وتزوج في أيام علي عليه السلام، وأنجب الشهيد الكربلائي، وتربى هو الآخر في أحضان الإمامة والطهر والولاء لمحمد وآل محمد.

ويبدو من خلال الروايات أنّ أبا نيزر لم يكن أسود كما هو حال أهل الحبشة ومن ينسب إليها، بل كان صاحب بشرة بيضاء، جميل المنظر. يقول ابن إسحاق في سيرته: (قال: حدّثني والدي إسحاق بن يسار قال: رأيت أبا نيزر ابن النجاشي، فما رأيت رجلاً قط عربياً ولا أعجمياً أعظم ولا أطول ولا أوسم منه...، ثم يقول: فقلت لأبي: أكان أبا نيزر أسود كسواد الحبشة؟ فقال: لو رأيته لقلت رجل من العرب)[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: في رحاب أهل البيت للسيد أمين تحت عنوان عين أبي نيزر والبغيبغة.

(٣) سيرة ابن إسحاق: ج٢، حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة.

الشهيد في كربلاء

لقد أبت غيرة الرجل المؤمن الصادق في إيمانه أن يسكن إلى الدعة والراحة كما سكن إلى ذلك الكثير، وهو الذي عاش في أحضان أهل البيتعليهم السلام الذين لم ينقل التاريخ عن واحد منهم أنّه هادن ظالماً أو مالأ مستكبراً، معاذ الله، هذه الأحضان التي زرعت حب الإسلام في نفسه وعقله وقلبه، كما زرعته في قلب أبيه، حتى وصل هذا الحب إلى درجة عرضت عليه تيجان الملوك فرفضها، فضلاً عن أصالة الأسرة التي ينتمي إليها الشهيد نصر، حيث عرفت في الجاهلية قبل الإسلام، وفي الظلام قبل النور، بأنّها كانت ملجأ المظلومين والمحرومين، حيث كانت تنشر العدل في ربوع الأرض، فلقد كان جدّه ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد.

أقول: لقد أبت كلّ هذه المعاني السامية التي جسّدها شهيد كربلاء، أن يبقى ينظر إلى الظلم الأموي نازلاً على رؤوس المسلمين ولا يحرك ساكناً، أن يرى الحق يصرف عن أهله ولا يرفع صوته بالرفض، فضلاً عن القلب واليد، ولذا كان أول المبادرين إلى الذهاب مع ركب الشهادة، من أجل أن يسير على نهج جده وأبيه في نصرة الإسلام والدفاع عن أهله، ويشترك في جمع الأصحاب في تلك الملحمة الإلهية العظمى، وقبل أن يبدأ القتال تحرك الحسينعليه السلام على اتجاهين أساسيين:

١ ـ الاتجاه الأول: تعبئة الصفوف وتهيئة عسكره ومن معه للحرب.

٢ ـ حديثه مع جيش عمر بن سعد وموعظته لهم بأن ينزلوا عن غيهم

وطغيانهم، والذي أدى إلى استجابة ذوي البصائر والإيمان منهم، وبينما الحسين كذلك وإذا بالسهام أخذت تترى على مخيم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وإذا بصوت عمر بن سعد[١]: اشهدوا لي عند الأمير عبيد الله بن زياد أنّي أوّل مَن رمى، ثمّ رمى الناس من حوله.

وبدأت الحملة الأولى، وكان لنصر بن أبي نيزر حصة الأسد في حصد رؤوس الكفر والفسوق، حيث قاتل فارساً فكان يصول ويجول في أوساط المعركة، إلى أن عقرت فرسه وسقط إلى الأرض شهيداً مضمّخاً بدمه (رض).

وقد عانقت روحه الحور العين مهللة ومكبرة، فرحاً بهذا الفوز العظيم، فخرج من الدنيا متشحاً بحلة النصرة لسيد الشهداء عليه السلام، يقول السيد الزنجاني في وسيلة الدارين: وكان فارساً شجاعاً، فلما كان يوم العاشر من المحرم وشب القتال، استقدم أمام الحسين، فقاتل حتى عقرت فرسه، ثم قتل في أول القتال من الحملة الأولى[٢]. فسقط شهيداً إلى جانب جمع من الشهداء الأبرار، فسلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

---

(١) وسيلة الدارين: ١٩٩.

(٢) انظر: إبصار العين: ص٧٢.

الشهيد مسلم بن كثير الأزدي الأعرج عليه السلام

يحمل الحديث عن هذه الشخصية جملة من النقاط المهمة التي لم يشاركه فيها غيره من شهداء كربلاء، وهذا ما سيتبين لنا من خلال الحديث عنه، ولكننا وقبل أن نلج في سيرته وحياته، نود أن نسلط الأضواء على كلمات الأعلام في حقه (رض).

كلمات العلماء في الشهيد

١ ـ قال المحقق السماوي: «مسلم بن كثير الأعرج الأزدي ـ أزدشنؤة ـ الكوفي، كان تابعياً كوفياً، صحب أمير المؤمنين وأصيبت رجله في بعض حروبه»[(١)].

٢ ـ وقال النمازي: «مسلم بن كثير الأعرج من أصحاب رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، وتشرف بشهادة الطف في الحملة الأولى»[(٢)].

٣ ـ وقال الزنجاني: وقال العسقلاني في الإصابة: «هو أسلم بن كثير بن قليب

(١) إبصار العين: ص١٨٥.

(٢) مستدركات علم الرجال، للنمازي: ج٧ ص٤١٥ ح١٤٩١٩.

الصدفي الأزدي الكوفي، له إدراك مع النبيﷺ، وذكره ابن يونس وقال: شهد فتح مصر في زمان عمر بن الخطاب»[١].

٤ ـ قال السيد الخوئي:

«مسلم بن كثير الأعرج من أصحاب الحسين، رجال الشيخ. وعده ابن شهر آشوب من المقتولين في الحملة الأولى، وقد نسب التسليم إليه في زيارتي الناحية والرجبية»[٢].

٥ ـ قال الشهيد المحلي، صاحب الحدائق الوردية، وهو يتحدث عمن قتل مع الحسين: «**ومن الأزد مسلم بن كثير**»[٣].

الاختلاف في اسم الشهيد الكربلائي

وبهذا تبين أن الشهيد قد اختلف في اسمه، حيث ذهب الأكثر، كما هو واضح، إلى أنه مسلم[٤].

وقال بعضهم هو أسلم[٥]، وهناك من ذهب إلى أن اسمه هو سليمان بن كثير الأزدي[٦] وكناد بن كثير[٧].

(١) وسيلة الدارين: ص١٠٦.

(٢) معجم رجال الحديث، للخوئي: ج١٩ ص١٦٧.

(٣) الحدائق الوردية: ص٢٦.

(٤) كالمحقق السماوي في إبصار العين، والنمازي في المستدركات، والخوئي في المعجم.

(٥) كما ذهب إلى ذلك الزنجاني في وسيلة الدارين، وآخرون ولكنهم قلة.

(٦) كما ذكره الشيخ شمس الدين في أنصار الحسين: ص١٠٩.

(٧) المصدر السابق.

وقد ورد في زيارة الناحيةالتي أوردهاالسيد ابن طاووس«السلام على مسلم ابن كثيرالأزدي»[١].

وفي الرجبية «السلام على سليمان بن كثير»[٢].

صحبة الشهيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

واختلفوا في صحبة الشهيد لرسول الله، حيث ذهب الزنجاني والنمازي[٣]، إلى أنه من أصحاب الرسول، بينما ذهب آخرون إلى أنه تابعي كبير[٤].

الاختلاف في اسم والد الشهيد

كما اختلفوا في اسم أبيه حيث ذهب الأكثر إلى أنه كثير بن قليب الأزدي.

وذهب بعضهم إلى أنه كثير بن مرة الأزدي[٥].

وقال بعضهم: هو كثير بن أبي كثير، وقد مال ابن الأثير[٦]، إلى أنه هو نفسه كثير بن قليب، حيث إن اسمه قليب، وأما أبو كثير فكنيته.

ولكنهم اتفقوا على أن والد الشهيد الكربلائي شهد فتح مصر ثم سكن فيها، واتفقوا على صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) الإقبال: ص٥٧٧.

(٢) البحار: ج١٠١ ص٣٤٠ ـ ٣٤١؛ وصاحب الحدائق.

(٣) المصدر نفسه: رقم٢.

(٤) إبصار العين: ص١٨٥.

(٥) تهذيب التهذيب، حرف الكاف: ص٧٥٩.

(٦) الإصابة: ج٥ ح٧٤٨٩.

والد الشهيد

تحدثت كتب التاريخ والحديث عن والد الشهيد الكربلائي وذكرته في مجالات مختلفة، حيث عُدّ راوياً ثقة لأحاديث رسول الله، حيث تؤخذ منه أحكام الشريعة ومفاهيم الدين، وسنذكر بعد قليل ما رواه هذا الصحابي الجليل، وما يحمل في طيّاته من عظة وعبرة لنا جميعاً، كما ذكر المؤرخون والد الشهيد في قصص الجهاد والبطولة في ساحات الدفاع عن الإسلام والمسلمين، حيث ضرب مثلاً أعلى في الشجاعة والبسالة، لاسيما في الغزوات الإسلامية أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، والفتوحات التي جرت بعده صلى الله عليه وآله، حيث أشار كل من ترجم لهذا الصحابي إلى أنه ممن شهد جملة من المعارك المهمة، خصوصاً فتح مصر ومعركة ذات الصوراي وغيرها، يقول ابن حجر: كثير بن قليب الصدفي الأعرج، ذكره ابن يونس وقال: شهد فتح مصر[(١)].

والد الشهيد في فتح مصر

ولقد كان للأزد عموماً مشاركات واضحة وأيادٍ بيضاء في هذه الفتوحات، لاسيما والد الشهيد، والدليل على ذلك ما ذكرته الروايات في أسماء الصحابة والتابعين، من الأزد الذين كانوا في هذا الفتح، ومنهم جنادة بن أبي أمية الأزدي، وعبادة بن الصامت، وابن حوالة الأزدي، وأبو فاطمة الأزدي، ومالك بن سلسلة الأزدي، ووالد الشهيد كثير الأزدي وآخرون، بل إن الروايات لتذكر أن هناك أسماء مهمة للغاية في مثل هذه المعارك، أعني فتح مصر، لاسيما معركة بهنسا،

---

(١) الإصابة: ج٥ ح٧٤٨٩، حج ح١٠٣٧٨.

وهي مدينة المنية المشهورة في مصر حالياً، حيث يذكر الواقدي وآخرون أن هناك مجموعة ممن ينتمون إلى بيت النبيﷺ شاركوا في هذه المعارك، مثل الفضل بن العباس، وجعفر بن عقيل وهو أحد شهداء كربلاء من آل عقيل، ومسلم ابن عقيل شهيد الكوفة، وعبد الله بن جعفر[١]، ولكن المؤرخين يذكرون في الوقت نفسه أن قائد هذه المعارك هو عمرو بن العاص، حيث نصّبه عمر بن الخطاب على مصر لفتحها، وأمدَّه بما يحتاجه من الرجال. يقول الطبري وهو يتحدث عن أحداث سنة عشرين وما جرى فيها من المغازي: ففي هذه السنة فتحت مصر في قول ابن إسحاق... أن عمر حين فرغ من الشام كلها كتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر في جنده، فخرج حتى فتح باب أليون في سنة عشرين[٢].

هل كانت هذه الفتوحات شرعية؟

وهنا ينقدح في الذهن سؤال مهم حول هذه الفتوحات التي جرت، فهل كانت فتوحات شرعية؟ وهل جاءت موافقة لمقاييس الدين وأحكام الشريعة؟

وكيف يا ترى قبل هؤلاء الأجلاء من الصحابة والتابعين، ومن لهم سابقة في الجهاد والعلم والمعرفة، بل وحتى القرابة من رسول اللهﷺ، أن ينضووا تحت لواء هذا الرجل الذي أقلَّ ما يمكن أن يقال عنه هو أن النبيﷺ لعنه وقال:

«**اللهم إن عمرو بن العاص هجاني وهو يعلم أني لست بشاعر،**

(١) فتوح الشام: ج١ ص٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص٥١٢.

فاهجه اللهم والعنه عدد ما هجاني(١)!

وإذا ما أردنا أن نوسع دائرة السؤال فنقول: كيف نفسر اشتراك الحسن والحسين(٢) ومالك الأشتر وسلمان وعمار في هذه التفوحات، والتي ربما وطدت أركان الظالمين؟

وإذا كان الجواب هو أنهم تحركوا على أساس حفظ بيضة الإسلام، فلم لم يشترك الإمام أمير المؤمنين في تلك المعارك لحفظ بيضة الإسلام كذلك؟

وقبل أن ندخل في الجواب عن هذا السؤال المهم الذي ربما يختلج في صدر كل مؤمن موال لأهل البيت عليهم السلام، ويودّ لو أنه يجد جواباً شافياً له، يجمع بين ما نعتقده من أن المتقدم على أمير المؤمنين هو غاصب وظالم ولا تجوز معاونته، وبين الواقع الذي ينقله التاريخ لنا من انضواء هؤلاء الأجلاء المشار إليهم تحت ألوية الظالمين.

أود الإشارة إلى أني قد بذلت ليالي طوالاً أفكر في هذه الإجابة، وكلما بانت لي معالم معيّنة أزالتها أخرى بما تحمل في طياتها من متناقضات لا تجتمع مع سابقتها، فقرأت الكثير في هذا المجال، وسألت من العلماء من استطعت أن أجد إليه سبيلاً، ولم أجد شيئاً يمكن أن يشفي غليل السائلين، وهنا ومن هذه النقطة بالذات بدأت أفكر وأقول في نفسي: لم يا ترى لا نجمع بين هذه الأجوبة، فنأخذ منها ما يمكن قبوله، ونضيف إليه ما نعتقده من صلاح هؤلاء الأجلاء وزهدهم وتجردهم وحكمتهم ونظرهم البعيد، فنخرج بإجابة تكون أكثر قدرةً

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي: ج٣ ص٣١٨، استدلال ابن العربي في أحكام القرآن: ج١ ص٧٥.

(٢) حياة الإمام الحسين للقرشي، نقلاً عن الطبري: ١ ص١٧٥؛ الكامل لابن الأثير: ج٣ ص١٠٩.

على فهم الواقع التاريخي، وفي نفس الوقت تنسجم مع ما نحمل من عقيدة في ضلال وانحراف من خرج عن خط الولاية الإلهية، فجاءت الإجابة عبارة عن مجموعة من النقاط وهي:

١ ـ لقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام من حيث المبدأ يؤمنون بأن الفتوحات الإسلامية أمر مهم، وأن نشر الإسلام وتبليغه واجب على كل مسلم ومسلمة، ولكن السؤال الذي يطرح في هذا المجال هو: هل أن المراد من الفتوحات الإسلامية هو نفس تلك الفتوحات؟ وبعبارة أخرى، هل أن الهدف من ورائها هو فتح الأراضي وضمها إلى أرض الإسلام وزيادة عدد المسلمين بالاسم فقط؟ أو أن الهدف الحقيقي يكمن في إيصال مبادئ الإسلام وقيمه الحقيقية إلى الناس، ودعوتهم للإيمان بها والتحرك على أساسها، بحيث يتحول الإنسان تحولاً جذرياً من شخص لا يعرف إلا نفسه، إلى شخص آخر يهتم بأمور المسلمين، بل والناس، ويشعر بآلامهم ومحنهم، سواء كانوا قريبين أم بعيدين عنه، وهذا ما لم يتحقق من خلال الفتوحات الشكلية التي قام بها حكام الجور. وإذا كان هذا هو منطق القرآن الذي يقول:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [١]، ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [٢].

---

(١) الملك: ٢.

(٢) الحجرات: ١٣.

حيث يعتني بالنوع دون الكم، فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام أولى باتباع القرآن لأنهم حملة القرآن، وهم أعرف به من غيرهم.

٢ ـ ولكننا في ذات الوقت لا نقول هذا الكلام على نحو مطلق، فهناك من الحروب والفتوح ما كان مهماً بحد ذاته، بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى، بل كانت كل الظروف والأحوال المحيطة بالإسلام والمسلمين آنذاك تدعو إليها، فكانت أشبه بالحروب الدفاعية التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، وهذه الفتوحات دعا إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام وشاركوا فيها، ودعوا أتباعهم وأشياعهم إليها.

وربما في هذا القسم بالذات دون غيره وردت تلك الروايات من رسول الله صلى الله عليه وآله للتبشير في فتح بعض المناطق دون غيرها، حيث خصت بالاسم، كما وردت نفس هذه الروايات في باب الملاحم والفتن فيما يجري آخر الزمان وقبيل خروج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومنها قول النبي صلى الله عليه وآله: «إنكم ستفتحون مصر...، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً»[1].

إن مشاركة الأئمة عليهم السلام وأتباعهم في أمثال هذه الحروب له مغزى آخر يعود إلى الخوف على الإسلام، من حيث أن القائمين على هذه الحروب والفتوح لو تركوا وشأنهم فستحدث أشياء منكرة كثيرة، فكانت مشاركتهم مشاركة رسالية لا عسكرية، ولذا لا تجد لهم قصصاً واضحة وكبيرة في الشجاعة يشار إليها بالبنان، وإن أبلوا بلاء حسناً، لأنّ الهدف الأساس إنما هو منع الانحراف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ولهذا فإن حرمة العمل تحت راية الظالمين وإعانتهم

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ج١٦ ص٩٧.

تسقط في مثل هذا المورد، من باب تقديم الأهم على المهم.

٤ ـ إن عدم إذن الإمام بالغزو دليل على عدم مشروعيته، مما يترتب عليه عدم حلية التصرف بالغنيمة، كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا غزا قوم بغير إذن فغنموا كانت الغنيمة كلها للإمام عليه السلام وإذا غزوا بإذن الإمام كان للإمام الخمس» [(١)].

والتي يقول عنها المحقق: ومضمون هذه الرواية مشهور عند الأصحاب مع كونها مرسلة، وجهالة بعض رجال سندها[(٢)].

مع روايات والد الشهيد

أولاً: مع موعظة والد الشهيد

لقد منَّ الله على والد الشهيد الكربلائي أن هيّأ له أصحاباً كانوا غاية في الالتزام بتعاليم الشريعة واتباع السنن النبوية، فكانوا مصداقاً لأولئك الذين دعانا الله للاقتداء بهم والسير على نهجهم، ومن هؤلاء الذين تركوا بصمات واضحة على حياة والد الشهيد فضلاً عن الشهيد نفسه، هو الصحابي الجليل أبو فاطمة الأزدي، هذا الرجل الذي كان كثير الأزدي ملازماً له ولا يكاد يبتعد عنه إلا ضمن دائرة الضرورة، فكان ملازماً له ملازمة الظل للشخص، ولم يكن لأبي فاطمة الأزدي أن يعطي كل هذا الأثر لو لا صدقه، فالذي يصاحبه ويماشيه ويجالسه يلمس ويرى صدقه في دينه، فكان العالم العامل بحق، وكان إذا سمع موعظة عمل بها وما كان

(١) التهذيب، حقل الأنفال: ص١٣٣ ح٣٧٣.

(٢) قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج: ص٥٦.

ليأمر إلا بما أتاه هو أولاً ولا ينهى عن شيء إلا وقد نهى نفسه أولاً، فقد عُرف الرجل عند الخاص والعام بكثرة سجوده، وتعفيره لخديه على الأرض، حتى أن ابن حجر ينقل في الإصابة وهو يتحدث عن أبي فاطمة الأزدي قائلاً: وقد اسودت جبهته وركبتاه من كثر السجود[(١)].

وما كل هذا إلا لأنه سمع من النبي رواية نقلها لنا والد الشهيد الكربلائي حول أهمية السجود وفضله ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، حيث ينقل ابن سعد في الطبقات قال: حدثنا بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن الكثير الأعرج (والد الشهيد الكربلائي) عن أبي فاطمة، وهو من أصحاب رسول الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكثروا من بعدي من السجود، فإنه ما أحد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة في الجنة، وحط عنه بها خطيئة» [(٢)].

وهذه الرواية من والد الشهيد الكربلائي، درس لنا جميعاً في أن نعي حقيقة السجود وما يترتب عليه من آثار، بل ربما يكون ذلك مفتاحاً لمعرفة أسرار كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله والتي ينقلها العام والخاص في آخر جمعة من شهر شعبان حينما يقول: «ألا وإن أظهركم مثقلة فخففوا عنها بكثرة السجود» [(٣)]. بل لقد ورد في بعض الروايات أن كثرة السجود تعين الإنسان على دخول الجنة، فقد ورد في الخبر أن قوماً أتوا رسول الله فقالوا: يا رسول الله اضمن لنا على ربك الجنة؟ فقال

---

(١) الإصابة: ج٧ ح١٠٣٧٨ أبو فاطمة الأزدي.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٧ أبو فاطمة الأزدي.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ح٩.

لهم الرسول: «على أن تعينوني بطول السجود»[١].

وفي رواية أخرى وقد سأل أحدهم عن رفقته في الجنة فقال صلى الله عليه وآله: «إذا أردت أن يحشرك الله معي فأطل السجود بين يدي الواحد القهار»[٢].

ولا شك أن المراد من السجود هو أن يقترن بسجود روحي قلبي باطني حقيقي لله سبحانه وتعالى، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «السجود الجسماني، هو وضع عتائق الوجوه على التراب، واستقبال الأرض بالراحتين والكعبين وأطراف القدمين، مع خشوع القلب وإخلاص النية»[٣].

ثانياً: لا يجب الوضوء مما مست النار

ينقل ابن الأثير في أسد الغابة[٤] رواية عن والد الشهيد الكربلائي قائلاً:

«روى ابن وهب، عن حياة بن شريح قال: سألت عقبة بن مسلم، عن الوضوء مما مست النار فقال: إن كُثيراً (والد الشهيد الكربلائي) وكان من أصحاب رسول الله يقول: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فوضع الطعام لنا فأكلنا، ثم أقيمت الصلاة، فصلينا ولم يتوضأ».

هذه الرواية التي أوردها والد الشهيد وأمثالها، وردت في كتب المسلمين، ويبدو من خلال مراجعة كتب الفقه والحديث أن هناك رأيين فقهيين، كل منهما مستند إلى مجموعة من الروايات، رأي يرى الوضوء مما مسته النار، يعني لو أن

---

(١) أمالي الطوسي: ج٢ ص٢٧٧.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٧.

(٣) غرر الحكم: ص٢٢١٠.

(٤) أسد الغابة (حرف الكاف) كثير الأزدي.

إنساناً أكل لحماً مطبوخاً بالنار، لابد له أن يتوضأ بعده، لأن والحال هذه سيكون واحداً من مبطلات الوضوء ونواقضه، ومن هذه الروايات التي استدلوا بها على رأيهم رواية جابر عن النبي، حينما سأله: أتتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: إن شئت[١].

وأما الرأي الآخر، وهو الذي لا يوجب الوضوء من لحم الغنم، ويستدل عليه بروايات، منها نفس الرواية المتقدمة عن جابر؛ لقولهﷺ:

«إن شئت ورواية البراء حينما سأله عن لحوم الغنم أيتوضأ منها؟ قال: لا يتوضأ»[٢].

وهناك من استدل على أن أكل ما مسته النار ناقض للوضوء، إذا كان ما مسته النار لحم الإبل لا مطلق اللحم، وقد ذهب إلى هذا الرأي أحمد بن حنبل، وابن حزم من الظاهرية[٣]، والغريب المضحك في نفس الوقت أن من جملة استدلالات من ذهب إلى هذا الرأي هو قوله: إن النبيﷺ كان يخطب ذات يوم، فخرج من أحدهم ريح، فاستحيا أن يقوم بين الناس وكان قد أكل لحم جزور، فقال رسول الله: من أكل لحم جزور فليتوضأ، فقام جماعة كانوا أكلوا من لحمه فتوضؤوا. وقد رد الألباني هذه القصة، وأنه لا أصل لها[٤]، وهناك من المسلمين من لم ير هذا الرأي، لا في لحم الغنم ولا في لحم الإبل ولا بما مسته النار مطلقاً، فقد ورد في موسوعة الفقه المقارن قوله:

---

(١) صحيح مسلم: ص٣٦٠.

(٢) صحيح أبي داود: ص١٨٤.

(٣) موسوعة الفقه المقارن: ج١ ص٢٠٤.

(٤) الألباني في السلسلة الضعيفة: ج٣ ص٢٦٨.

يرى الحنابلة وابن حزم من الظاهرية، أن الوضوء ينتقض بأكل لحم الجزور، أي الإبل فعلى من أكل منه أن يتوضأ، ويرى الأحناف والمالكية والزيدية والإمامية، والشافعية في المعول عليه عندهم أنه لا ينتقض الوضوء بأكله[(١)].

ومن هنا نعرف أن رواية والد الشهيد جاءت موافقة لرأي الإمامية بالإطلاق الذي تحمله، حيث لم تشر إلى أي لحم كان، مما يدل على أن كل ما مسته النار لا يجب فيه الوضوء.

الشهيد مع أمير المؤمنين

لقد وقف الشهيد الكربلائي موقفاً ثابتاً راسخاً إلى جانب الإمام أمير المؤمنين، في مرحلة تعتدّ من أشد المراحل حراجة، وهي المرحلة التي تسلم فيها أمير المؤمنين الخلافة، حيث انتفض عليه من باع آخرته بدنياه وغرته الحياة الدنيا.

أمّ سلمة وقيمة من ثبت مع علي في الجمل

ولقد أشارت أم سلمة، هذه المرأة العظيمة، إلى هذا الأمر وإفرازاته، وخصوصاً حرب الجمل، كما يروي البغدادي في تاريخه قائلاً:

عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي تذكر علياً، وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«**علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض**

---

(١) موسوعة الفقه المقارن: ج١ ص٢٠٤.

يوم القيامة»[١].

ويبدو أن هذا الأمر من أم سلمة كان في حرب الجمل، لأن نفس أبي ثابت يقول: التفتت إلي أم سلمة وقالت: يا أبا ثابت، أين طار عقلك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً، قالت: وفقت، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله يقول:

«علي مع الحق والقرآن والقرآن والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[٢].

ولا شك أن هذه الكلمات من أم سلمة لتكشف وبشكل واضح عن صعوبة تلك المرحلة وخطورتها، وقيمة من ثبت فيها إلى جانب الحق والقرآن، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد بين أمير المؤمنين هذه المرحلة بطريقته الخاصة، والتي أشار فيها إلى أمر له ألوان متعددة من الفتنة، في قوله:

«دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول»[٣].

ولأجل أهمية هذه المرحلة، بل أهمية حرب الجمل وما جرى فيها، استدل المسلمون جميعاً، سنتهم وشيعتهم، على أحكام البغاة فيها، لأنها كانت الحرب الأولى في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٤]، ويكفي في عظم هذه الحرب أنها أسالت دماء عشرات الآلاف. يقول ابن عبد ربه: قتل يوم الجمل من جيش عائشة

---

(١) تاريخ بغداد: ج١٤، حديث رقم: ٧٦٤٣.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري: ج١ ص٨٢٨.

(٣) نهج البلاغة: خطبة رقم ٨٨ محمد عبدة.

(٤) فيض الغدير: ج٦ ص٤٧٤.

عشرون ألفاً، ومن أصحاب علي خمسمائة[(١)].

ويقول الطبري وهو يتحدث عن هول هذه المعركة وما جرى فيها.

لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت، وتطاعنا بالرماح حتى تشبكت في صدورنا وصدورهم، حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت...، ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدي تطيح عن المعاصم، وأقتاب البطون تندلق من الأجواف، وكانت حصيلة هذه الحرب من الأيدي المقطوعة، والعيون المفقوءة، ما لم يحص عددها» [(٢)].

فإذا عرفت كل هذا، عرفت قيمة من ثبت مع علي عليه السلام، وعرفت ولاءه ومعرفته به، ولقد أبدى شهيدنا الكربلائي شجاعة متميزة في هذه الحرب العظيمة، حتى أصيبت إحدى رجليه في هذه الحرب، فصار بعدها يعرج.

يقول السيد الزنجاني: وقال أحمد بن داود الدينوري في كتابه الأخبار الطوال: أسلم بن كثير، أصيبت أحدى رجليه في حرب الجمل، ورماه عمرو بن ظبة التميمي بسهم على ساقه فجرحه[(٣)].

ويقول السماوي في نفس الخبر، وهو يتحدث عن الشهيد: صحب أمير المؤمنين، وأصيبت رجله في بعض حروبه[(٤)].

ومع كل ما جرى وحصل، خرج الشهيد ثابتاً في إيمانه وولائه لأهل

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٢٢٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢١٨.

(٣) وسيلة الدارين: ص١٠٦.

(٤) إبصار العين: ص١٤٣.

البيت عليهم السلام، لاسيما الإمام أمير المؤمنين، وإذا سألتني عن الدليل، فأقول بأن أعظم دليل قدمه الشهيد هو وقوفه عملياً إلى جانب الحسين عليه السلام في حرب محسومة النتائج، حيث الشهادة لا غير، وهذا لعمري دليل ما بعده دليل، على صدق الولاء وثبات العقيدة ورسوخ الإيمان، في نفس الشهيد الكربلائي، مع الإمام أمير المؤمنين في حرب الجمل وغيرها من الحروب التي خاضها، والتي كان يتمنى في كل واحدة منها الشهادة بين يديه.

لقد كانت الحروب التي خاضها الشهيد، لاسيما الجمل، كونها أول حرب خاضها المسلمون في دائرة الإسلام، الدور الأكبر في وضوح الرؤية.

فرز الأبطال، وبعبارة أخرى أقول: إن من نجح في الثبات في حرب الجمل نجح في غيرها، ومن سقط فيها سقط في غيرها، ولقد كان للشهيد الكربلائي في حرب الجمل دور متميز، أهَّلَه فيما بعد لأن يدخل مدرسة كربلاء، والتي لم يدخل إليها إلا من امتحن الله قلبه ولذا نجد الحسين عليه السلام يصفي أصحابه بين الفينة والأخرى، حتى استقر العدد على ما استقر عليه في كربلاء، وذهب الآخرون:

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾[1].

فمكث في كربلاء الذي ينفع الناس، وذهب الزبد جفاءً، وفي ذلك أعظم الدروس وأبلغ العبر:

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾[2].

---

(١) الرعد: ١٧.

(٢) المصدر نفسه.

الشهيد الكربلائي جريحاً أعرج في حرب الجمل

تقدم فيما سبق، أن الشهيد الكربلائي كان قد سقط جريحاً في معركة الجمل، بعد أن أصيب برجله، والتي صار بعدها أعرج، ويبدو أن عرجه لم يكن بسيطاً حتى أخذ الناس يعرفونه به، وحتى من كتب عنه صار يقرن النسب مع صفة العرج، فيقول: الأزدي الأعرج.

العرج عذر شرعي

وعذر الأعرج في عدم الذهاب إلى الجهاد ورد صريحاً في القرآن الكريم، بل والنص فيه لا يحتمل التأويل، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾[1].

يقول ابن كثير في تفسيره، وهو يتحدث عن الآية الكريمة: «ثم بين الله تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد، ومنه العمى والعرج ونحوهما، ولهذا بدأ به»[2].

يقول الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، في تفسير نفس الآية: وثالثها ـ إن المعنى، ليس على الأعمى والأعرج والمريض، ضيق ولا إثم في ترك الجهاد والتخلف عنه[3].

---

(١) النور الآية: ٦١.

(٢) تفسير ابن كثير: ج٢ ص٣٨١.

(٣) مجمع البيان، تفسير الآية: ٦١ من سورة النور.

فإذا عرفت هذا، واطلعت على آراء المسلمين، بسنتهم وشيعتهم، وثبت لك أن العرج واحد من الأعذار التي يسقط معها التكليف بالجهاد، وهو عذر مقبول عند الله، ولا حرج ولا إثم عليه، كما ذكر سابقاً، علمت عظمة الموقف الذي وقفه الشهيد في كربلاء، حيث كان بإمكانه أن يتخلف عن الجهاد، ويكون تخلفه تخلفاً شرعياً مأذوناً فيه، ولكنه أبى إلا الجهاد والوقوف إلى جانب الحسين عليه السلام، وعدم الأخذ بهذه الرخصة التي ربما تمنعه من الوصول إلى درجات عالية كان يتمنى أن يصل إليها في حروبه وغزواته السابقة، فيكون موقف الشهيد أشبه ما يكون بموقف الصحابي الشهيد عمرو بن الجموح، والذي تنقل كتب التاريخ أنه كان شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسود، يشهدون مع رسول الله المشاهد كلها، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله عذرك عن الجهاد، فأتى رسول الله فقال: إن بني يريدون حبسي عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما أنت فقد عذرك الله تعالى، فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة»، فخرج وهو يقول، مستقبل القبلة: «اللهم لا تردني إلى أهلي خائباً، فقتل شهيداً»[١]. وفي بعض الروايات أنه جاء إلى رسول الله وقال له: يا رسول الله، أرأيت إن أنا قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم»، فخرج إلى القتال فقتل، هو وابن أخيه ومولى لهم، فوضعهم رسول الله في قبر واحد وترحم عليهم[٢].

---

(١) سيرة ابن هشام: ج٢ ص٩٠.

(٢) الإصابة لابن حجر: ح ٥٨٠١.

الشهيد مسلم والشهيد عمرو بن الجموح

وكان الشهيد الكربلائي في توجهه وتفكيره كما كان عليه عمرو بن الجموح، فأبى أن يركب هذا القدر ويفوته بذلك خلود عظيم في قلوب المؤمنين إلى يوم القيامة، فضلاً عن الآخرة ونعيمها، فقرر أن يطأ بعرجته الجنة، ولكنها هذه المرة إلى جانب الحسين عليه السلام، تقول الروايات، إنه وصل إلى الحسين في اليوم الثاني من المحرم، سنة ٦١ هـ[١]، بعد أن وقف إلى جانب مسلم بن عقيل في حركته التي قام بها في الكوفة، وكأني به وقد وصل إليه وهو يعرج، فتلقاه الحسين واستقبله وضمه إلى صدره، وقدر له كل الجهد الذي بذله من أجل الوصول إليه، وهو بهذه الحالة التي يصعب معها السير الطبيعي فضلاً عن الحركة السريعة التي تقتضيها ظروف الكوفة وأحوالها في ذلك الظرف الخاص.

الشهيد في كربلاء

وبدأت الحرب، ووقف مسلم بن كثير مع إخوته في العقيدة والمبدأ والموالاة لأهل البيت عليهم السلام، الرافضين للظلم الأموي السفياني، وقفوا وقفة رجل واحد، لم ترعهم كل تلك الآلاف التي وقفت أمامهم وهم مدججون بالأسلحة وبدأت رشقات السهام من كل تلك الآلاف صوب أنصار الحسين، وهم ثابتون كالجبال لم يتزلزلوا، وأغلب الظن أنهم كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر، شوقاً إلى الحور العين وإلى الجنان ومرافقة النبيين، حيث جاءتهم هذه السهام وكانت رسل القوم إليهم، كما قال الحسين عليه السلام بعد أن رأى أصحابه يتساقطون ما بين شهيد وجريح.

---

(١) الزنجاني في وسيلة الدارين: ص١٠٦.

يقول أسعد وحيد القاسم في كتابه أزمة الخلافة والإمامة: وهكذا فقد كان اشتباك الطرفين في العاشر من المحرم، بعد أن تقدم عمر بن سعد نحو معسكر الحسين، ورمى بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، ثم لحقه في ذلك رجاله، فلم يبق من أصحاب الحسين أحد إلا أصيب من سهامهم، فقال الحسين لأصحابه:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم».

فحملوا حملة واحدة أدت إلى استشهاد العديد منهم[1].

وكان من بين أولئك الذين سقطوا على رمضاء كربلاء، الأعرج الذي أبى إلا الجهاد بين يدي سيد الشهداء، مسلم بن كثير الأزدي فسلام عليك أيها المجاهد الناصر، المحب لله ولرسوله، والمدافع عن حرمات الرسالة ومقدسات الوحي، والسلام عليك سيدي وعلى قدمك العرجاء التي رفعت ذكرك في الذاكرين، حيث أصبت فيها في الجمل، ووقفت بها أمام الحسين مدافعاً، سلام عليك وعلى روحك وبدنك ورحمة الله وبركاته.

(١) كتاب أزمة الخلافة والإمامة، لأسعد وحيد القاسم: ص١٣٥ ـ ١٣٦.

الشهيد أبو رزين عليه السلام

(شهيد الحركة الحسينية الأول)

بين يدي الشهيد

إن مما لا شك فيه ولا ريب، أنّ من سقطوا أمام الحسين يوم العاشر من المحرّم أو قبل ذلك في الكوفة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، أو حتى في البصرة، لم يكونوا مجرّد شهداء سقطوا مضرجين بدمائهم في سبيل إعلاء دين الله سبحانه وتعالى (وإن كان هذا الأمر عظيماً في حدِّ ذاته)، إنما كان كل واحد منهم في الوقت نفسه يحمل في نفسه الشريفة وعقله النيّر وقلبه الإيماني، مشروعاً إسلامياً متكاملاً في كل الأبعاد والاتجاهات ألا وهو مشروع الحسين عليه السلام الذي حمله لهذه الأمة المنكوبة والتي ترزح تحت نير الظلم والجور من قبل حكام بني أمية ومن والاهم. ومن هنا نجد أن في شهداء كربلاء من كان مفسراً للقرآن ومن شيوخ الإقراء في مسجد الكوفة، وهناك الفقيه العارف وهناك الحامل للحديث

والراوي له، فضلاً عن التقوى والأخلاق ومجمع الكمالات والفضائل التي تحلّوا بها. ولقد أشار الإمام الصادقعليه السلام إلى بعض جوانب العظمة فيهم بقوله في زيارته لهم:

«السلام على الأرواح المنيخة بقبر أبي عبد الله الحسينعليه السلام السلام عليكم يا طاهرين من الدنس. السلام عليكم يا مهديون، السلام عليكم يا أبرار الله السلام عليكم وعلى الملائكة الحافين بقبوركم أجمعين، جمعنا الله وإيّاكم في مستقر رحمته وتحت عرشه إنّه أرحم الراحمين»[1]. ولا ريب أن من جملة هؤلاء الشهداء الذي شُملوا بهذا الفضل العظيم والذكر الكريم هو الشهيد أبو رُزين، الذي كان أول المضحين والفدائيين في حركة الحسينعليه السلام، كما سيأتي بيانه بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

الاختلاف في اسم الشهيد وأسم ابيه وفي مولاه

ربما يكون الاختلاف الشديد الوارد في اسم هذا الشهيد الكربلائي واسم ابيه وحتى كنيته ومولاه، هو واحداً من جملة الأمور المميزّة له «عن غيره من الشهداء، فلم أجد بحسب تتبعي من كان في شهداء الطف أو من يلحق بهم ممن سقط في الكوفة أو البصرة من ورد فيه مثل هذا الاختلاف الشديد، وحتى يكون القارئ على علم واطلاع بما كتب ويكتب عن هذا الشهيد الكربلائي سوف أضع بين يديك ما كتبه العلماء في هذا المجال:

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة الحسين في النصف من رجب: ص٦٤٨.

الاختلاف في اسم الشهيد

١ـ إن اسم الشهيد هو «أسلم أو سليم» كما أشار إلى ذلك الشيخ الطوسي في رجاله بقوله: «سليم مولى الحسينعليه السلام، قتل معه»[1] والشيخ شمس الدين بقوله: «أسلم ... مولى الحسينعليه السلام» ثم يرجِّح الشيخ شمس الدين رحمه الله أن أسلم غير سليمان وان كان كلٌّ منهما مولى للحسين وان كلاً منهما نال الشهادة أيضاً إلا ان الأول نالها بين يدي الحسين والثاني نالها بعيداً عنه في البصرة، يقول: «نرجِّحُ ان الذي قتل في كربلاء اسمه أسلم وليس سُليمان أو سُليماً. ذكره الشيخ في الرِّجال، ولم ينص على مقتله. وذكره السيد الأمين في أعيان الشيعة في جدوله، وفي المقتل قال: ″ وخرج غلام تركي كان للحسين اسمه أسلم″ وذكر سيّدنا الاستاذ في معجم رجال الحديث، ومن المؤكد أن هذا هو مراد الذين عبروا بـ ″ثمّ خرج غلام تركي كان للحسين″ دون أن يذكروا اسمه. وأمّا سُليمان فقد كان مولى للحسين أيضاً. وكان رسولاً إلى أهل البصرة...»[2].

سليمان مولى الحسين ليس أسماً شاذاً

تحدث الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه القيّم أنصار الحسينعليه السلام، حول ورود الاسماء الشاذة في الزيارة الرجبية لاسيما اسم (سليمان) الذي ورد في هذه الزيارة خمس مرات مع أنه لم يكن اسماً عربياً شائعاً في تلك الحقبة ومن ثمّ تكون مثل هذه الظاهرة سبباً من أسباب التشكيك في دقة مؤلف

---

(١) رجال الشيخ الطوسي: ص٧٤.

(٢) أنصار الحسين للشيخ شمس الدين: ص٨١/ مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

هذه الزيارة أو دقة مصادره التي أخذ منها، ولكنه في نفس الوقت لا ينفي وجود أسماءٍ قليلة يمكن أن يتسمى بها كسليمان مولى الحسين عليه السلام الذي ورد لمرة واحدة في الزيارة الناحية والذي يتناسب مع الحالة الثقافية السائدة آنذاك، يقول الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى: «فإن هذا الاسم «سليمان» لم يكن شائعاً بين المسلمين العرب بين رجال النصف الأول من القرن الأول الهجري ويمكن التأكد من ذلك بملاحظة فهارس أعلام تاريخ الطبري مثلاً، واستقراء هذا الاسم في الرِّجال الذين ذكرهم رواة الطبري في أحداث الفترة التي نبحث عنها، وسنجد حينئذ أن هذا الاسم محدود الانتشار جداً، وكذلك الحال بالنسبة إلى كتاب صفين لنصر بن مزاحم الذي اشتمل فهرست كتابه على تسعة رجال بهذا الاسم ليس فيهم أربعة رجال معاصرين للحقبة التأريخية التي وقعت فيها ثورة كربلاء. وسبب ذلك أن الاسماء تتصل بالتكوين الثقافي والوضع الحضاري للأمة وهي من السمات الثقافية التي لا تتغير بسرعة، بل تتغير ببطء شديد، والتغيّر يتم نتيجة لتغير المفاهيم الثقافية عند الامة، هذه المفاهيم التي تحمل الأمة على ان تستجيب في عاداتها وتقاليدها وأسمائها ومئات من مظاهر حياتها البسيطة والمعقدة.

وقد واجه العرب هذا التغيير الثقافي الشامل حين دخلوا في الإسلام وكان من جملة عناصر العالم الثقافي الجديد الذي دخلوا في اسماء جديدة وردت في القرآن الكريم، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله تتناسب مع الفكرة العامة للمعتقد الإسلامي أو تتصل بالتأريخ القديم للإسلام في الصيغ السابقة على هذه الصيغة الخاتمة التي أرسل بها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله، وقد كان هذا اللون الثاني من

الاسماء الإسلامية موجوداً في الصيغ الشائعة للتوراة والانجيل، ولكن لم يكن للعرب كما نعلم صلة بهذين الكتابين على نحو تكون لهم مفاهيم ثقافية تختلف عن مفاهيمهم الثقافية في العهد الجاهلي، ولذا دخلوا في عالم الإسلام الثقافي وهم يحملون اسماءً جاهلية وقد سَمّوا ابناءهم بأسماء جاهلية، اللهم إلا الجيل الذي ولد بعد الإسلام من آباء عاشوا في مراكز الإسلام الكبرى في المدينة وغيرها فقد حمل القليل من أفراده أسماءً تتصل بالاساس العقيدي للإسلام (عبد الله، عُبيد الله، عبد الرحمن) وبقي أكثر أفراد هذا الجيل يحملون أسماءً جاهلية أو تتصل بالجاهلية بشكل أو بآخر»[1].

ويستمر الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى في بحثه القيم الذي سلطنا على جانب منه إلى النتيجة التالية: «وعلى ضوء ما تقدم: إذا أخذنا في الاعتبار أنّه في سنة ستين للهجرة كان جمهور المسلمين العرب يتكون من الجيل الثاني في الإسلام مع بقايا من الجيل الأول يتضح لنا أنه لم تكن قد سنحت الفرصة أمام الأسماء الجديدة لتنتشر وتحل محل الأسماء القديمة، على الخصوص الاسماء ذات المنشأ غير العربي كما هو الشأن بالنسبة إلى (سليمان) وعلى العكس من المسلمين العرب فإن هذا النوع من الاسماء كان شائعاً إلى حدٍّ ما بين المسلمين غير العرب (الموالي) والمتأثرين منهم بالثقافة اليونانية أو المنتمين إلى العالم اليوناني البيزنطي بشكل خاص، وذلك لان الاسماء التي وردت في القرآن الكريم والسنة كانت مألوفة لديهم في عالمهم الثقافي القديم، وقد اشتملت الزيارة

---

(١) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

المنسوبة إلى الناحية على اسم (سليمان) مرة واحدة ولكنه ورد فيها اسم لأحد الموالي وهو (سليمان مولى الحسين) وبهذا تكون الزيارة المنسوبة إلى الناحية متوافقة من هذه الجهة مع الظاهرة الثقافية الاسمية السائدة في تلك الفترة المبحوث عنها، ويكون اسم سليمان مولى الحسين فيها متوافقاً مع طبيعة الاشياء، وليس اسماً شاذاً كما هو الشأن في (سليمان) الذي ورد اسماً لخمسة أشخاص يفترض أنهم من العرب في الزيارة الرجبية، ونلاحظ هنا بهذه المناسبة ان الزيارة الرجبية لم تشتمل على اسم (سليمان مولى الحسين) »[1].

٢ـ ان اسم الشهيد هو «سليمان» كما ذهب إلى ذلك جُلّ المؤرخين ومن تحدث عن الشهيد (رض) يقول الطبري وهو يتحدث عن ارسال الحسين للشهيد إلى البصرة وتسليم ابن الجارود له لابن زياد: «فلما قرأ الكتاب قدّم الرسولُ سليمان وضرب عنقه وصعد المنبر...»[2].

٣ـ أن اسم الشهيد هو «ذراع (زراع) السدوسي»، كما يذهب إلى ذلك ابن نما في مثير الاحزان والبحراني في العوالم والمجلسي في البحار عنهما. ومما جاء في هذا الرأي: «وكتب عليه السلام إلى وجوه البصرة منهم: الاحنف بن قيس، وقيس بن الهيثم، والمنذر بن الجارود، ويزيد بن مسعود النهشلي، وبعث الكتاب مع زراع «ذراع» السدوسي وقيل مع سليمان المكنى بأبي زرين فيه «إني أدعوكم إلى الله وإلى نبيه، فإن السنة قد اميتت فإن تجيبوا دعوتي وتطيعوا أمري اهدكم

---

(١) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٣ ص ٢٨٠، العلاّمة المامقاني في تنقيح المقال: ج٢ ص٥، مقتل أبي مخنف: ١٠٤ والمحقق السماوي إبصار العين: ص٩٤ وآخرون.

سبيل الرشاد»[(١)].

٤ـ أن اسم الشهيد هو «مسعود»، كما يمكن ان يفهم ذلك من حديثٍ لابن حجر وهو يتحدث عنه ذلك الشخص الذي قتله عبيد الله بن زياد في سنة ٦٠ للهجرة، والذي كانت طريقة قتله وكيفيتها تتشابه بشكل كبير جداً مع طريقة شهادة رسول الحسين إلى البصرة سليمان (رض). حيث ضربت عنقه ورمي برأسه وجسده من على منارة المسجد الجامع، وهذا ما لم يجر ويحصل إلا لرسول الحسين عليه السلام لاسيما في تلك الحقبة التي سبقت خروج ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، يقول ابن حجر وهو يترجم له: «أبو رزين، مسعود بن مالك الاسدي مولاهم وقيل مولى علي اسمه عبيد نزل الكوفة، وروى عن ابن أُمّ مكتوم، وعلي ابن أبي طالب وأبي موسى الاشعري، وأبي هريرة وغيرهم. وعنه ابنه عبد الله، واسماعيل بن أبي خالد، وعطاء بن السائب والاعمش ومنصور بن أبي عائشة ومغيرة بن مقسم وآخرين. قال أبو حاتم: يقال إنه شهد صفين مع علي وذكره البخاري في الطهارة من صحيحه تعليقاً على فعله. وأسند له في الادب المفرد، وأخرج له مسلم والاربعة من روايته عن الصحابة، وذكره ابن شاهين في الصحابة، وتعقبه أبو موسى وقال لا صحبة له ولا إدراك. ثم ساق الحديث ان طريق عاصم ابن ابي وائل، قال: ألا تعجب من أبي رزين قد هرم، وإنما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل. وقال غيره كان أكبر من أبي وائل وكان عالماً فهماً كذا وقع بخط المزي في التهذيب، وتعقبه مغلطاً بأن قوله فهماً بالفاء غلط وإنما هو بالباء

---

(١) مثير الاحزان لابن نما: ص١٢، العوالم (عوالم الإمام الحسين) للبحراني: ج١٧ ص١٨٩، المجلسي في البحار: ج٤٤/ ص٣٤٠.

المكسورة. كذا ذكره البخاري في التاريخ عن يحيى القطان عن أبي بكر. قال: كان أبو رُزين أكبر من أبي وائل. قال يحيى وكان عالماً فهماً. ووثقه أبو زرعة والعجلي وغيرهما قلت له رواية عن معاذ بن جبل وهي مرسلة، وانكر أبو الحسن ابن القطان ان يكون أدرك ابن أُمّ مكتوم، وقال شعبة في ما حكاه ابن أبي حاتم عنه في المراسيل، لم يسمع من ابن مسعود، قيل قتله عبيد الله بن زياد بعد سنة ستين...»[1].

ويقول المزي وهو يتحدث عن نفس الرجل وطريقة قتله: «مسعود بن مالك، أبو رزين الاسدي، اسد بن خزيمة، مولى أبي وائل الاسدي الكوفي، روى عن: رزين جبيش الاسدي، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب وعمرو بن أُمّ مكتوم الاعمى والفضيل بن عزوان ومصرع أبي يحيى ومعاذ ابن جبل وأبي موسى الاشعري وأبي هريرة. روى عنه: إسماعيل بن أبي خالد واسماعيل بن سميع والزبير بن عدي وسليمان الاعمش وعاصم بن أبي النجود وابنه عبد الله بن أبي رزين الاسدي وعبيد بن مهران المكتب وعطاء بن السائب وعلقمة بن مرشد وغالب أبو الهذيل ومغيرة بن مقسم الظبي ومنصور بن المعتمر وموسى بن أبي عائشة وأبو صفية شيخ لعبد العزيز بن صهيب. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم وسئل أبو زرعة عن أبي رزين، فقال: اسمه مسعود كوفي ثقة، وقال أبو حاتم: يقال: شهد صفين مع علي. وقال غيره: كان أكبر من أبي وائل وكان عالماً فهماً. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: قال لي أبو وائل: ألا تعجب من أبي

(١) الاصابة لابن حجر: ج٧ ص٢٦١.

رزين قد هرم وإنّما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل. وذكر ابن حبان في كتاب الثقات، وقال أبو بكر بن أبي داود: أبو رزين الاسدي يقال اسمه عبيد ضربت عنقه بالبصرة على منارة مسجد الجامع ورمي برأسه. روى عن علي، يقال انه مولى علي، وأبو رزين آخر أسدي روى عن سعيد بن جبير اسمه مسعود بن مالك وذكر عبد العزيز بن صهيب عن أبي صفية ان أبا رزين قتله عبيد الله بن زياد)[١]، وقد ذكر كلاً من هذين النصين المتقدمين زهير بن علي الحكيم في كتابه: «مقتل أبي عبد الله الحسين من موروث أهل الخلاف»[٢]. وهو يتحدث عن جرائم عبيد الله بن زياد وما صنعه في هذه الأمة.

٥ـ أن اسم الشهيد هو عبيد، وهذا ما يمكن ان يتلمسه القارئ فيما يلي من النصوص، فقد ذكر المزي في تهذيب الكمال: «قال أبو بكر بن داود: أبو رزين الاسدي يقال: اسمه عبيد ضربت عنقه بالبصرة على منارة مسجد الجامع ورمي برأسه »[٣]، ويقول ابن حجر في تهذيب التهذيب: «مسعود بن مالك أبو رزين الاسدي، اسد خزيمة مولى أبي وائل الاسدي الكوفي، روى عن معاذ بن جبل وابن مسعود وعمرو بن أُمّ كلثوم[٤] وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الاشعري وأبي هريرة وابن عباس ومصدع بن يحيى والفضل بن بندار وغيرهم. وعنه ابنه عبد الله واسماعيل بن أبي خالد وعاصم بن أبي النجود وعطاء بن السائب

(١) تهذيب الكمال للمزي: ج٢٧ ص٤٧٧ ـ ٤٨٠.

(٢) مقتل أبي عبد الله الحسين لزهير بن علي الحكيم: ج٢ ص٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٣) تهذيب الكمال للمزي: ج٢٧ ص٤٧٧.

(٤) المراد به كما هو واضح عمرو ابن ام مكتوم.

والاعمش ومنصور وموسى بن أبي عائشة واسماعيل بن سميع ومغيرة بن مقسم والزبير بن عدي وعلقمة بن مرثد وغيرهم. قال ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عن أبي رزين فقال اسمه مسعود كوفي ثقة.

وقال أبو حاتم: شهد صفين مع علي وقال يحيى كان اكبر من أبي وائل وكان عالماً فهماً. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم قال لي أبو وائل ألا تعجب من أبي رزين قد هرم وإنما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل، وقع ذكره في البخاري في الحيض من صحيحه وذكره ابن حبان في الثقات وذكر عبد العزيز بن صهيب عن أبي صفية "المراد به هو أبو حمزة الثمالي" ان ابن زياد قتل أبا رزين وقال أبو بكر بن أبي داود: أبو رزين الاسدي وقال اسمه عبيد ضربت عنقه في البصرة، روى عن علي ويقال انه مولاه وابو رزين آخر أسدي، روى عن سعيد بن جبير اسمه مسعود بن مالك، واما الحاكم أبو احمد في الكنى فقد جعلهما واحداً اسمه مسعود بن مالك وذلك وهم.

قلت بالغ البرقاني فيما حكاه عن الخطيب عنه في الردّ على من زعم أنهما واحد وسبب الاشتباه مع اتفاقهما في الاسم واسم الاب والنسبة والقبيلة والبلد أن الأعمش روى عن كل منهما. فتلخص أن أبا رزين مختلف في اسمه، والاصح انه مسعود بن مالك ومختلف في ولائه أيضاً، وأمّا الرواي عن سعيد بن جبير فهو أصغر منه بكثير، ولكنه شاركه في الاصح في اسمه والله تعالى أعلم. ولكن الذي ظهر لي أن أبا رزين المسمى بمسعود بن مالك آخر تأخر إلى حدود التسعين من الهجرة والله أعلم وقد أرخ ابن قانع وفاته سنة خمس وثمانين وقال خليفة بن

خياط: مات بعد الجماجم[1]»[2]، وهناك نص آخر لابن حجر في تقريب التهذيب يشير فيه بشكل واضح إلى أن المقتول هو عبيد وليس مسعود المتقدم في نص الاصابة: «مسعود ابن مالك الاسدي الكوفي، مقبول من السادسة، مسعود بن مالك أبو رزين الاسدي الكوفي ثقة فاضل من الثانية مات سنة خمس وثمانين وهو غير أبي رزين عبيد الذي قتله عبيد الله بن زياد بالبصرة ووهم من خلطهما»[3].

الاختلاف في اسم والد الشهيد

حيث ذهب بعضهم إلى أنه "رزين" كما يشير إلى ذلك السماوي في إبصار العين بقوله «سليمان بن رزين مولى الحسين بن علي بن أبي طالب»[4]، بينما يذهب آخرون إلى أن أبا رزين هي كنية أبيه وعليه يكون اسم الشهيد (سليمان ابن أبي رزين).

إشارة إلى من يهمه الأمر: وبمناسبة الاختلاف في اسم والد الشهيد والكنية التي اختلف فيها انها للشهيد الكربلائي أُمّ لوالده، أود أن أشير ولو على نحو الاجمال إلى مسألة مهمة في هذا المجال وهي: أن الكنية قد تستخدم أحياناً للإيهام على الخصم أو العدو خصوصاً إذا كانت الظروف التي يمرّ بها الفرد تقتضي لوناً من الوان التقية، وقد استعملت نفس هذه الكنى للتمويه على الخلافة

---

(١) المراد بها معركة دير الجماجم التي وقعت بين ما كان يعرف بالقرار والفقهاء في الكوفة بقيادة ابن الاشعث والحجاج بن أبي يوسف الثقفي سنة ٨٣ هـ

(٢) تهذيب التهذيب البن حجر: ج١٠ ص١٠.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر: ج٢ ص١٦٧.

(٤) إبصار العين للسماوي: ص٩٤.

لاسيما في زمن بني أمية ومن جاء بعدهم فيما إذا كان النقل عن الامام علي بن أبي طالب حيث تم الاتفاق على استعمال كنية (أبي زينب) [١] لدفع ضرر الملاحقة من قبل السلطات الظالمة آنذاك، وهذا أمر يمكن ان يكون الواقع الذي نعيش فيه شاهداً عليه حيث نجد أن الاشخاص الذين يعيشون حالة المعارضة أو المواجهة مع الأنظمة الطاغوتية تستعمل في الأعم الاغلب مثل هذه الكنى للتمويه عليها ولهذا قد يكون مثل هذا الامر جرى مع رسول الامام الحسينعليه السلام إلى البصرة، حيث تم التمويه عليه باستعمال مثل هذه الكنية لاسيما وهو نازل على مصر المتولي عليه هو عبيد الله بن زياد الذي عرف بعدائه السافر لكل ما يمت لأهل البيت بصلة، وخصوصاً إذا علمنا ان العرب قد تستعمل الكنى للتستر والمواراة يقول ابن منظور: «وفي حديث بعضهم: رأيت علجاً يوم القادسية وقد تكنى وتحجى أي تستر، من كنى عنه إذا ورى»[٢].

يقول السيد محمد رضا الحسيني في بحثه حول حقيقة الكنى وميزاتها: « (قال ابن الأثير بلغني أن سبب الكنى في العرب كان: أن ملكاً من ملوكهم الأول ولد له ولد توسّم فيه أمارات النجابة فشغف به فلما نشأ وترعرع وصلح لأن يؤدّب أدب الملوك أحبّ أن يفرد له موضعاً بعيداً من العمارة يكون فيه مقيماً يتخلق أخلاق مؤدبيه ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه، فبنى له في البرية منزلاً ونقله إليه، ورتّب له من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية وأقام له ما يحتاج من أمر دنياه

(١) قواعد الحديث للسيد محي الدين الموسوي الغريفي/ ص١٣٣/ مطبعة الأداب / النجف.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج١٣ ص١٢٤.

ثم أضاف إليه من هو من أقرانه وأقرابه من أولاد بني عمه ليواسوه ويتأدبوا بآدابه بموافقتهم له عليه، وكان الملك على رأس كل سنة يمضي إلى ولده ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولد ليبصروا أولادهم، فكانوا معه إذا وصلوا اليهم سأل ابن الملك عن اولئك الذي جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم فيقال له ″ هذا أبو فلان وهذا أبو فلان″ يعنون آباء الصبيان فكان يعرفهم بأضافتهم إلى أبنائهم فمن هنالك ظهرت الكنى في العرب ثم انتشرت حتى صاروا يكنون كل إنسانٍ باسم ابنه) واحتمل الاخ الفاضل السيد حيدر شرف الدين أبو رضا: أنّ يكون اصل استعمال الكنية عند العرب لإخفاء أسمائهم لأنهم كانوا أمة قبليّة تعيش حالات الحروب والغارات، فربّما اتخذوا الكنى في بداياتها ليخفوا وراءها شخصياتهم المعروفة عادة بالاسماء ثم تبلورت إلى أداة معبرة عن الاشخاص وتميزت بخصوصيات أخرى. ويؤيد هذا الاحتمال ان اللغويين فسروا الكنية بالستر»[١].

وعلى كل حال فالمسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة ولكنها مجرّد أشارة إلى من يهمه الأمر.

اختلاف الشهيد في ولائه

الذي يرجع إلى المصادر التي تحدثت عن الشهيد (رض) يجد أن هناك انقساماً واضحاً في ولائه (رض)، فقد مال صاحب منتهى المقال أنه مولى الحسن دون الحسين عليه السلام بقوله:

---

(١)بحث في الكنية، حقيقتها وميزاتها وأثرها في الحضارة والعلوم الإسلامية للسيد محمد رضا الحسيني/ مجلة تراثنا العدد ١٧ / ص٩ ـ ١٠.

«سليمان مولى الحسين قتل معه "سين" وفي نسخة مولى الحسن وفي رجال ابن داود اعتمد الاول انتهى. أقول وكذا... ولكن في نسختين عندي من رجال الشيخ مولى الحسن ولعله الصحيح ولو كان مولى الحسين لقال: مولاه كما في نظائره»[١].

إضافة إلى أن سلام الإمام المهدي كان على سليمان مولى الحسن دون الحسين عليه السلام كما يشير إلى ذلك المشهدي في مزاره [٢]. وقد ذكره ابن حبّان في الثقات مولى للحسن بقوله:

«وقتل في ذلك اليوم سليمان مولى الحسن»[٣] وآخرون.

بينما مال آخرون إلى أنه مولى الحسين عليه السلام وهم الأكثر على ما أعلم منهم الشيخ الطوسي في رجاله[٤] والقندوزي في ينابيع المودة[٥] والمامقاني في تنقيح المقال[٦] وآخرين. نعم وقع هناك اضطراب عندهم في مكان قتله وكيفيته، حيث ذكر البعض، كالقندوزي في ينابيع المودة أنه قتل معه مبارزة يوم عاشوراء وكذلك ابن حبان في الثقات وآخرين، بينما ذهب الأكثر إلى أن مكان قتله كان في البصرة وعلى يد سليمان بن عوف الحضرمي على ما هو المشهور.

---

(١) منتهى المقال: ج٣ ص٤٠٢.

(٢) انظر المزار للمشهدي: ج١ ص٤٥١.

(٣) الثقات لابن حبّان: ج٣ ص٣١٠.

(٤) رجال الشيخ الطوسي: ج٤ ص١٨.

(٥) ينابيع المودة للقندوزي: ج٣ ص٧٦.

(٦) تنقيح المقال: ج٢ ص٥.

وعلى ما ذكره هؤلاء الأعلام نكون أمام احتمالين أساسين في المقام وهما:

الاحتمال الأول

ان نفترض وجود شخصين كلٌ منهما اسمه «سليمان» احدهما مولى للحسن قتل مع الحسين عليه السلام في كربلاء، والآخر مولى للحسين عليه السلام قتل في البصرة كما تقدم، وربما يكون ما يذكره القندوزي في ينابيعه وابن حبان في ثقاته وغيرهما من شهادة سليمان مولى الحسن مع الحسين مبارزة يوم عاشوراء وكذلك ما ذكره الآخرون من شهادة سليمان مولى الحسين في البصرة شاهداً مهماً على هذا الاحتمال.

الاحتمال الثاني

أن نفترض ان كلاً من الاسمين إنما يشيران في الواقع إلى شخصية واحدة لاغير، غاية ما في الأمر أنه كان يطلق عليه مولى للحسن أيام الحسن، وبعد شهادته عليه السلام صار مولى للحسين لاسيما إذا علمنا أن الشهيد «سليمان» كانت أُمّه «كبشة» خادمة في بيت أُمّ أسحاق بنت طلحة التيمي التي كانت زوجة للإمام الحسن عليه السلام كما يشير إلى ذلك عبد العزيز الطبطبائي رحمه الله في تحقيقه لكتاب ترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد، ثم بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام تزوجها الإمام الحسين عليه السلام فلربما لأجل ذلك اشتبه على الرواة والمؤرخين أمره فنسبه بعضهم إلى الحسن والآخرون إلى الحسين وهو في كلتا هاتين النسبتين صحيح. وعليه فمن رأى شهادته مع الإمام الحسين في كربلاء

فلأجل أنه يقطع بخروجه مع الإمام من المدينة في ركبه المبارك، ومن رأى شهادته في البصرة فلأجل أنه يقطع بارسال الإمام له في مكة إلى أهل البصرة وشهادته على يد عبيد الله بن زياد.

والدة الشهيد الكربلائي

تقدم قبل قليل أن والدة الشهيد، سليمان «هي كبشة» التي اشتراها الإمام الحسين عليه السلام بألف درهم[١]، وكانت في بيت أُمّ اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّة زوجة الحسين عليه السلام. وقد عرفت هذه المرأة بالعفة والصلاح والفضل والفلاح وأنها من ربات البر والاحسان والمتشرفات بالعشق والولاء للدين ولشريعة سيد المرسلين لاسيما أهل بيته الطيبين الطاهرين، حيث لم تكتف هذه المرأة بتقديم فلذة كبدها وعزيز قلبها «سليمان» فداءً لهذا الدين وحباً لأَبي عبد الله الحسين عليه السلام، حتى شاركت بنات الرسالة ومخدرات الوحي بكل ما ألمّ ونزل بهنّ من المصائب والمصاعب والأحزان والرزايا وهي صابرة محتسبة ذلك كله في سبيل الله سبحانه وتعالى، ولئن كانت بعض نساء الأنصار قد فارقن الحوراء زينب في الكوفة حينما أقبلت القبائل تأخذ من الخربة (اللاتي نزلن بها) مَنْ لها فيها أمرأة مخدّرة كما ينقل لنا التأريخ ذلك، فإن هذه المرأة قد تحملت المحن والأحزان من كربلاء مروراً بالكوفة وانتهاءً بالشام ثم رجوعاً الى العراق وانتهاءً

(١) أو أن يكون الإمام الحسن هو الذي اشتراها في حياته وعاشت في بيت زوجته ام اسحاق قبل انتقالها إلى الإمام الحسين عليه السلام على اختلاف الروايات ثم بعد ذلك تزوجها والد الشهيد الكربلائي (رزين أو أبو رزين) على ما تقدم.

بالمدينة حيث بيتها الذي عاشت وتزوجت وانجبت فيه.

ورحم الله الشاعر حيث يقول:

قُمْ حَيِّ هذي النيِّرات حَيِّ الحسانَ الخيراتِ — واخَفَضْ جَبينك هَيَبةً للخُدّر المتُخفّراتِ

زينُ المقاصرَ والحِجَال وزينِ محرابِ الصلاةِ — هذا مقامُ الامهاتِ فَهَلْ قَدّرتَ الأمهاتِ

للصالحاتِ عقائلُ الوادي هوىً في الصالحاتِ — اللّهُ أنبتهنَّ في طاعاتهِ خيرَ النباتِ

فأتينَ أطيبَ ما أتى زهرُ المناقبِ والصفاتِ [1]

الشهيد سليمان سفير الحسين إلى البصرة

كما أرسل الحسين عليه السلام رسوله وسفيره إلى الكوفة مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد أرسل الحسين عليه السلام الشهيد سليمان إلى البصرة، وحتى نعي حركة هذا الشهيد ومهمته التي قام بها، علينا أن نسلط الأضواء على جملة من النقاط:

النقطة الأولى: معنى السفير والسفارة: يقول صاحب البصائر والذخائر: «السفارة: المشي في الصلح، وكأنها ما غمر الحال بين المتنابذين المتباينين... يقول الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي — ولا أمشي بغشٍ ما مشيتُ

وما للملك في الدنيا بقاءٌ — وكيف بقاءُ ملكٍ فيه موتُ [2]

والسفير: «هومن يحمل شيئاً ممن يرسله إلى المرسل إليه ومنه قوله: "بأيدي

---

(١)أبيات من الشعر لأحمد شوقي: الشوقيات (٨٥ / ١ ـ ٨٧) تقديم حسين هيكل، دار الكتب العلمية / بيروت.

(٢) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي: ج١/ ٩٦.

سفرة" [١]، أي كتبة من الملائكة» [٢].

ويقول القرطبي في تفسيره: «والسفير: الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء» [٣].

رسول واحد أمّ رسولان إلى البصرة

المشهور بين المؤرخين أن الحسين عليه السلام أرسل رسالة واحدة إلى رؤساء الاخماس في البصرة مع مولاه سليمان وقد رتب المحققون على ذلك أن كل من كتب إليهم الإمام كانوا من رؤوس الأخماس، يقول الشيخ محمد السماوي وهو يتحدث عن جواب يزيد بن سعود النهشلي للحسين عليه السلام: «أقول إن الذي ذكره أهل السير أن الحسين عليه السلام كتب إلى مسعود بن عمرو الازدي، وهذا الخبر - يعني جواب يزيد النهشلي للحسين - يقتضي أنه كتب إلى يزيد بن مسعود التميمي النهشلي، ولم أعرفه فلعله كان من أشراف تميم بعد الاحنف» [٤].

بينما يذهب آخرون إلى ان الإمام الحسين عليه السلام كان قد كتب كتاباً ووجهه إلى أكثر من جهة في البصرة، فقد ذكر الطبري في تاريخه بشكل واضح وصريح أن الحسين عليه السلام أرسل نسخاً من كتابه إلى أشراف أهل البصرة - وهي جهة

---

(١) عبس: ١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٨ ص٣٠٢ نقلاً عن البيضاوي

(٣) تفسير القرطبي: ج١٩ ص١٨٧.

(٤) كيف يمكن أن نقبل ان يزيد النهشلي كان من رؤوس الاخماس لاسيما على تميم بعد الاحنف ابن قيس والاحنف نفسه زعيم هذه القبيلة مخاطب بهذه الرسالة وموجود مع يزيد النهشلي في نفس الاجتماع وسيأتي مزيد توضيح بعد ذلك.

وعنوان مستقل بشكل كامل عن رؤوساء الاخماس ـ يقول الطبري: «وكتب بنسخة إلى رؤوس الاخماس وإلى الاشراف»[١]، وربما مثل هذا المعنى هو الذي يفسر لنا سر اختلاف لسان الكتاب الذي وجهه الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة في بعض الروايات.

فقد ورد عن الطبري قوله: «قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي قال: كتب الحسين مع مولى لهم يقال له سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الاخماس وإلى الاشراف، إلى مالك بن مسمع البكري وإلى الاحنف ابن قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر. فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها:" أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوّته واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحيينا العافية ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحق المستحقّ علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحرّوا الحقّ، فرحمهم الله وغفر لنا ولهم[٢]، وقد بعثت رسولي إليكم، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإنّ السنّة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، وإن تسملوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٨٠.

(٢) لا يشك أحد في أن هذه العبارة مدخولة من قبل بعض المؤرخين على أصل متن الرسالة، فلم ترد كلمة مدح على لسان واحد من أئمة أهل ابيت لأحد منهم ناهيك بأن الإمام علياً لم يبايع إلا كرها واضطراراً وكما يقول الحسين عليه السلام منعاً للفتنة وللفرقة.

ورحمة الله وبركاته»[(١)].

وقد نقل الدينوري في الأخبار والطوال وغيره نصاً آخر هو: «سلام عليكم، أما بعد فإني ادعوكم إلى إحياء معالم الحق، وإماتة البدع فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد والسلام»[(٢)]، وهناك نصوص أخرى ذكرتها لنا المتون التأريخية ربما لا تختلف كثيراً عن النصين السابقين، حتى أن الخوارزمي ينقل في مقتله أن الحسين عليه السلام أرسل إلى رؤساء أهل البصرة لكل واحدٍ كتاباً ثم ذكر ستة أسماء منهم على نحو المثال لا الحصر يقول: «وقد كان الحسين عليه السلام كتب إلى رؤساء أهل البصرة مثل الاحنف بن قيس والمنذر بن الجارود وقيس بن الهيثم ومسعود ابن عمرو بن عبيد بن معمر يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله...»[(٣)]، فضلاً عن أن يزيد بن مسعود النهشلي كان من جملة الشخصيات الحاضرة مع رؤساء الأخماس ولم يكن منها ما يدلل ان الحسين عليه السلام كان قد راسل هذا الرجل بشكل منفصل، وقد صرّح هو بنفسه عن هذا الكتاب ومضمونه عندما دعا قومه إلى نصرة الحسين عليه السلام ثم كتب إلى الحسين بقوله:

«أما بعد فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه...».

وسيأتي مزيد من الحديث عن هذا الرجل وحركته (رض). إذن نحن امام حقيقة ذكرتها لنا الكتب التأريخية أن الحسين عليه السلام كتب أكثر من كتاب إلى أهل

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٨٠.

(٢) الدينوري في الا خبار الطوال: ص٢٣٣.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص١٩٩.

البصرة وهنا لابد من أن نسأل سؤالاً ربما يأتي إلى ذهن كل من يقرأ ويسمع بهذه الكتب وهو: هل الذي أوصل هذه الرسائل كلها رسول واحد؟ أو ان هناك أكثر من رسول؟ المشهور كما قدمنا يذهب إلى أنه رسول واحد وهو الشهيد سليمان، قام بهذه المهمة بشكل كامل حيث ذهب إلى الجميع وأوصل لكل واحدٍ كتابه، حتى إذا وصل الأمر إلى ابن الجارود أخذه مع الكتاب إلى ابن زياد، وهناك من يذهب كما يشير إلى ذلك ابن نما والسيد الأمين في الاعيان في أحد قوليه الذي يتبناه ان الحسين بعث رسولين إلى البصرة أحدهما الشهيد سليمان والثاني هو ذراع أو زراع السدوسي(١) وهذا الرأي وان كان أقرب إلى الواقع والى عدد الكتب التي بعثت إلى البصرة، ولكنه في نفس الوقت يحتاج إلى دليل من التأريخ يَدلّ عليه ولا دليل في هذا المجال. فقد بذلت جهد ليس بالقليل في تتبع المصادر الرجالية والتاريخية والحديثية وغيرها، علّني أجد شيئاً ولو يسيراً حول هذه الشخصية، ولكن وللأسف الشديد لم أقع على اية معلومة وان كانت بسيطة عنه، فنبقى نحن وما ذكرته لنا المصادر التاريخية الكثيرة والمتعددة ان رسول الحسين إلى البصرة هو سليمان مولاه دون غيره، مع بقاء احتمال التعدد قائماً.

مضامين رسالة الإمام إلى البصرة

لقد تضمنت رسالة الإمام مجموعة من النقاط المهمة يمكن اجمالها فيما يلي:

أولاً: أشار الإمام إلى أهمية هذا الدين ومن بعث به رحمة للعالمين سيدنا

---

(١) انظر مثير الاحزان لابن نما: ص١٧، أعيان الشيعة للسيد الامين: ج١ ص٥٩٠.

محمدﷺ بقوله:

«**أمام بعد، فإن الله اصفطى محمداً على جميع خلقه واكرمه بنبوته واختاره لرسالته**».

ثانياً: أن الرسولﷺ وبأمر من السماء لم يخرج من هذه الدنيا إلا بعد أن بلغ ونصح لأمته فيما يعود عليهم بالخير في حاضرهم ومستقبلهم يقول:

«**ثم قبضه الله إليه مكرماً وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به**».

وكان مما بلغه هو قول الله عز وجل:

﴿ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ ﴾[1].

وقد ذكرت المصادر الإسلامية عند الفريقين أنها نزلت في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام[2]، ناهيك عن ذلك بما ذكر حول حديث الغدير وتنصيب أمير المؤمنين إماماً وخليفة على هذه الأمة بعد رسول اللهﷺ.

ثالثاً: أن أهل البيت عليهم السلام هم أحق بهذا الأمر من غيرهم فهم أهله وأصفياؤه، ولكنهم في نفس الوقت قبلوا بما جرى (من اغتصاب حقهم وإزالتهم عن مراتبهم) حقناً لدماء المسلمين وكراهية للفتنة وطلباً للعافية (المراد عافية الأمة وليس العافية الشخصية) وحتى لا يفهم هذا بأنه تنازل عن الحق أكده بعد ذلك بقوله:

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) وقد ذكر مصادر القوم بشكل مفصل العلّامة الأميني في الغدير: ج١ ص٢١٤ فليراجع.

«ونحن نعلم بأنا أحقَّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه».

رابعاً: عدم تناول الإمام لذكر الأسماء التي تولت على هذه الأمة من غير أهل البيت عليهم السلام، وذلك لعلم الإمام أنه يراسل قوماً لا يرتجى الاستجابة منهم بشكل واضح هذا من جانب، ومن جانب آخر أن الأساس عند الإمام الحسين وأئمة أهل البيت هو المضمون لا الاسم، فالأسماء قد تذهب وتأتي ولكن الأساس في الأمر هو المضمون والذي أشار إليه بقوله «فإن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت».

خامساً: أشار عليه السلام إلى أنه القادر على أن يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله دون سواه، وكأنه يريد أن يشير إلى إمامته وأهميتها، كما أشار إلى ذلك في حديثه إلى أهل الكوفة بقوله: «لعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذات الله»[(١)].

معنى رؤوس الاخماس في البصرة

وهم عبارة عن خمسة أحياء وزّعَت وقُسِّمت البصرة على أساسها عند إنشائها أول مرة، وفي كل حي من أحيائها الخمسة لتسكن قبيلة من القبائل العربية المعروفة وهي الأزد وتميم وبكر وعبد القيس وأهل العالية. وكان لكل قسم من هذه الأخماس رأس يتم اختياره حسب القبيلة أو القبائل المنطوية تحته على حسب ما يمتلكه من خصائص وصفات تؤهله لقيادتها. تقول الأستاذة رباب جبار السوداني في كتابها، جبهة البصرة: «وكان هؤلاء الرؤساء سلطة عسكرية وإدارية

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ج٢ ص٣٩.

ومالية كبيرة مستمدة من مراكزهم وصفاتهم الشخصية والاجتماعية ومن الواجبات الملقاة على عاتقهم، فكانوا في أوقات السلم ينظرون في شؤون قبيلتهم ويحكمون في الخلافات التي تحدث بين أفراد القبيلة، كما أنهم يوزعون العطاء عليهم بعد أخذه من الدولة، وهم المسؤولون عن تصرفات قبائلهم مسؤولية مباشرة، اتجاه الوالي، وكان هؤلاء الرؤساء تابعين للوالي وخاضعين بأعتباره ممثل الخليفة، وكان هؤلاء الرؤساء كثيراً ما يشاركون في الوفادات التي ترسل إلى الخليفة، وخير مثال على ذلك الاحنف بن قيس رئيس قبيلة تميم الذي كان كثيراً ما يشارك في الوفود المرسلة إلى مركز الخلافة سواء في الفترة الراشدية أو الأموية، فقد وفد على كلٍ من الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ووفد كذلك على معاوية بن أبي سفيان بما أن رؤساء القبائل كانوا يقودون الحملات العسكرية الكبيرة والمنظمة وكانوا خلالها يتمتعون بسلطات إدارية وعسكرية واسعة، فقد شارك الاحنف بن قيس في قيادة الحملات الموجهة لفتح خراسان وغيرها من الاقاليم الفارسية، كما أن هؤلاء الرؤساء كانوا يقودون بعض العمليات العسكرية الصغيرة من تلقاء أنفسهم كما حدث أيام معركة الجمل عندما انقسم رؤساء قبائل البصرة بين الخليفة علي وعائشة وطلحة والزبير، حيث انظم رؤساء قبائل الازد وضبة إلى عائشة وطلحة بينما التزم رؤساء قبيلتي بكر بن وائل وعبد القيس إلى جانب الإمام علي.

هذا وكان لرؤساء الاخماس دور كبير جداً في الأزمات السياسية فقد خرج رؤساء الاخماس من البصرة إلى الكوفة وعسكروا في مكان يدعى النخلية مع

عبد الله بن عباس والي البصرة حيث كان خالد بن المعمر السدوسي على قبيلة بكر بن وائل والاحنف بن قيس على تميم وضبة الرباب، وعمرو بن مرجوم العبدي على عبد القيس وصبرة بن شيماه على الازد وشريك بن الاعور الحارثي على أهل العالية مؤيدين ومعلنين ولاء أهل البصرة للخليفة علي بن أبي طالب في حربه ضد معاوية بن أبي سفيان قبل بدء معركة صفين»[١] من هنا نعرف سر مراسلة الامام الحسين لهم وسيأتي مزيد من التوضيح حول هذا الموضوع في فقرة فلسفة مراسلة الحسين لرؤساء الاخماس من هم رؤساء الاخماس والاشراف الذين راسلهم الحسين: وحتى نعي ردّ رؤوس أخماس البصرة وأشرافها على رسالة الامام الحسين ورسوله بل وتسليمه مع الرسالة إلى ابن زياد لذبحه علينا ان نسلط الاضواء على تاريخهم لاسيما التعلق بأهل البيت ولو على نحو الإجمال:

١. المنذر بن الجارود

هو المنذر بن الجارود بن عمرو بن خنيس العبدي ولد في عهد رسول الله وشهد الجمل مع علي ثم ولّاه أمير المؤمنين على إمرة اصطخر ثم بلغه عنه ما ساءه منه[٢] فكتب إليه بكتاب شديد اللهجة ثم عزله: «أما بعد فإن صلاح أبيك غرّني منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله فإذا انت فيما رقي إليك عنك لا تدع هواك انقياداً ولا تبقي لآخرتك عتاداً، أتعمر دنياك بخراب آخرتك؟ وتصل عشيرتك بقطيعة دينك؟ ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك

---

(١) كتاب جبهة البصرة للاستاذة رباب جبار السوداني: ص١٠٠ ـ ١٠٢.

(٢) انظر الاصابة لابن حجر ترجمة رقم: ٨٣٣٦.

ومن كان بصفتك فليس بأهل ان يسدّ به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانه أو يؤمن على جباية فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله»[١]، وقال عليه السلام في المنذر بن الجارود أيضاً: «إنّه لنظّارٌ في عطفيه، مختالٌ في بُردَيْه، تفّال في شراكيْه»[٢] ويقول السيدمحمد باقر الصدر (رض) في المنذر هذا وخيانته لرسول الحسين عليه السلام: «إذ يبعث احدهم برسول الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد وكان وقتئذٍ والياً على البصرة، صدّقوا: أنّ هذا الشخص الذي قام بهذا العمل هو من شيعة علي بن أبي طالب، ولم يكن عثمانياً بل كان علوياً، ولكنه كان علويّاً فقد كل مضمونه، فقد كل معناه، فقد كل إرادته، أخذ الرسول مع الرسالة إلى عبيد الله بن زياد لكن لاحبّاً لعبيد الله بن زياد ولا إيماناً بخط عبيد الله بن زياد، بل حفاظاً على نفسه وابتعاداً بنفسه عن أقلّ مواطن الخطر، خشية ان يطّلع عليه في يوم ما عبيد الله بن زياد على أن ابن رسول الله كتب إليه يستصرخه وهو لم يكشف هذه الورقة للسلطة الحاكمة وقتئذٍ، فيتخذ هذا نقطة ضعف عليه، فلكي يبتعد عن اقل نقاط الضعف ولكي يوفّر له كلّ عوامل السلامة وكل ضمانات البقاء الذليل أخذ رسول الإمام والرسالة وقدّمهما بين يدي عبيد الله بن زياد فأمر عبيد الله بن زياد بالرسول فقتل»[٣]، ويكفي هذا الرجل خاتمة سوء وعاقبة شرٍ نالها أن صار في ركاب عبيد الله بن زياد حتى ولاّه ثغير الهند فمات فيها سنة ٦١ هـ.

---

(١) بحار الانوار: ج٣٣ ص٥٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٥٠٦.

(٣) الحسين يكتب قصته الأخيرة بقلم السيد محمد باقر الصدر وتقريرات السيد كاظم الحائري وتحقيق وتعليق صادق جعفر الرزاق ص٦٢ ص٦٣.

٢. الأحنف بن قيس

«يكنى أبا بحر، واسمه الضحاك بن قيس. وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وأمه من باهلة، كان قد أدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يره، وتوفي في الكوفة في إمارة مصعب بن الزبير سنة سبع وستين، ومشى مصعب في جنازته»[(١)] ويقول عنه السيد محمد باقر الصدر: «الأحنف بن قيس الذي عاش مع خط جهاد الإمام عليّ وعاش مع حياة الإمام علي عن قرب، وتربى على يديه، ماذا كان جوابه لابن الإمام علي؟ أمره بالتصبّر والتريّث وقال له في رسالة أجاب بها على رسالته، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون، معّرضاً بالكلمات التي كان الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام يتلقّاها من شيعته. وفي الواقع كانت رسالة الأحنف تعبّر عن أخلاقية الأمّة المهزومة فإن الأمة في حال تعرّضها للهزيمة النفسية، وفي حالة فقدانها لإرادتها وعدم شعورها بوجودها كأمّة تنشأ لديها بالتدريج اخلاقية معيّنة هي أخلاقية الهزيمة. هذه الهزيمة تصبح قوة كبيرة جداً بيد صانعي هذه الهزيمة لابقاء هذه الهزيمة وإقرارها وتعميقها وتوسيعها ويصبح العمل الشجاع تهوراً والتفكير في شؤون المسلمين استعجالاً ويصبح الاهتمام بما يقع على الإسلام والمسلمين من مصائب وكوارث نوعاً من الخفّة، واللاتعقّل نوعاً من العجلة، وقلة الأناة نوعاً من التسرّع في العمل أو في التفكير»[(٢)].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد الله: ج١ ص١٤٥.

(٢) الحسين يكتب قصته الأخيرة بقلم الشهيد محمد باقر الصدر وتقريرات السيد كاظم الحائري وتحقيق وتعليق صادق جعفر الرزاق: ص٦٣ ـ ٦٤.

٣. مالك بن مسمع البكري الجحدري

كان على بني بكر بن وائل في البصرة، ثم أوى مروان بن الحكم يوم الهزيمة. وحفظ لهم بنو مروان ذلك بعد وانتفعوا به عندهم وشرفوهم بذلك، كان رأيه مائلاً إلى بني أمية وكان يأمر الناس بعد واقعة الطف وقتل الحسين بتجديد البيعة ليزيد، وبعد هلاكه بايع ابن مرجانة، وكان مع مصعب بن الزبير في حرب المختار[١] وما إلى ذلك من تاريخ أسود ضد أهل البيتعليهم السلام.

٤ . مسعود بن عمرو بن عدي الأزدي

«قائد الازد يوم البصرة في جيش عائشة والزبير وطلحة، وأجار ابن مرجانة لما نابذه الناس ومنع عنه، فمكث تسعين يوماً بعد موت يزيد، ثم خرج إلى الشام وبعث مسعود مع ابن زياد مئة من الأزد عليهم قرة بن عمرو بن قيس حتى قدموا به إلى الشام، واستخلف حين توجه إلى الشام مسعود بن عمرو على البصرة»[٢].

٥. قيس بن الهيثم السلمي

«استخلفه عبد الله بن عامر على خراسان مع ابن عمّه عبد الله بن خازم، فلما خرج منها عبد الله بن عامر جمع قارن أربعين ألفاً من هراة وقهستان وطيس وبادغيس فأخرج ابن خازم عهداً من ابن عامر انه هو امير خراسان إن كانت

---

(١) انظر: كتاب الغارات / هامش صفحة ٢٦٦ (والهامش للمرحوم عبد الزهراء الخطيب)، كتاب وقعة الطف لأبي مخنف تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم (هامش صفحة ١٠٤).

(٢) المصدر نفسه: ص١٠٦.

حرب وكان قد اقتلعه عمداً خلاه والبلاد، وأتى البصرة فكانت الفتنة على عثمان، واستنصر عثمان بأهل البصرة من عبد الله بن عامر فاستنصرهم ابن عامر فقام قيس ابن الهيثم فخطب وحرّض الناس على نصر عثمان فسارع الناس إلى ذلك وأتاهم قتل عثمان فرجعوا.

ولي خراسان خليفة عن عبد الرحمن بن زياد أي بعد مقتل الحسين من قبل يزيد بن معاوية حينما أراد عبد الرحمن القدوم على يزيد فعزله يزيد فانعزل قيس ابن الهيثم، وكان على الشرطة والمقاتلة في البصرة لابن الزبير، وكان على خمس أهل العالية مع مصعب بن الزبير لمقاتلة المختار، وكان يحذّر أهل العراق من الغدر بمصعب»[1].

٦. عمر (عمرو) بن عبيد الله بن معمر التيمّي

ولي البصرة من قبل عبد الله بن الزبير يقول صاحب المنتظم: «وفي هذه السنة حج عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة أخوه عبيد الله بن الزبير، وعلى الكوفة عبيد الله بن يزيد الخطميّ وعلى قضائها سعيد بن عمران، وأبي شريح ان يقضي فيها، وقال: لا أقضي في الفتنة، وكان على البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي....»[2]، وكان على ميسَرة مصعب بن الزبير في حربه مع المختار، ويقول ابن أعثم: «فعندما أمر مصعب عسكره وأصحابه أن يعسكروا عند الجسر الأعظم ثم خرج وخرج الناس معه من البصرة، وجعل على كل قبيلة من

---

(١) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٢) المنتظم: ج٦ ص٣١.

قبائل العرب رئيساً يقتدون به وبرأيه وينتهون إلى أمره، فعلى قريش وأحلافها عمر بن عبيد الله بن معمر التيميّ...»[١]، «وكانت عائشة بنت طلحة عند عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ثم عند مصعب، ثم تزوج عائشة بنت طلحة عمر بن عبيد الله ابن معمر التيميّ، وأم عائشة هي أُمّ كلثوم بنت أبي بكر»[٢] «ومات وعمره ستون سنة»[٣].

٧. يزيد بن مسعود النهشلي

يبدو أن هذه الشخصية مع كلّ ما تمتلكه من منزلة اجتماعية في قبيلته وبقية القبائل الأخرى فضلاً عن العمق التأريخي له ولأبناء اسرته لم يتحدث عنه المؤرخون كثيراً بل ولا حتى عن أبيه مسعود، بل لم يذكر أحدٌ أنه كان من سكان البصرة، حيث ينقل البلاذري في ترجمته ما نصه: «يزيد بن مسعود بن خالد كان سيّداً بالبادية ولم يهاجر إلى البصرة وكان يكنى أبا خالد وأبا جيداء جميعاً وفيه يقول سجيم بن وثيل:

ومن آل مسعود على الباب مدره إلى القوم قالوا يا يزيد بن خالد»[٤]

نعم، يذكر المؤرخون أن أخوة يزيد بن مسعود وأبناءهم كانوا يعيشون في البصرة ولهم فيها مواقف كثيرة، منهم نعيم بن مسعود النهشلي الذي ولّاه زياد

---

(١) الفتوح لابن أعثم: ح٦ ص٢٨٥.

(٢) أنساب الاشراف: ج٧ ص٢٠.

(٣) الكامل في التأريخ: ج٤ ص٤٧٧.

(٤) أنساب الاشراف للبلاذري: ج١٢ ص١٢٤.

فساودوا أبجرد[١] و«نعيم بن الثولاء بن نعيم بن مسعود الذي تولى شرطة سليمان ابن علي واسماعيل بن علي بالبصرة والثولاء الذي قتله أمير البصرة في الفتنة»[٢]، ولو لم يُنقل عن أخي يزيد النهشلي (نعيم) من المواقف المشينة والتصاغر أمام الزبيريين والأمويين بشكل ملفت للنظر حتى لقد نقل التأريخ عنه قوله لعبد الملك ابن مروان بشكل صريح وواضح أنه كان زبيرياً ثم أصبح الآن مروانياً يقول: «ثم تكلم نعيم بن مسعود فقال يا أمير المؤمنين إنّا كنا أمس زبيريين فقد اصبحنا مروانيين فأقلل العتاب وأكرم الغلبة وأقلّ بعفوك المغفرة»[٣] فضلاً عن توجهه مع مصعب بن الزبير لحرب وقتال المختار[٤] لأمكن القول أن نعيماً هذا هو الذي راسله الحسين عليه السلام وعليه فلا يتبقى أمام القارئ والسامع لمواقفه إلا ان يرفض مثل هذا الاحتمال رفضاً قاطعاً ويبقى اسم يزيد على ما نقل في كتب المؤرخين هو الاسم الاساس الذي تدور عليه رحى الولاء في البصرة وان لم يتكلم عنه التأريخ كثيراً، فطالما ظلم التأريخ أناساً كثيرين فلم يسلط الاضواء عليهم إلّا قليلا ويبقى ان نشير ان هذا الرجل كانت له أخت في منتهى الولاء والمحبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام حيث كانت تقول:

«مازلت أحب أن يكون بيني وبينه سبب منذ رأيته قام مقام رسول الله صلى الله عليه وآله»[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطبقات لأبن سعد: ج٥ ص٨٨.

(٤) أنساب الاشراف: ج٧ ص٢٢٩.

(٥) أنساب الاشراف للبلاذري: ج١٢ ص١٢٤.

وقد استجاب الله لها فتزوجها أمير المؤمنين فأولدت منه ولدين أحدهما اسمه «عبد الله» استشهد مع الحسين في كربلاء والثاني اسمه «عمر» أغتيل في ليلة الحرب بين المختار ومصعب بن الزبير على احسن الأقوال(١).

جواب رؤوس أخماس البصرة ووجهائها على رسالة الإمام

ربما لا يحتاج الإنسان إلى كثير عناء للقول بأن التأريخ لم ينقل لنا من ردود أفعالهم إلى ما قدمناه قبل قليل، من أخذ رسول الحسين ورسالته إلى ابن زياد من قبل المنذر بن الجارود، وكتابة الاحنف بن قيس إلى الحسين بقوله:

«اصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون».

وما سوف يأتي بعد ذلك بشيء من التفصيل حول جواب يزيد بن مسعود النهشلي وموقفه المشرّف مع الإمام الحسين عليه السلام

ويبدو لي أن مثل هذا الجواب كان متوقعاً من الحسين عليه السلام فهو يعلم جيداً أن الجو العام في الكوفة ليس إلى جانبه لاسيما من قبل زعماء القبائل فيها، فهو لم ينسَ موقفهم مع أبيه أمير المؤمنين حينما تمردوا عليه وأووا من تمرّد في ما عُرِفَ بعد ذلك بفتنة الجمل.

فالحسين لم يكن يحسب أبداً أن تجتمع لديه آلاف الرسائل عن أهل البصرة كما اجتمع لديه من رسائل أهل الكوفة. يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «كان هذا موقف قيادات البصرة من الثورة، وإذا كان هذا الموقف يبدو طبيعياً إلى حدّ كبير من رجال لا يريدون ان يفرطوا بمراكزهم في الدولة

(١) مراقد المعارف للشيخ محمد حرز الدين: ج٢ ص١٠٧.

والمجتمع...»[١] ثم يضيف في مكان آخر من بحثه: «نحن نعلم ان معظم سكان البصرة كان من ربيعة ومضر، من عرب الشمال وان معظم سكان الكوفة من قبائل اليمن، من عرب الجنوب، وقد رأينا في فصل سابق ان عرب الجنوب يكوّنون العدد الأكبر من ثوار كربلاء. نرجّح أن تكون جميع هذه العوامل قد اشتركت في صياغة موقف البصرة من الثورة. لقد كان زعماء البصرة يفكرون بلا شك في مركزهم في الدولة والمجتمع، وطالما تنازع البصريون مع الكوفيين حول حق الفتح لهذا البلد أو ذاك. وكانوا يفكرون بأن أيّ نجاح للثورة فإنما هو نجاح للكوفة التي ستكون قاعدة للدولة.

وكان الكوفيون أكثر وعياً لضرورة التّغيير للثقافة التي نشأوا في ظلّها في عهد الإمام عليّ عليه السلام ونتيجة لشعورهم بالتقصير في القيام بواجبهم في الدفاع عن حكومة الإمام علي عليه السلام ونهجه السياسي، هذا التقصير الذي أدى إلى انتصار معاوية وانتقامه من الكوفة "وهنا نلاحظ ان كثرة عرب الجنوب في الثورة تعود إلى كونهم أكثر وعياً بسبب كونهم في الكوفة، كانوا أكثر اتصالاً بالإمام وتأثراً بأفكاره وتعاليمه لا إلى أسباب تتصل بالعوامل القبلية"، وكان جمهور القبائل البصرية التي اشتركت في معركة الجمل ضد الإمام عليّ عليه السلام يذكره قتلاه، ويتجاوب مع مشاعره التي تبعثها هذه الذكرى»[٢]، لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٢٦٤/ طبعة دار الكتاب الإسلامي/ تحقيق سامي الغريري.

(٢) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص٢٦٧/ طبعة دار الكتاب الإسلامي/ تحقيق سامي الغريري.

هذه الحقائق التأريخية وما تركته في نفوس البصريين ومن ثم لم يكن يتوقع ان تكون هناك استجابة واضحة وبيّنة كالتي حصلت وجرت في الكوفة.

وهنا لابد لنا من الإجابة على سؤال طالما انقدح وينقدح في ذهن كل قارئ ومستمع لما سبق ذكره، والسؤال هو: لماذا راسل الحسين عليه السلام أهل البصرة وهو يعلم مسبقاً موقفهم منه ومن دعوته؟ وبعبارة أخرى: ما هي دواعي مراسلة الحسين لأهل البصرة؟

أسباب ودواعي مراسلة الحسين لأخماس البصرة ووجهائها

يقول الشيخ نجم الدين الطبسي في كتابه القيّم، «الركب الحسيني» وهو يتحدث عن نفس هذا الموضوع: «فإذا كان جلُّ رؤساء الاخماس في البصرة وأشرافها بين متباعد عن أهل البيت، مجانب لهم، وبين متردد متذبذب في حبه إيّاهم وموقفه منهم، وبين متربّص خائن طامع في دنيا أعدائهم، فما هو السر في كتابة الإمام إلى مثل هؤلاء؟ لعلّ مجموعة من الاسباب التالية هي التي دعت الإمام إلى كتابة هذه الرسالة إلى رؤساء الأخماس والأشراف في البصرة:

١ـ كانت مخاطبة القبائل في ذلك الوقت لا تتم ولا تثمر إلا من خلال رؤسائها وأشرافها ذلك لأن أفراد كل قبيلة كانوا لا يتجاوزون رؤساءهم وأشرافهم في اتخاذ أي موقف وقرار، والمتأمّل في خطبة يزيد بن مسعود النهشلي في بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وردّهم عليه يرى هذه الحقيقة واضحة جليّة.

٢ـ إلقاء الحجة على جميع أهل البصرة بما فيهم رؤساؤهم وأشراف قبائلهم، خصوصاً ان البصرة برغم سيطرة ابن زياد عليها ـ ما يزيد على خمس سنين حتى ذلك الوقت ـ لم تكن قد انغلقت لصالح الامويين كما هو حال مدن الشام إذ كان فيها اشراف ورؤساء يعرفون حقانية أهل البيت وأفئدتهم تهوي إليهم كما كان في البصرة معارضة شيعية لها اجتماعاتها ومنتدياتها السرية. إذن ففي مبادرة الإمام في الكتابة إلى كلّ هؤلاء القاء للحجة عليهم وقطع العذر بالقول أنهم لم ينصروا ابن بنت رسول الله لأنهم لم يعلموا بقيامه ونهضته.

٣ـ من ثمرات هذه الرسالة إعلام البصريين الراغبين في نصرته بأمر نصرته بأمر نهضة، وتعبئتهم لذلك من خلال أشرافهم الموالين لأهل البيت كمثل يزيد بن مسعود النهشلي وأمثاله»[١].

ومن هنا نحن نعتقد بأن مهمة رسول الإمام الحسين إلى البصرة لم تقتصر على رؤساء الاخماس بل شملت كل طبقات المجتمع والنوادي والمجالس الرئيسية فيها لاسيما مجالس ونوادي الموالين لأهل البيت عليهم السلام، وربما كان من جملة الحضور في بيت مارية العبديّة مع شخصيات الشيعة الموالية في داخل البصرة، بل ربما التقى في وقت ما مع من خرج من شهداء كربلاء والتحق بالحسين مبكراً. ومما يزيد الأمر وضوحاً هو ما سوف نتحدث عنه بشكل تفصيلي في فقرة (الشهادة) من أن الشهيد سليمان قد تم إلقاء القبض عليه في بيت احد الشيعة الموالين، داخل البصرة، مما يؤكد حقيقة سعة مهمة هذا الشهيد (رض).

---

(١) الركب الحسيني (الإمام الحسين في مكة المكرمة) للشيخ الطبسي: ج٢ ص٣٦٣ ـ ٣٦٤.

يزيد بن مسعود النهشلي والمواقف المشرفة

لا يسع الإنسان وهو يقرأ ويتأمل في موقف هذا الرجل مع رسالة الحسين عليه السلام، بل والمواقف التي صدرت منه قبل ذلك إلاّ وتشرئبّ عنقه إلى السماء فخراً واعتزازاً أن يوجد في تأريخنا الإسلامي مثل هؤلاء الرجال الابدال الذي طلقوا الدنيا وعافوها من أجل الدين ونصرة المظلومين. ولئن كان هذا الموقف بل والمواقف المتقدمة عليه قد كشفت عن معدن هذا الإنسان الأصيل فإنها كشفت في نفس الوقت عن مكانته وسمو كعبه بين قومه وأبناء عشيرته بل وحتى بين القبائل الأخرى لاسيما حينما عبروا عنه بأنه «فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطا»، يقول المؤرخون أن يزيد بن مسعود النهشلي بمجرد أن وصلت إليه رسالة الإمام الحسين عليه السلام ورسوله الكريم رحب بهما أيّما ترحيب وجمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وقال لهم: «يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي فيكم؟ فقالوا: أنت فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطا قال: قد جمعتكم لأمرٍ أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه قالوا: والله إنّا نمنحك النصيحة ونجهد لك الرأي فقل نسمع. فقال: إن معاوية قد مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً وظن أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضاً منهم مع قصر حلم وقلّة علم، لا يعرف من الحقِّ موطئ قدمه، فأقسم بالله

قسماً جدورا، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين. وهذا الحسين بن علي، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير فأكرم به راعي رعيّة وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس[1] انخذل بكم يوم الجمل فاغسُلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرته، والله لا يقصر أحدٌ عن نصرته إلا أورثه الله الذلّ في ولده والقلة في عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب لامتها وادّرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت ومن يهرب لم يفت، فاحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب. فتكلمت بنو حنظلة فقالوا يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك. إن رميت بنا أصبت وإن غزوت بنا فتحت لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، ننصرك والله بأسيافنا ونقيك بأبداننا فانهض لما شئت، وتكلمت بنو سعد بن زيد فقالوا: يا أبا خالد إن أبغض الإشياء الينا خلافك والخروج عن رأيك وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال. فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتك برأينا. وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤوك، لا نرضى ان غضبت ولا نقطن إن ظعنت، والأمر اليك فادعنا نجبك ومُرْنا نطعك والأمر اليك اذا شئت، فقال والله يا بني أسد لئن فعلتموها لا يرفع الله السيف عنكم ابدا، ولا يزال السيف فيكم»[2]، وقبل ان نسترسل في

---

(١) المراد به: الاحنف بن قيس/ راجع سير أعلام النبلاء: ج٤ ص٨٥، واسد الغابة: ج١: ص٥٥.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ص٢٨.

الحديث عن مواقف هذا الرجل الأصيل أود أن اشير ولو على نحو السرعة إلى بعض النقاط المهمة التي تضمنها كلامه مع قومه:

نقاط مهمة في خطبة يزيد النهشلي

(ألف) لقد تحدث يزيد بن مسعود النهشلي عن هلاك معاوية وارتياحهم من هلاكه بشكل يكشف ان القائل والمستمع كليهما ممن لا يرتضي معاوية ولا يميل إليه، وما ذاك إلا لعظم الظلم الذي حلّ ونزل في البصرة واهلها جميعاً على السواء من قبل ولاته الجائرين، فقد نقل الطبري في تاريخه وفي حوادث سنة ٥٠ للهجرة عن محمد بن سليم: «قال: سألت أنس بن سيرين، هل كان سمرة[(١)] قتل احداً؟ قال: وهل يقدّر من قتله سمرة بن جندب، واستخلفه زياد على الصبرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له: ألا تخاف ان تكون قد قتلت بريئاً؟ قال: لو قتلت مثلهم ما خشيت»[(٢)] فضلاً عما صنعه زياد بن أبيه من جرائم، «قال الحسن البصري: بلغ الحسن بن علي ان زياداً يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم فدعا عليه»، أمّا ولده عبيد الله بن زياد فحدث ولا حرج فالحديث عنه يطول، فقد ملئت به كتب المؤرخين.

(باء) رفضه لبيعة يزيد وبيان خسته وخلوه من كل خلقٍ حسن، فهو شارب

(١) هو سمرة بن جندب، يقول عنه ابن الأثير: «**سكن البصرة وكان زياد يستخلفه عليها إذا صار إلى الكوفة ويستخلفه على الكوفة إذا صار إلى البصرة فكان يكون في كل واحدة منهما ستة اشهر..**» اسد الغابة: ج٢ ص٣٥٤.

(٢) تأريخ الطبري: ج٣ ص١٧٦.

للخمر معلن بالفسق والفجور ومن يكن حاله هكذا كيف يمكن أن يقبله المسلمون لهم حاكماً وخليفة يحكم باسم الله ويتبع هديه ويطبق دينه.

(جيم) دعاهم إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام صاحب المآثر والمفاخر والحائز على الدرجات العلى في سُلّم الكمال والعلم والإيمان والنسب وما شاكل ذلك من صفات العز وصفات الفخر، وقد أبدى استعداده الكامل أمامهم في الالتحاق به والشهادة بين يديه وهذه تعبئة كاملة وافية وشاملة لهم، لاسيما بعد ان رفع إشكالاتهم وغسل صدورهم من أدران الماضي واخفاقاته لاسيما في حرب الجمل مع أمير المؤمنين من خلال غسلها بنصرة الحسين والذبِّ عنه والتضحية بين يديه.

ولما رآهم قد زاد شوقهم للحسين وخفقت قلوبهم للرحيل إليه، كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً في منتهى الروعة وتضمن كلماتٍ في غاية الدقة حتى لقد ذكر في طيّات حديثه أنهم أصبحوا أشدّ شوقاً من الأبل الظمّاء إلى مورد الماء المعين.

قال يزيد بن مسعود النهشلي في رسالته للحسين عليه السلام: «أما بعد: فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني إليه من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وان الله لم يخلِ الارض من عامل بخير ودليل على سبيل نجاة وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها فأقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني

سعد وغسلت درن قلوبها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع»[١] فلما قرأ الحسين الكتاب قال: «آمنك الله يوم الخوف وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر»[٢]، ويذكر المؤرخون أن الذي أوصل هذا الكتاب إلى الإمام الحسين عليه السلام هو أحد شهداء كربلاء واسمه «الحجاج بن بدر التميمي السعدي»[٣] ويبدو أنه كان من جملة الحضور الذين تحدث معهم يزيد بن مسعود النهشلي، فانتدبه إلى هذه المهمة المقدسة فذهب وبقي مع الحسين واستشهد بين يديه.

اجتماع الشيعة في دار مارية بنت منقذ العبدي

يبدو أن رسول الحسين عليه السلام إلى البصرة قد تحرك بشكل كبير وعلى مختلف الصُعد، حيث تمخضت عن تلك التحركات مجموعة من الاجتماعات ذكر المؤرخون بعضها وغفلوا أوتغافلوا عن البعض الآخر. ومن هذه الاجتماعات التي عقدت مبكراً في البصرة وقبل القاء القبض على رسول الحسين «سليمان» بل وحتى قبل انعقاد المؤتمر الكبير لرؤساء أخماس البصرة ووجهائها هو اجتماع شيعة أهل البيت في دار المرأة الصالحة «مارية بنت منقذ العبدي» والتي يقول عنها المامقاني: «عن أبي مخارق الراسبي قال: اجتمع ناسٌ من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد أو منقذ أيّاما وكانت تتشيّع وكان منزلها لهم مألفاً يتحدثون فيه»[٤]، وكان من جملة المجتمعين يزيد بن ثبيط

---

(١) اللهوف: ص١١٠، مثير الاحزان: ص٢٧ ـ ٢٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: أعيان الشيعة: ج٤ ص٥٦٤، ومستدركات علم الرجال: ج٢ ص٣٠٦.

(٤) تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج٣ ص٨٢

العبدي (رض) الذي حظر الاجتماع مع ابنائه العشرة والذي قال لهم أولاً: «أيّكم يخرج معي متقدماً؟ فانتدب له إثنان هما: عبد الله وعبيد الله. فقال لأصحابه في بيت مارية: إنّي قد أزمعت على الخروج وهاأنا خارج، فمن يخرج معي؟ فقالوا: إنّا نخاف اصحاب ابن زياد[1]، فقال إني والله لو قد استوت اخفافها بالجُدَد[2] لهان عليّ طلب من طلبني ثم خرج وإبناه وصحبه عامر ومولاه وسيف بن مالك والادهم بن أمية وقوي في الطريق حتى أنتهى إلى الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكّة فاستراح في رحلة ثم خرج إلى الإمام الحسين إلى منزله...»[3].

موانع التحاق شيعة البصرة بالحسين عليه السلام

لم يكن في البصرة عدد قليل من الشيعة، بل كان فيها الآلاف من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، ومن ثم فكان ينبغي ان تخرج اعداد كبيرة لنصرة الحسين عليه السلام، ومع عدم خروجهم تكون هناك علامة استفهام كبرى عن أسباب وموانع عدم الالتحاق بالحسين عليه السلام والتي أقدّر أنها يمكن ان تتلخص بمجموعة من النقاط المهمة وهي:

١ـ وجود نظام مستبد ظالم في البصرة، كان قد تتبع شيعة أهل البيت عليهم السلام ونكلّ بهم، حتى أمتلأت بهم السجون والمقابر ولمدّة طويلة من الزمن، وللمثال أذكر أن سمرة بن جندب كان يقتل في ستة أشهر فقط وهي مدّة ولايته على

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٧٨.

(٢) الجُدَدَ: الارض الصلبة المستوية، راجع بحار الانوار: ج٣٢ ص٢٦٢

(٣) إبصار العين: ص١٨٩ ـ ١٩٠.

البصرة من قبل زياد ما يقارب ثمانية آلاف رجل، ولاشك ولا ريب أن جُلّ هؤلاء ـ ان لم يكونوا كلهم ـ كانوا من شيعة أهل البيت ومثل هذه السياسة كانت متبعة حتى قبل زياد بن سمية ثم ازدادت في زمن زياد، وبلغت ذروتها في زمن ولده المشؤوم عبيد الله بن زياد، ومن ثم أحكم ابن زياد قبضته على البصرة بشكل، كامل، فلم تحصل فيها أية اضطرابات تذكر بخلاف الكوفة التي كانت تحت إمرة رجل ضعيف في إدارته أو أنه يتضاعف وقد قال كلمته المشهورة: إني لا أقاتل من لم يقاتلني وهو النعمان بن بشير الانصاري وان قلت لي فكيف استطاع إذن مجموعة من البصريين الخروج لنصرة الحسين عليه السلام؟ أقول: بأن خروج هذه الثلة المؤمنة كان مبكراً حيث استطاعوا ان يصلوا إلى الحسين عليه السلام وهو في مكة لم يخرج إلى الطرق وهذا يعني أنهم وصلوا إلى الحسين في وقت لم يحصل فيه الانقلاب في داخل الكوفة ولم يصل فيه بعد ابن زياد إليها، ومع كل ذلك فقد قال بعضهم ممن كانوا قد اجتمعوا بالشهداء البصريين قبل خروجهم «إنا نخاف ابن زياد» مما يفيد أن ظلم وجور ابن زياد وصل إلى درجة صارت الناس تخاف منه حتى وان لم يكن هناك شيء يذكر في البصرة فكيف الحال بعد ذلك عندما أغلقت الطرق وسُكّرت بشكل كامل لاسيما بعد ان خطب خطبته التي توعد فيها أهل البصرة بالموت والثبور إذا أحسّ منهم أية حالة تمرّد أو إرادة نصرة للحسين عليه السلام.

٢ـ ان الحسين عليه السلام لم يأمر شيعته في البصرة بالالتحاق به على نحو الوجوب، وإنما كانت عبارة عن دعوة لنصرة الحق والوقوف إلى جانبه وترك

الباطل وعدم الركون إليه وقبل هذا الامر وان كان مهماً ولكنه يختلف من حيث الآثار الدينية والدنيوية عن إيجاب الحسين عليه السلام مثل هذا الأمر عليه، ويبدو أن الحسين عليه السلام لم يتخذ هذا الأمر مع أهل البصرة فحسب بل كان هذا الأمر قد اتخذه حتى مع أهل الكوفة وقبل ذلك في مكة والمدينة، فلم يكن الحسين عليه السلام يخاطب من يراه ويدعوه بلغة الوجوب لنصرته بل كانت جُلّ خطابات الحسين عليه السلام وكلماته لمن رآه ودعاه على مستوى الفرد والمجاميع عبارة عن «من لحق بنا استشهد ومن لم يلحق بنا لم يدرك الفتح» ألا ترون إلى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقّاً...» وما شاكل ذلك من هذه العبائر الشريفة، وهي وان كانت لها آثار عظيمة في نفس القارئ والسامع لها، ولكنها بلا شك لا تقل في آثارها إلى الدرجة التي يمكن أن يصل لها الإنسان فيما إذا كانت هناك حالة إيجاب واضحة وصريحة من قبل الإمام في ضرورة نصرته عليه السلام، بل إن المتتبع لسيرة سيد الشهداء مع من تكلم معهم لنصرته وأبوا ذلك إمّا لخوفهم على أنفسهم أو لإسباب أخرى كان ينصحهم بعدم القرب من كربلاء ومن منطقة البلاء التي تنتظر الحسين وأهل بيته وأصحابه، وبعبارة أخرى نصحهم بعدم سماع واعيتهم، بل إننا نجد ان مثل هذا الأمر اتخذه الحسين حتى مع اصحابه الملتحقين به حينما قال لهم ارجعوا فأنتم في حلّ من بيعتي ليس عليكم مني ذمام ولكنهم أبوا إلا الشهادة بين يديه، وعليه فإن الأمر مع شيعة البصرة كان ضمن هذا السياق وهذا المنهج الحسيني ولا ريب ان الأمر ربما يختلف بشكل واضح في درجة التفاعل مع الحركة الحسينية لو كانت هناك حالة

وجوب في نصرة الحسين بدلاً من الدعوة إلى نصرته والوقوف إلى جانبه بشكل عام، ومع كل ذلك فقد فاز بذلك مجموعة من الشهداء ممّن لا يرون الخوف والذعر والفزع والاغراء معوِّقات للخروج إلى نصرة الحسين، كما قال يزيد بن ثبيط العبدي لمن معه ذلك بشكل واضح وصريح: «إني لو استوت أخفافها بالجُدد لهان عليّ طلب من طلبني».

٣ـ ربما حاول البعض جاهداً كيزيد بن مسعود النهشلي بعد وصول رسالة الإمام الحسين عليه السلام إليه أن يبذل قصارى جهده أن لا يكون خروجه بمفرده أو بمجموعة قليلة لا تتناسب مع مقام الشيعة والموالين في داخل الكوفة، ولهذا بذل جهداً كبيراً من أجل دعوة القبائل التي عرفت بالولاء والميل إلى أهل البيت عليهم السلام ودعاها إلى نصرة الحسين عليه السلام، وقد جرت في تلك الجلسات التي لا شك أنها استمرت لأوقات طويلة وبشكل سري للغاية تحت سلطان بني أمية وعيون ابن زياد، مناقشة مجموعة من الإشكالات التي كانت قد حصلت في السابق سواء في حرب الجمل أو غيرها، وقد استطاع هذا الرجل الموالي من استئصال كل حالة شك وريبة وغلّ كانت تنتاب قلوبهم ومشاعرهم حتى وصل إلى درجة كتب فيها الى الحسين عليه السلام بكلمات تكشف عن مدى هذا الجهد الكبير الذي بذله والوقت الذي يمكن للإنسان ان يتلمسه ويقرأه في ثنيات هذا العمل حيث قال: «فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشدّ تتابعاً لك من الإبل الظماء يوم خمسها لورود الماء وقد ذللت رقاب بني سعد وغسلت لك درن صدورها بماء سحابة مُزن حين استهل برفعها فلمع» وهذه الكلمات التي ذكرها

هذا الرجل الموالي، «ذللت.. وغسلت درن صدورها..» لاشك أنها احتاجت مدّة طويلة من الزمن ومن ثم ما إن حصل الاتفاق على النصرة ومضت مرحلة الإعداد للسلاح والخروج حتى جاء خبر شهادة الحسين وهم في طريق الوصول إليه، ولقد نقل التأريخ ان العدد بلغ اثني عشر ألف رجل مقاتل.

٤ـ وإضافة لكل ما تقدم فإننا لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا بأن الهوان والشلل النفسي الذي أصاب الأمة نتيجة سياسة القتل والارهاب قد أتت ثمارها بشكل واضح على قطاعات كبيرة من الناس في البصرة لاسيما الموالين منهم، وربما يمكن للإنسان ان يتلمس مثل هذا الأمر بخروج عبيد الله بن زياد من البصرة مع خمسائة رجل جلهم من الشيعة إلى جهة الكوفة وكان على رأس هذه المجموعة عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي وشريك بن الاعور واللذان كانا من شيعة عليّ والموالين له، وقد بدت آثار عدم قبولهم للذهاب في هذا الوجه مع ابن زياد من خلال تساقطهم في الطريق بمرض وغيره لعلهم يستطيعون بذلك ان يؤخروا ابن زياد عن الدخول إلى الكوفة قبل الحسين عليه السلام،

هل يكفي التساقط في طريق الكوفة؟

يقول الشيخ الطبسي معلقاً على هذا الأمر: «ترى هل كان هذا التساقط أفضل الوسائل لتعويق ابن زياد ومنعه من دخول الكوفة قبل الإمام؟ وإذا كان شُريك ومن معه من الشيعة يعرفون الدور الخطير الذي سيقوم به ابن زياد لاستباق حركة الاحداث في الكوفة وإدارتها لصالح يزيد، أفلم يكن من الراجح ان يقتلوا ابن

زياد بأيّ صورة سراً أُمّ علناً وإن أدى ذلك إلى قتل أحدٍ منهم أو جميعهم بعد ذلك ترجيحاً لمصلحة الإسلام العليا؟ أُمّ أننا هنا أيضاً امام صورة أخرى من صور الوهن والشلل النفسي الذي أصابَ الأمة وتفشى فيها، فأصاب هؤلاء أيضاً فرأوا ان أقصى ما يمكنهم المبادرة إليه هو التساقط في الطريق فقط متمنين للإمام ان ينصره الله على أن لا تتعرض دنياهم لأيّ ضرر أو خطر. إننا لا نشك في أخلاص شريك وأمثال شريك من شيعة عليّ ولكننا نعجب من اقتصارهم على التفكير في التساقط فقط، وعدم تدبيرهم لخطة يتخلصون بها من ابن زياد ويخلّصون الأمة منه في ثنايا الطريق من البصرة إلى الكوفة، وربما كان قتل ابن زياد بتدبير خفي غامض في ليلة ظلماء في هذه المرحلة أيسر بكثير من حيث الاعتبارات العرفية والتبعات من قتله في بيتِ هانئ بن عروة على ضوء الخطة التي اقترحها شريك نفسه يومذاك. نقول هذا كله بحسب الموازين والحسابات الظاهرية ونعلم ان إرادة الله وتقديراته شيء آخر»[١].

وقت شهادة سليمان

لقد استمرت حركة الشهيد سليمان في البصرة بشكل متواصل ودؤوب ليلاً ونهاراً، متنقلاً بين المجالس والبيوت شارحاً ومبيّناً وداعياً ومستصرخاً أهل البصرة لاسيما الموالين منهم كما تقدم، لنصرة الحسين عليه السلام والوقوف إلى جانبه في حركته ضد سلطان بني أمية وأعوانهم لاسيما في الكوفة والبصرة، وأقدّر أن هذه المدة لم تكن بالمدة القليلة، حيث امتدت إلى أكثر من شهرين على أقلّ التقادير،

---

(١) الركب الحسيني (الإمام الحسين إلى مكة): ج٢ ص٣٧٢ ـ ٣٧٣.

أبتدأت من بعثة الحسين عليه السلام له في مكة بعد وصوله إليها في شعبان واستمرت إلى يوم شهادته والذي نحتمل أنه كان في آخر ذي القعدة أو أول ذي الحجة، يقول الخوارزمي في مقتله: إن شهادة سليمان كانت في نفس يوم رحيل وسفر ابن زياد إلى الكوفة: «فضرب عنقه صبراً ثم أمر بصلبه ثم صعد المنبر وقال: ان يزيد ولّاني الكوفة وانا سائر إليها»(١)، ومن المعلوم ان سفر ابن زياد إلى الكوفة كان في أول ذي الحجة، بينما يقول السيد ابن طاووس: ان الأمر حصل في عشية يوم سفره: «فأخذ عبيد الله الرسول فقتله، ثم بات تلك الليلة فلما أصبح استناب عليهم أخاه...»(٢).

كيفية الشهادة

روى الخوارزمي في مقتله وغيره ان الشهيد سليمان مولى الحسين قتل صبراً ثم صلب، وعلى رواية ابن حجر المتقدمة والمزي أن ابن زياد رمى جسده من فوق المسجد الجامع أو من أعلى المنارة إلى الأرض، ومن ثم جرى على الشهيد من القتل ما جرى على سفير الحسين إلى الكوفة مسلم بن عقيل عليه السلام. يقول الخوارزمي: «فكل من قرأ كتاب الحسين كتمه إلا المنذر بن الجارود فإنه خشي أن يكون هذا الكتاب دسيساً من ابن زياد، وكانت بحرية بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد، فأتى ابن زياد وأخبره فغضب وقال: مَنْ رسول الحسين إلى أهل البصرة؟ فقال المنذر: رسوله إليهم مولى يقال له سليمان قال: فعليّ به

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ص٢٨٨.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص٢٩.

فأتى به وكان مختفياً عند بعض الشيعة[١] بالبصرة فلما رآه ابن زياد لم يكلمه بشيء دون أن قدّمه فضرب عنقه صبراً ثم أمر بصلبه ثم صعد على المنبر»[٢] وخطبهم خطبتهُ المشهورة التي توعد فيها أهل البصرة وان يأخذ البريء بغيره قائلاً: «أما بعد فوالله ما تقرن بي الصعبة ولا يقعقع لي بالشنان، وإني لنكلٌ لمن عاداني، وسمّ لمن حاربني أنصف القارة من راماها، يا اهل البصرة إن أمير المؤمنين ولّاني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد ابن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والأرجاف فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهته من بين مَنْ وطئ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم»[٣].

(١) تسلية المجالس وزينة المجالس، محمد بن أبي طالب الحسيني الكركي: ج٢ ص١٧٦.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ص١١٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٣٥٨.

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم.

٢. إبصار العين في أنصار الحسين للشيخ محمد السماوي/مطبعة حرس الثورة الاسلامية سنة ١٤١٩ هـ.

٣. إبصار العين في أنصار الحسين للشيخ محمد السماوي/مطبعة حرس الثورة الاسلامية سنة ١٤١٩ هـ .

٤. ابن كثير (البداية والنهاية)، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى سنة ١٣٥١هـ .

٥. ابن ماجة في سننه، طبعة المكتبة العلمية في بيروت.

٦. اتحاف الأعيان ـ سيف بن طمود البطاشي، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان ـ طبعة ١٤١٩.

٧. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة لابن حمود النويجري/سنة النشر ١٩٧٦ م.

٨. إثباة الهداة للحر العاملي / المطبعة العلمية / قم.

٩. إثبات الوصية للمسعودي/المطبعة الحيدرية / النجف.

١٠. الاحتجاج للشيخ الطبرسي، مكتبة النعمان ـ النجف سنة ١٣٨٦ هـ.

١١. أحكام الذمة لابن قيم الجوزي، مطبعة المدني، القاهرة، تحقيق جميل غازي، سنة ١٩٩٧م.

١٢. أحكام القرآن، لأبن عربي.

١٣. الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي، دار الحديث ـ القاهرة ـ طبعة مصر ١٩٢٩.

١٤. الأخبار الطوال للدينوري/دار احياء التراث/سنة ١٩٦٠ هـ.

١٥. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي/المطبعة الحيدرية / النجف/الطبعة الاولى.

١٦. الاخلاف بين الطبع والتطبع/فيصل بن عبده قائد الحاشدي.

١٧. أخلاق الإمام الحسين، لعبد العظيم المهتدي البحراني، انتشارات الشريف الرضي.

١٨. الآداب الشرعية لابن مفلح/تحقيق شعيب الأرنؤط/مؤسسة الرسالة / بيروت / الطبعة الاولى.

١٩. أدب الطف أو شعراء الحسين/مؤسسة التاريخ / بيروت / ١٤٢٢ هـ / الطبعة الأولى.

٢٠. الإرشاد للشيخ المفيد/مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث/سنة ١٤١٤ هـ.

٢١. أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد القاسم.

٢٢. الاستيعاب لابن عبد البر/دار الجيل / بيروت / سنة ١٤١٢ هـ.

٢٣. أسد الغابة لأبن الاثير/دار الكتاب العربي.

٢٤. أسرار الشهادة للدربندي/منشورات الأعلمي / بيروت.

٢٥. إشعار الشعراء للأعلم الشنتمري.

٢٦. الاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر/مطبعة السعادة بمصر / سنة ١٣٢٨ هـ.

٢٧. الأصول الشرعية للسيد عبد الله شبر، مكتبة المفيد، ١٤٠٤هـ ، قم.

٢٨. الأصول العامة للسيد محمد تقي الحكيم، تحقيق وفي الشناوة، الطبعة الثانية، مؤسسة آل البيت.

٢٩. أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني/مطبعة النجف ١٣٧٦ هـ.

٣٠. أضواء على الثورة الحسينية للسيد محمد صادق الصدر / بيروت / الطبعة الأولى.

٣١. أعلام الورى بإعلام الهدى للطبرسي/مؤسسة آل البيت عليهم السلام / قم.

٣٢. الأعلام للزركلي/دار العلم للملايين/الطبعة الخامسة عشر/سنة ٢٠٠٢ م.

٣٣. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين/مطبعة الانصاف/بيروت ١٣٨٠ هـ.

٣٤. الافصاح للشيخ المفيد/تحقيق محمد رضوان العرقسوسي/ الطبعة الأولى.

٣٥. إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني سنة١٤١٤ هـ الطبعة الأولى.

٣٦. الإكليل في أنساب أهل اليمن للهمداني، المطبعة السلفية سنة ١٣٦٨هـ.

٣٧. الاكمال لابن هاكولا، طبعة دائرة المعارف العثمانية . الهند سنة ١٩٦٣م.

٣٨. أمالي الشيخ الصدوق/الطبعة الاولى ١٤١٧ هـ/مؤسسة البعثة.

٣٩. أمالي الشيخ الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي . تحقيق محمد صادق بحر العلوم، سنة النشر ١٩٨١م.

٤٠. أمالي الشيخ المفيد، تحقيق علي أكبر غفاري، طبعة جامعة المدرسين قم ١٤٠٣هـ .

٤١. الإمام الحسين سماته وسيرته، للسيد محمد رضا الجلالي/دار المعروف / قم.

٤٢. الإمامة والسياسة، لابن قتيبة.

٤٣. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، ١٤١٧هـ .

٤٤. الأنساب للبلاذري/مؤسسة الأعلمي/١٩٧٤ م/تحقيق محمد باقر المحمودي.

٤٥. الأنساب للسمعاني، طبعة محمد أمين، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

٤٦. أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين /ط٢/الدار الإسلامية/سنة ١٤٠١هـ.

٤٧. الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ . دار الكوفة.

٤٨. أهل البيت سماتهم وحقوقهم للشيخ جعفر السبحاني / مؤسسة الامام الصادق عليه السلام / قم.

٤٩. إيضاح الاشتباه للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر، مؤسسة النشر الإسلامي، تحقيق محمد الحسون.

٥٠. بحار الأنوار للعلامة المجلسي/الطبعة الثانية/مؤسسة الوفاء.

٥١. البحر الزخار، يحيى بن المرتضى، مطبعة السعادة، القاهرة.

٥٢. بحر الفوائد، للكلاباذي.

٥٣. البداية والنهاية لابن كثير/تحقيق علي شيري/دار إحياء التراث /١٤٠٨ هـ.

٥٤. البصائر والذخائر، لأبي حيّان التوحيدي.

٥٥. بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، علوي بن طاهر الحداد، ١٣٨٢هـ.

٥٦. بطل العلقمي/عبدالواحد المظفر/المطبعة الحيدرية / النجف.

٥٧. **بغية الطلب في تاريخ حلب لابن النديم.**

٥٨. **بغية النبلاء بتاريخ كربلاء للسيد عبدالحسين آل طعمة.**

٥٩. **بنور فاطمة اهتديت، عبد المنعم حسن، دار الخليج العربي، الطبعة الثانية**

٦٠. **تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي / طبعة الكويت.**

٦١. **تاريخ السنة النبوية/صائب عبدالحميد.**

٦٢. **تاريخ الشيعة للعلامة المظفر/مطبعة الزهراء عليها السلام / النجف.**

٦٣. **تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٣٩هـ.**

٦٤. **تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره للشيخ سبحاني، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢ هـ.**

٦٥. **التاريخ الكبير ابن أبي خيثمة طبعة دار الفارق، طبعة دار الوطن، تحقيق اسماحين حسن حسين.**

٦٦. **التاريخ الكبير للبخاري/المكتبة الاسلامية / دياربكر / تركيا.**

٦٧. **تاريخ الكوفة للسيد البراقي/تحقيق ماجد أحمد العطية/المكتبة الحيدرية/١٤٢٤هـ.**

٦٨. **تاريخ المدينة المنورة، لأبي زيد عمر بن شبّة النميري، تحقيق محمد علي دندل، بيروت، ١٤١٧هـ.**

٦٩. **تاريخ النياحة على الإمام الحسين، للسيد الشهرستاني.**

٧٠. **تاريخ بغداد للبغدادي، مطبعة السعادة ـ مصر عام ١٣٤٩هـ.**

٧١. **تاريخ دمشق لابن عساكر/دار الفكر ـ بيروت/١٤١٥ هـ .**

٧٢. **التحرير والتنوير لابن عاشور (تفسير القرآن)/دار سحنون.**

٧٣. **تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، للمبار كفوري، دار إحياء التراث بيروت.**

٧٤. **التحفة السنية للفيض الكاشاني، مكتبة الحضرة الرضوية ـ مشهد / إيران.**

٧٥. **تذكرة الخواص لابن الجوزي، المطعبة الحيدرية، النجف ١٣٨٣هـ .**

٧٦. **تراث كربلاء لسلمان هادي طعمة/مؤسسة الأعلمي / بيروت.**

٧٧. **ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر/تحقيق محمد باقر المحمودي/ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/١٤١٤ هـ .**

٧٨. **ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر/تحقيق محمد باقر المحمودي/مجمع إحياء الثقافة**

الإسلامية/١٤١٤ هـ.

٧٩. تسلية المجالس وزينة المجالس لمحمد بن أبي طالب/تحقيق فارس حسون كريم.

٨٠. تعجيل المنفعة لابن حجر، مطبعة مجلسي دائرة المعارف النظامية، سنة ١٩٠٧ دار الكتاب العربي.

٨١. تفسير الآلوسي/دار إحياء التراث / بيروت.

٨٢. تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي/دار إحياء التراث / بيروت/الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٨٣. تفسير البغوي/تحقيق خالد عبدالرحمن العك/دار المعرفة / بيروت.

٨٤. تفسير الدر المنثور للسيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مركز هجر.

٨٥. تفسير الرازي الكبير، طبعة دار الفكر، القاهرة سنة ١٩٨٠م.

٨٦. تفسير الصافي المولى محسن الفيض الكاشاني، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٨٧. تفسير الطبري/دار السلام للطباعة والنشر/الطبعة الأولى / القاهرة.

٨٨. تفسير القرطبي/مطبعة دار الكتاب / القاهرة ١٩٦٨ م.

٨٩. تفسير الماوردي/طبعة وزارة الأوقاف / الكويت.

٩٠. تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي/انتشارات إسراء.

٩١. تفسير نور الثقلين للعلامة الشيخ عبد علي جمعة العروسي الحويزي، الطبعة الثانية ١٣٨٣ تصحيح هاشم المحلاتي.

٩٢. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت سنة ١٩٨٤.

٩٣. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق محمد بن عبد القادر سنة النشر ١٩٩٩م.

٩٤. تنبيه الغالفين بأحاديث سيد المرسلين، للسمرقندي.

٩٥. تنقيح المقال للمامقاني/المطبعة المرتضوية / النجف/سنة ١٣٥٢هـ.

٩٦. تهذيب التهذيب لابن حجر/دار الفكر/سنة ١٤٠٤ هـ.

٩٧. تهذيب الكمال للمزي/مؤسسة الرسالة/سنة ١٤٠٦ هـ.

٩٨. تهذيب تاريخ الإسلام لابن عساكر، مطبعة النرقي، الطبعة الأولى، دمشق ١٣٤٩هـ .

٩٩. الثقات لابن حبان/دار الفكر/الطبعة الاولى/سنة ١٩٧٥ م.

١٠٠. ثمرات الأعواد للسيد علي الهاشمي.

١٠١. ثواب الأعمال، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

١٠٢. ثورة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ محمد مهدي شمس الدين/طبعة الاندلس / بيروت.

١٠٣. الثورة الحسينية دورها ومعطياتها، للسيد الحسين بن التقي آل بحر العلوم.

١٠٤. جامع الأحاديث للشيخ اسماعيل الملايري، الطبعة العلمية، قم ١٣٩٩هـ.

١٠٥. الجامع للترمذي/مطبعة فخر المطابع بدهلي.

١٠٦. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، الطبعة الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية . الهند ١٩٥٢.

١٠٧. جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد مطامش، دار الفكر بيروت.

١٠٨. جمهرة أنساب العرب لابن حزم/تحقيق عبدالسلام هارون/دار المعارف.

١٠٩. جمهرة خطب العرب/أحمد زكي صفوت/الطبعة الثانية.

١١٠. الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي الشريف المكرم للإمام ابن حجر الهيثمي، دار جوامع الكلم . القاهرة.

١١١. الحاكم في المستدرك/إشراف يوسف عبدالرحمن المرعشلي/طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث.

١١٢. حاوي الأقوال للشيخ عبدالنبي الجزائري/تحقيق مؤسسة الهداية لإحياء التراث.

١١٣. حبيب بن مظاهر للمظفري/النجف العلمية، ١٣٧٠هـ .

١١٤. الحسين يكتب قصته الأخيرة الشهيد محمد باقر الصدر / تحقيق صادق جعفر الروّازق، مكتبة الشهيد الصدر سنة ٢٠٠٦م، النجف.

١١٥. حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩، مطبعة النعمان، النجف.

١١٦. حلية الأولياء لابن نعيم الأصبهاني/دار الكتب العلمية / بيروت.

١١٧. حوار مع الشيخ صالح بن عبدالله الدرويش للشيخ جعفر السبحاني / مؤسسة الإمام

الصادق عليه السلام / قم.

١١٨. حياة الحيوان للدميري، مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٧٨هـ .

١١٩. خزانة الأدب للبغدادي/دار الكتب العلمية / بيروت/سنة ١٩٩٨ م.

١٢٠. خصائص النسائي، الطبعة الأولى . الكويت ١٩٨٦م.

١٢١. الخطط المقريزية، تقي الدين المقريزي، دار صادر . بيروت.

١٢٢. خلاصة الأقوال للعلامة الحلي/مؤسسة نشر الفقاهة/سنة ١٤١٧ هـ.

١٢٣. دائرة المعارف، محمد حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الثاني، بيروت.

١٢٤. الدر المنضود للسيد الكلبايكاني/دار القرآن الكريم/سنة ١٤١٢ هـ.

١٢٥. الدروس. للشهيد الأول.

١٢٦. دلائل الإمامة لأبي جعفر الطبري/مؤسسة البعثة/سنة ١٤١٣ هـ.

١٢٧. دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم/دار المعرفة / بيروت.

١٢٨. ديوان الإمام علي، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، دار ابن الزيتون.

١٢٩. ديوان السيد حيدر الحلي، منشورات الأعلمي بيروت، تحقيق علي الخاقاني.

١٣٠. ربيع الأبرار للزمخشري، مؤسسة الأعلمي، سنة ١٩٩٢.

١٣١. رجال ابن داود/منشورات المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف/١٣٩٢ هـ.

١٣٢. رجال الشيخ الطوسي/مؤسسة النشر التابعة لجماعة مدرسي قم/سنة ١٤١٥ هـ.

١٣٣. رجال الكشي/مؤسسة آل البيت عليهم السلام / قم.

١٣٤. رجال المامقاني، الطبعة الحجرية،

١٣٥. رجال النجاشي لأبي العبس أحمد بن علي النجاشي الأسدي، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.

١٣٦. رجال النراقي، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، طبعة إيران . مطبعة دانشكاه سنة ١٣٨٣هـ.

١٣٧. رسالة التقريب بين المذاهب، العدد ٥ مقال بعنوان «حديث الثقلين للشيخ محمد واعظ زادة الخراساني.

١٣٨. الركب الحسيني من المدينة الى المدينة/طبعة ممثلية السيد الخامنئي / قم.

١٣٩. الروض المعطار في خبر الأقطار/محمد عبدالمنعم الحميري/مؤسسة ناشر الثقافية.

١٤٠. روضة الواعظين للفتال النيسابوري/منشورات الشريف الرضي/تقديم السيد محمد مهدي حسن الخرسان.

١٤١. رياض الأحزان للمولى محمد هاشم بن محمد حسين.

١٤٢. رياض الشريعة لذبيح الله محلاتي.

١٤٣. زاد المعاد لابن القيم، تحقيق الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة سنة ١٩٩٤م.

١٤٤. زيد الشهيد للعلامة المقرم، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٨م.

١٤٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني/المكتب الإسلامي / بيروت.

١٤٦. سلسلة الأركان الأربعة للشيخ محمد جواد الفقيه.

١٤٧. سلسلة القبائل العربية في العراق، للشيخ علي الكوراني.

١٤٨. سنن ابن ماجة/طبعة دار الجيل/بيروت.

١٤٩. سنن أبي داود، تحقيق عزت مجيد الدعاس، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، طبعة حمص.

١٥٠. سنن البيهقي الكبرى، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند وطبعة سنة ١٣٤٤ هـ.

١٥١. سنن الترمذي/دار الفكر/تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف/سنة ١٤٠٣هـ.

١٥٢. سنن الدارمي، تحقيق عبد الله هاشم يماني، القاهرة ١٣٨٦هـ .

١٥٣. سنن النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ١٤٠٦.

١٥٤. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ١١.

١٥٥. سيرة ابن هشام، مطبعة المدني ـ مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

١٥٦. شجرة طوبى للشيخ محمد مهدي الحائري، الطبعة الخامسة، لسنة ١٣٨٥، المكتبة الحيدرية.

١٥٧. شرائع الإسلام، المحقق الحلي.

١٥٨. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي/تحقيق محمود المرعشي/الطبعة الأولى ١٩٧٦ هـ.

١٥٩. شرح النووي على صحيح مسلم/المطبعة البهية / مصر.

١٦٠. شرح مقامات الحريري للشيريسي.

١٦١. شرح نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام/فخر الدين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الدين أبي الحديد المعتزلي/تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/طبعة شركة الحلبي/١٩٥٨ م/اعيدت الطبعة في إيران.

١٦٢. شرح نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين، فخر الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني، طبعة ١٩٥٨م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٦٣. شواهد التنزيل للحسكاني، الطبعة الأولى . بيروت . تحقيق المحمودي.

١٦٤. الشيعة الإمامية للسيدة نبيلة عبد المنعم داود، طبعة أولى، بيروت، ١٩٩٤م.

١٦٥. الصحابي المقداد بن الأسود . محمد علي أسير، الطبعة الأولى، دار الاصالة، ١٩٨٢م.

١٦٦. صحيح ابن حبان/مؤسسة الرسالة/سنة ١٤١٤ هـ.

١٦٧. صحيح البخاري/دار الفكر للطباعة والنشر/سنة ١٤٠١ هـ.

١٦٨. صحيح الترمذي/مطبعة الصادي / مصر / الطبعة الأولى.

١٦٩. صحيح الجامع للألباني، مطبعة الكتب الإسلامي، ١٤٠٨.

١٧٠. صحيح مسلم/دار الفكر / بيروت/طبعة مصححة ومقابلة على عدّة مخطوطات.

١٧١. صحيفة الإمام الرضا، تحقيق مهدي نجف، منشورات المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام مشهد . إيران . الطعبة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٧٢. الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام.

١٧٣. الصراط المستقيم/علي بن يونس العاملي/تحقيق محمد الباقر البهبودي/المكتبة الرضوية/ سنة ١٣٨٤ هـ .

١٧٤. صلح الإمام الحسن، للشيخ العلاّمة ياسين آل راضي، وتقديم: العلاّمة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

١٧٥. الصواعق المحرقة لابن حجر، طبعة دار الطباعة المحمدية ١٣٧٥هـ.

١٧٦. الصواعق المرسلة/لابن قيم الجوزية/مطبعة الإمام.

١٧٧. الضعفاء الكبير لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، طبعة دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٤هـ.

١٧٨. الطبقات لابن سعد، بيروت، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥م.

١٧٩. طفولة مبكرة لأطفالنا للشيخ بوخضر/الناشر مؤسسة الفكر الإسلامي/هولندا.

١٨٠. العباس رائد الكرامة للشيخ باقر شريف القرشي/المطبعة الأولى/سنة ١٣٧٧ هـ.

١٨١. عجائب الآثار للشيخ الجبرتي/محقق عن طبعة بولاق.

١٨٢. العرفان الإسلامي للسيد محمد تقي المدرسي.

١٨٣. عقد الدرر في أحوال الإمام المنتظر/دار الكتب العلمية / بيروت/١٤٠٣ هـ.

١٨٤. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي/المطبعة العامرة / مصر/عام١٣١٦ هـ.

١٨٥. علل الشرائع للشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن مسوي بن بابوية القمي، طبعة إيران.

١٨٦. علو الهمة لمحمد إسماعيل المقدم/مكتبة الكوثر.

١٨٧. على خطا الحسين/للدكتور أحمد راسم النفيس/مركز الغدير للدراسات الإسلامية / سنة ١٤١٨ هـ.

١٨٨. عمدة الطالب لابن عنبة، تحقيق محمد حسن آل الطاقاني، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦١م منشورات المطبعة الحيدرية.

١٨٩. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، طبعة دار الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٩٠. العوالم (الإمام الحسين) للشيخ عبدالله البحراني/مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف /سنة ١٤٠٧ هـ.

١٩١. عوالي اللآلي، لابن أبي مهور.

١٩٢. عوائد الأيام للمولى أحمد النراقي/مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.

١٩٣. عيون أخبار الرضا، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى . ثم إيران.

١٩٤. عيون التواريخ، مخطوطة دار الكتب.

١٩٥. الغيبة للنعماني، تحقيق علي أكبرغفاري، منشورات مكتبة الصدوق . طهران ١٣٩٧هـ.

١٩٦. فتح الباري لابن حجر، تحقيق عبد الله بن باز . محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة السلفية.

١٩٧. فتح القدير للمناوي، شرح الجامع الصغير للسيوطي، دار عالم الكتب، طبعة وزارة

الشؤون الإسلامية.

١٩٨. فتوح البلدان للبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، طبعة الموسوعات مصر، سنة ١٣١٩هـ.

١٩٩. فتوح الشام للواقدي . مطبعة مصطفى البابي الحلي، تحقيق عبد الله عامر، بيروت ١٩٧٠.

٢٠٠. فرسان الهيجاء/لذبيح الله المحلاتي/الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ.

٢٠١. الفصول المهمة للسيد عبدالحسين شرف الدين/مؤسسة البعثة/الطبعة الأولى.

٢٠٢. فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق.

٢٠٣. فضائل التسمية لابن بكير، تحقيق مجدي فتحي السيد، الطبعة الاولى سنة ١٤١١هـ.

٢٠٤. فضل الكوفة ومساجدها للمشهدي/دار المرتضى / بيروت/تحقيق محمد سعيد الطريحي.

٢٠٥. فقه الإمام جعفر الصادق لمحمد جواد مغنية، دار الجديد ، سنة ١٩٩٢.

٢٠٦. الفقه للمغتربين للسيد السيستاني.

٢٠٧. الفهرست لابن النديم، محمد بن إسحاق، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٨م.

٢٠٨. الفوائد الرجالية للسيد محمد مهدي بحر العلوم/مكتبة العلمين / النجف.

٢٠٩. في رحاب عاشوراء للشيخ محمد مهدي الآصفي/مؤسسة نشر الفقاهة.

٢١٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي / أحمد عبدالسلام / دار الكتب العلمية/١٤١٥هـ.

٢١١. قاموس الرجال للتستري/منشورات مركز نشر الكتاب / طهران / ١٣٨٢ هـ.

٢١٢. القرطبي لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٨.

٢١٣. قصة كربلاء لعلي نظري منفرد/دار المحجة البيضاء/بيروت ١٤٢٢ هـ.

٢١٤. قصص الأنبياء للسيد الجزائري/منشورات الشريف الرضي / قم.

٢١٥. قضايا النهضة الحسينية، فوزي آل سيف، دار مجيء الحسين عليه السلام، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م.

٢١٦. القول السديد في شأن الحر الشهيد، لأية الله العظمى الخراساني.

٢١٧. الكافي للشيخ الكليني/دار الكتب الإسلامية/سنة ١٣٦٣ شمسي.

٢١٨. كامل الزيارات ، لأبن قولويه، منشورات صدوق، صححه وعلق عليه بهرام جعفري.

٢١٩. الكامل في التاريخ لابن الأثير/المطبعة الأزهرية . مصر/الطبعة الأولى.

٢٢٠. الكامل للمبرد، تحقيق محمد أحمد الوالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

٢٢١. كتاب (كتاب وعتاب) للشيخ قيس العطار.

٢٢٢. كتاب الاختصاص، للشيخ المفيد ط ٢ سنة ١٩٩٣ دار المفيد للطباعة والنشر.

٢٢٣. كتاب الأربعين لابن عساكر/تحقيق محمد مطيع/دار الفكر المعاصر سنة ١٩٩٢ م.

٢٢٤. كتاب الأشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط١ (١٩٩١م).

٢٢٥. كتاب الاعتصام للإمام الشاطي/تحقيق مشهور حسن سلمان/الطبعة الأولى/ سنة ١٤٢٨هـ.

٢٢٦. كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني/طبعة دار الكتب المصرية.

٢٢٧. كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء تحقيق: محمد كمال الدين علي، دار الكتب بيروت.

٢٢٨. كتاب الأوسط للطبراني، دار الحرمين . تحقيق الشيخ طارق عوض الله لعام ١٤١٥هـ.

٢٢٩. كتاب البرصان والعرجان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة المجلس.

٢٣٠. كتاب التنبيه والإشراق للمسعودي / دار صعب / بيروت.

٢٣١. كتاب التوبة. للسيد كمال الحيدري.

٢٣٢. كتاب الحج للسيد السيستاني.

٢٣٣. كتاب الحيوان للجاحظ/مطبعة التقدم/مصر.

٢٣٤. كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندي/مؤسسة الإمام المهدي/الطبعة الأولى / سنة ١٤٠٩ هـ.

٢٣٥. كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي/دار الكتب العلمية.

٢٣٦. كتاب الدعاء للشيخ محمد مهدي الآصفي.

٢٣٧. كتاب الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة لمحمد باقر البهبهاني، طبعة الكويت وبيروت.

٢٣٨. كتاب الرجال لابن داود.

٢٣٩. كتاب الصحبة والصحابة للشيخ فرحان المالكي/طبعة مزيدة ومنقحة ومضمنة عدة أبحاث جديدة.

٢٤٠. كتاب الصحوة للاستاذ علي البياتي.

٢٤١. كتاب العباس، عبد الرزاق المقرّم.

٢٤٢. كتاب الغدير للأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ .

٢٤٣. كتاب الفتن للمروزي، مكتبة التوحيد القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٤٤. كتاب الفتوح لابن أعثم/تحقيق علي شيري/ط١/دار الأضواء/١٤١١ هـ.

٢٤٥. كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي/الطبعة الثانية/سنة ١٣٦٤ هـ .

٢٤٦. كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري،

٢٤٧. كتاب المراثي للسيد الأمين، تحقيق حسن الأمين، دار بيروت للطابعة والنشر ١٩٥٩.

٢٤٨. كتاب المغازي، للواقدي، عالم الكتب للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٦م.

٢٤٩. كتاب المقدّمة للشيخ المفيد/مؤسسة النشر الإسلامي/سنة ١٤١٠ هـ.

٢٥٠. كتاب ترجمة الإمام الحسين من كتاب الفضائل لابن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٥١. كتاب صلح الإمام الحسن للسيد عبد الحسن شرف الدين.

٢٥٢. كتاب مسلم بن عقيل للمقرم، مؤسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية.

٢٥٣. كتاب مصارع الشهداء ومقاتل السعداء، للشيخ سلمان آل عصفور، مجمع إيحاء الثقافة الإسلامية.

٢٥٤. كتاب معرفة الإمام للسيد محمد حسين الحسيني الطهراني/الطبعة الأولى / المطبعة الحيدرية.

٢٥٥. كتاب وانحدر الجمل من السقيفة لنبيل فياض، طبعة صيف ـ ١٩٩٩م.

٢٥٦. كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم/مطبعة المدني/مصر/سنة ١٣٨٣ هـ.

٢٥٧. كربلاء الثورة والمأساة أحمد حسين يعقوب، دار الغدير سنة ١٤١٨هـ ـ بيروت.

٢٥٨. كفاية الأحكام، للمحقق السبزواري، مطبعة مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين في قم.

٢٥٩. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، للكنجي، الطبعة الحيدرية.

٢٦٠. كلمات الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ محمود شريفي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٦١. كنز العمال للهندي/تحقيق الشيخ بكري همياني والشيخ صفوة/مؤسسة الرسالة.

٢٦٢. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي/مكتبة الصدر/تقديم محمد هادي الأميني.

٢٦٣. لب الألباب في معرفة الأنساب للسيوطي، دار صادر.

٢٦٤. لسان العرب لابن منظور/مطبعة دار الفكر /ط١ /سنة ١٤١٠ هـ.

٢٦٥. اللهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس/المطبعة الحيدرية.

٢٦٦. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين/مطبعة العرفان / سيدا/سنة ١٣٣١ هـ.

٢٦٧. ليلة عاشوراء في الحديث والأدب للشيخ عبدالله الحسن.

٢٦٨. مائة قاعدة فقهية للسيد المصطفوي/مؤسسة النشر الاسلامي.

٢٦٩. مثير الأحزان لابن نما الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف سنة ١٣٦٩هـ .

٢٧٠. المجالس الحسينية للشيخ محمد جواد مغنية، دار التيار الجديد، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢٧١. المجالس السنية للسيد محسن الأمين/الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٤ هـ.

٢٧٢. المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة للسيد عبدالحسين شرف الدين/ إنتشارات كوثر.

٢٧٣. مجلة النبأ، شهر صفر ١٤٢٢ آذار آيار ٢٠٠١.

٢٧٤. مجلة تراثنا تحقيق السيد محمد رضا الجلالي، العدد ٢، سنة ١٤٠٥هـ .

٢٧٥. مجمع الأمثال للميداني/تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

٢٧٦. مجمع البيان للشيخ الطبرسي/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/تقديم السيد محسن الأمين /سنة ١٤١٥ هـ.

٢٧٧. مجمع البيان للطبرسي، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣٣هـ .

٢٧٨. مجمع الزوائد للهيثمي، طبعة دار الريان سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٧٩. مجمع المصائب للشيخ محمد النداوي، المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ.

٢٨٠. مجموع الفتاوى لابن تيمية، دار الوفاء . تحقيق عامر الجزار ، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ.

٢٨١. المحاسن والمساوئ للبيهقي، طبعة فردريك شوالي سنة ١٩٠٢.

٢٨٢. المحصول في علم الأصول للرازي/دراسة وتحقيق د.طه جابر فياض العلواني.

٢٨٣. المحلى لابن حزم، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة دار الجبل.

٢٨٤. مختصر تاريخ دمشق لابن منظور/دار الفكر / دمشق/الطبعة الأولى.

٢٨٥. مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبي، مؤسسة الأعلمي بيروت سنة ١٤٠٥هـ .

٢٨٦. مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني/مؤسسة المعارف/سنة ١٤١٣ هـ.

٢٨٧. مرآة الجنان لليافعي، طبعة حيدر آباد عام ١٣٣٤هـ، مؤسسة الأعلمي بيروت سنة ١٣٩٠هـ .

٢٨٨. المرأة العظيمة للشيخ حسن الصفار دار الانتشار العربي، الطبعة الأولى سنة٢٠٠٠م.

٢٨٩. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول للعلامة المجلسي/دار الكتب الإسلامية . طهران / الطبعة الثانية.

٢٩٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي القاري/طبعة باكستان.

٢٩١. مروج الذهب للمسعودي، القاهرة، المطبعة البهية ١٣٤٦هـ .

٢٩٢. المزار الكبير لابن المشهدي، مخطوط مكتبة المرعشي النجفي، قم.

٢٩٣. المزار للشهيد الأول/مؤسسة الإمام الهادي/سنة ١٤١٠ هـ .

٢٩٤. مزارات أهل البيت وتاريخها، للسيد محمد حسين الجلالي.

٢٩٥. مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي / مؤسسة النشر الإسلامي/١٤١٨هـ.

٢٩٦. المستدرك على الصحيحين وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي.

٢٩٧. مستدركات علم الرجال للنمازي/ط ١/مطبعة شفق/ طهران /١٤١٢ هـ.

٢٩٨. المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبشيهي، مؤسسة المختار سنة٢٠١٠.

٢٩٩. مستند الشيعة في أحكام الشريعة للمولى أحمد بن محمد مهدي النراقي/مؤسسة آل البيت/١٤١٧ هـ.

٣٠٠. مسند أحمد ابن حنبل، طبعة الرسالة الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هـ.

٣٠١. مسند الإمام أحمد بن حنبل/دار صادر / بيروت.

٣٠٢. مسند الشهاب للشهاب القضاعي/مؤسسة الرسالة / بيروت.

٣٠٣. مشكاة الأنوار للطوسي، المطبعة الحيدرية ١٣٨٥هـ ، الطبعة الثانية.

٣٠٤. مصباح المتهجد للشيخ الطوسي، مطبعة دار الخلافة طهران سنة ١٣١٨.

٣٠٥. المصنف لابن أبي شيبة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ، مكتبة الرشد.

٣٠٦. معالم السبطين للمازندراني/مكتبة القرشي/١٣٥٦هـ.

٣٠٧. معالم الفتن سعيد أيوب/طبعة دار الاعتصام مصر.

٣٠٨. معالم المدرستين/للسيد مرتضى العسكري/مؤسسة النعمان/ سنة١٤١٠ هـ.

٣٠٩. معالي السبطين للمازندراني، محمد مهدي المازندراني، بتبريز، مكتبة القرشي ١٣٥٦هـ .

٣١٠. معاني الأخبار للشيخ الصدوق/إنتشارات جماعة مدرسي قم.

٣١١. معجم أحاديث المهدي عليه السلام/مؤسسة المعارف الإسلامية/إشراف الشيخ علي الكوراني/سنة ١٤١١ هـ .

٣١٢. معجم البلدان، ياقوت الحموي، مطبعة دار السعادة ـ القاهرة ١٣٢٣هـ.

٣١٣. المعجم الصغير للطبراني/دار الفكر/الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

٣١٤. المعجم الكبير للطبراني/دار إحياء التراث/الطبعة الثانية/تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.

٣١٥. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي/طبعة منقحة ومزيدة/سنة الطبعة١٤١٣ هـ.

٣١٦. معجم قبائل العرب لعمر كحالة/مؤسسة الرسالة/بيروت /(ط٥) ١٤٠٥ هـ.

٣١٧. معجم ما استعجم للبكري، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة المجلسي.

٣١٨. معرفة الثقات/مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

٣١٩. معرفة المعاد للسيد محمد حسين الطهراني.

٣٢٠. المغازي للواقدي/مطبعة اكسفورد.

٣٢١. المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، سنة ١٩٦٨ هـ.

٣٢٢. مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، الطبعة الخامسة، مكتبة الفيروز آبادي، ١٤١٢هـ.

٣٢٣. مفتاح النجا في نُزُل الأبرار للبدخشي.

٣٢٤. مفتاح دار السعادة لابن قيّم الجوزية/الطبعة الحجرية / مصر.

٣٢٥. مفردات الراغب الاصفهاني ط ١٤١٨ هـ ، دار العلم دمشق.

٣٢٦. مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الهيثم المعروف بالأصبهاني،

المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٥م .

٣٢٧. مقتل أبي مخنف/تحقيق الشيخ اليوسفي/مؤسسة النشر الإسلامي.

٣٢٨. مقتل الإمام الحسين، للشيخ العلاّمة كاشف الغطاء، تحقيق: هادي الهلالي، انتشارات الشريف الرضي/ ١٤١٩هـ.

٣٢٩. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم/الطبعة الحيدرية / النجف.

٣٣٠. مقتل الحسين لأبي مخنف، مؤسسة دار النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٣١. مقتل الحسين للخوارزمي/تحقيق الشيخ محمد السماوي/الطبعة الأولى / النجف.

٣٣٢. مقتل الحسين للمقرم، دار الكتاب الإسلامي، بيروت الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٩م.

٣٣٣. مقتل الحسين، لأية الله العظمى الشيخ الطبسي.

٣٣٤. مقتل الفضيل بن الزبير/تحقيق محمّد رضا الجلالي / مجلة تراثنا / العدد ٢ / سنة ١٤٠٥ هـ.

٣٣٥. المقتنى في سرد الكنى لابن فايماز التركماني، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية ١٩٩٧.

٣٣٦. مقدمة ابن خلدون/الطبعة الأميرية / سنة ١٣٢١ هـ.

٣٣٧. مقدمة ناشر كتاب اللمعة الدمشقية للشهيد الأول، منشورات دار الفكر، قم إيران، ١٤١١هـ.

٣٣٨. الملل والنحل للشهرستاني، المطبعة الأميرية ـ القاهرة سنة ١٣١٧هـ.

٣٣٩. من قضايا الثورة الحسينية، للشيخ فوزي آل سيف.

٣٤٠. من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق السيد حسين الخرسان، دار الكتب الإسلامية.

٣٤١. المناقب لابن المغازلي، طبعة دار مكتبة الحياة.

٣٤٢. المناقب لابن شهر آشوب، مطعبة انتشارات علامة، المطبعة العلمية في قم.

٣٤٣. منهاج السنة، لأبن تيمية.

٣٤٤. منهاج الصالحين للسيد السيستاني.

٣٤٥. موسوعة الركب الحسيني، مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه، ط٢ سنة ١٤٢٥هـ .

٣٤٦. الموسوعة الشوقية، للشاعر أحمد شوقي.

٣٤٧. موسوعة طبقات الفقهاء للشيخ جعفر السبحاني/مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / إيران.

٣٤٨. الموطأ لابن مالك/مطبعة الاستقامة / مصر.

٣٤٩. ميزان الاعتدال للذهبي، دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٥.

٣٥٠. ميزان الحكمة محمد محمدي الري شهري، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٣٥١. نشأة النحو للشيخ الطنطاوي/دار المعارف / مصر/الطبعة الثانية.

٣٥٢. النصرة في شيعة البصرة، نزار المنصوري، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٤م.

٣٥٣. نفس المهموم للشيخ عباس القمي، الطبعة الأولى، مطبعة شريعت ١٤٢١هـ .

٣٥٤. نقد الرجال للتفريشي/تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٣٥٥. نهاية الأرب للنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، القاهرة . مطبعة دار الكتب.

٣٥٦. نهج البلاغة بشرح محمد عبده/مطبعة الاستقامة.

٣٥٧. نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد المعتزلي (طبعة مصر الأولى).

٣٥٨. نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار للشيخ سيد الشبلنجي/مطبعة بولاق / مصر/١٢٩٠ هـ .

٣٥٩. الوافي بالوفيات للصفدي/دار إحياء التراث/سنة ١٤٢٠ هـ.

٣٦٠. وسائل الشيعة للحر العاملي/مؤسسة آل البيت/سنة ١٤١٤هـ.

٣٦١. وسيلة الدارين في أنصار الحسين للسيد الزنجاني، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م.

٣٦٢. وقفة صفين لنصر بن مزاحم، الطبعة الأولى عام ١٣٦٥هـ، تحقيق هارون.

٣٦٣. ينابيع المودة للقندوزي/تحقيق سيد علي أشرف الحسيني.

المحتويات

الشهيد أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي عليه السلام

الشهيد نصر بن أبي نيزر النجاشي عليه السلام

الشهيد مسلم بن كثير الأزدي الأعرج عليه السلام

الشهيد أبو رزين عليه السلام